t.-p. after 8 p.

الحمد لله فهرسة شرح الاربعين النووية للمولى سعد الدين التفتازاني رحمه الله

صحيفة

Digitized by Google

صحيفة

Digitized by Google

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARIES
32101 003351937

صحيفة

2270
.7
944
Digitized by Google

صحيفة

Digitized by Google

صحيفة

Digitized by Google

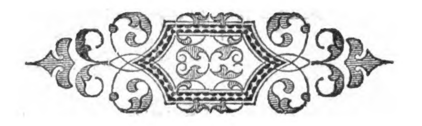
صحيفة

Digitized by Google

صحيفة

Digitized by Google

صحيفة



Digitized by Google

al-Taftazani, Sa'd al-Din

Sharh al-Arba'in

شرح الاربعين النوويــة

للمولى سعد الديــن

التفتازاني رضي

الله عنه

ترجمة الشارح

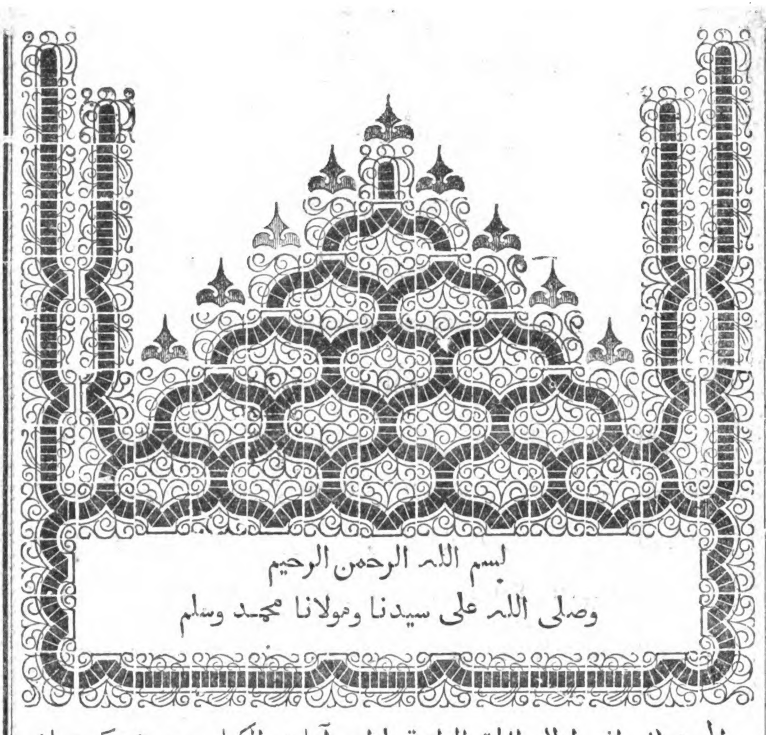
الحمد لله قال العلامة ابن سعيد في حواشي شرح التهذيب للشارح عند التعرض لترجمته هو الكوكب النهاري في الافاق ومن عقدت على رئاسته انامل الاتفاق استاذ العلماء المحققين وسيد الفضلاء المدققين الحبر العالم الجليل المقتدى به في العلوم الدينية صاحب التصانيف الجليلة التي اشتهرت كنار على علم واتخذها العلماء كهفا يلجئون اليها ويعتمدون في نقولهم عليها سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ولد بتفتازان في صفر سنة اثنين وعشرين وسبعمائة وجال البلاد واشتهر ذكره وطار صيته وانتفع الناس بتصانيفه وانتهت اليه رئاسة العلوم بالمشرق وتوفي بسمرقند يوم الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة اثنين وتسعين (وفي كشف الظنون احدى وتسعين) وسبعمائة ونقل الى سرخس ودفن بها يوم الاربعاء التاسع من جمادى الاولى من تلك السنة

طبعة اولى

طبع بمطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية

سنة ١٢٩٥

Digitized by Google



بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

الحمد لله رافع اعلام الملة الزاهرة بلوامع آيات الكتاب * ومحكم مباني
احكام الشريعة الغراء بقواطع فصل الخطاب * الذي جلا بانوار صحاح
الاحاديث النبويه * اعاجيب جلابيب العمى * وجعل حسان الاخبار
الاحمديه * مفاتيح السعادة ومعالم عوالم الهدى * والصلاة والسلام على
من اشرقت من مشكاة مصابيح رسالته المغارب والمشارق * وابتسمت
بازهار نبوته رياض الشرع الفائق * محمد جامع الاصول الربانيه * وعمدة
الاحكام السبحانيه * وعلى آله وصحبه الذين كل شهاب ثاقب مستضاء
بانواره * ونجم ساطع يقتدى بتحليته ويهتدى بآثاره * ما وُفق مسلم لشرح
السنه * وايد الدين باطراف الاسنه * اما بعد فان العلم مفتاح خزائن
المعارف * ومصباح ارواح ذوي العوارف مطالع طوالع الانوار اللاهوتيه
مواقف جواهر الاسرار الملكوتيه كشاف استار عرائس الحقائق * ينابيع
نفائس لطائف الدقائق منهاج بهاج لارباب العرفان * سراج وهاج

لاصحاب

Digitized by Google

لاصحاب الايقان بدائع فوائده كافية لطلاب لباب التنزيل * وروائع فوائده شافية عن تعطش الاكباد الى عجاب التاويل * انواع المطالب فيه محصله * واقسام الفوائد فيه مفصله *

شعر

لا يدرك الواصف المطري خصائصه   وان يكن سابقا في كل ما وصفا
ما ذا اقول وكل ما انا قائل   في نعت غرته اقل خصاله

سيما علم التفسير الكاشف عن بدائع معاني البيان الرباني * الواصف بحكمته منطق كل فقير سبحاني * ثم احاديث من اودع في فواده علم هيئة الملكوت ووضع في صدره اصول كلام الجبروت * ولله در من قال فيه * ونثر الدر من فيه * الشيخ نجم الدين الكبير قدس سره

اذا ذكرت بحار العلم يوما   فقول المصطفى لا غير تجري
هو البحر المحيط وما عداه   فانهار صغار منه تجري

فطوبى لمن وفق لاقتباس انواره * واقتناص لطائف اسراره مولعا على التشبث باذيال جلاله * منهوما الى الشرب من زلال سلسال نواله * ولما هداني الله لتحصيل الفضائل * وشغفني بمحاسن الخصائل * صرفت ربيع الشباب نحو الطلب * وارخيت عنان الارب في مضمار الادب وطفقت اقتبس الانوار من كل مصباح * واقتطف الازهار من كل اقاح * مقبلا الى اقتناء الفنون العربيه * والارتقاء الى العلوم الشرعيه * حتى جذبتني جواذب التوفيق * الى تحصيل بعض ظواهرها اذ لست من اهل التحقيق فبينما قضيت منها الوطر * واجلت في احداق التميمات النظر *

رماني الدهر بالارزاء حتى   فوادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام   تكسرت النصال على النصال

وذلك بسبب استيلاء عوارض تحصل للقلوب من سماعها الاقراع * وتشمئز منها الطباع * وتمجها الاسماع * بحيث سد علي ابواب الفتوح * وسلب مني الروح والروح * ولله در من قال *

لله داء في الفؤاد اجنـه   يزداد داء كلما داويته

فما انسب لتلك الحال * قول من قال *

الا موت يبـاع فاشتريه   فهذا العيش ما لا خير فيه

الا رحم المهيمن روح عبد   تصدق بالوفـاة على اخيه

فلما اشتد بي الحال * وامتد ورود وفود البلبال على البال * رايت ان اتوسل الى معالي حضرة الرسول * واستشفع بجاهه لخلاصي من تلك البلية القتول بان اجمع من كتب المحدثين المحققين * ما يستعان به على حل الاربعين الذي الفه الامام النفاع * خاتمة المجتهدين بالاجماع * محيي الدين ابو زكرياء النووي قدس الله تربته * ونور بفضله روضته * فجاء بحمد الله تعالى شرحا وسطا يحل وجيز مبانيه * ويظهر غزير ايضاح الفوائد البيانية البديعة مقاصده * ويبسط معانيه * روضة مزهرة بحقائق العرفان متحليا بالتهذيب والتبيان * حاويا لغرائب النكات العربيه * تلخيصا للقواعد الشرعيه * محررا عن الزوائد * مهذبا بجلائل الفوائد * تيسيرا على الطلاب * وتقريبا للفهم على الاحباب * والمرجو ان يعمل به كل اواب منيب * وينتفع به من له في الاخرة نصيب * وان يفرج عني انواع الغوايه ويفرح قلبي بالدعاية والعنايه * وهو حسبي الله ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على سيدنا محمد صلاة وسلاما دائمة صيبه * وعلى آله واصحابه تحية من عند الله مباركة طيبه * وقبل الشروع اذكر اسنادي لهذا الكتاب اخبرني السيد العالم العلامة مفتي العالم سيد الملة والدين احمد بن السيد عبد الوهاب المصري المحمدي سماعا عليه قال اخبرني والدي عن المصنف سماعا في طريق مكة كلما اذكر الحاء في مثل هذا المقام اريد به التحويل اي حول من هذه الى اخرى واخبرني الشيخ الولي العارف واستاذ المحدثين عفيف الملة والدين محمد بن سعيد الكازروني سماعا عليه واجازة قال اخبرني الحافظ جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن الزكي المزي اجازة خاصة قال اخبرني الامام ابو زكرياء يحيى بن شرف النووي

وذكر

وذكر الامام الاسنوي رحمه الله تعالى انه ولد في العشر الاول من المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بنوى قرية من قرى دمشق وقرا بها القرآن وقدم دمشق سنة تسع واربعين وقرا التنبيه في اربعة اشهر ونصف وحفظ ربع المهذب بقية السنة ثم مكث قريبا من السنتين لا يضع جنبه على الارض يقرا اثني عشر درسا من العلوم وكان آمرا ناهيا سامرا في العبادة والتصنيف صابرا على خشون العيش لا يدخل الحمام ولا ياكل الّا مرة مما يوتى به من عند ابويه بعد العشاء ولا يشرب الّا شربة عند السحر ولم يتناول فواكه الشام لشبهة فيها ولم يتزوج وحج مرتين وتولى دار الحديث الاشرفية سنة خمس وستين ولم ياخذ من معلومها شيئا يلبس ثوب قطن وعمامة سخنانية وفي لحيته شعرات بيض وعليه سكينة ووقار في البحث ولم يزل على ذلك الى ان سافر الى القدس ثم عاد اليها فمرض عند ابويه وتوفي ليلة الاربعاء رابع عشر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده طيب الله مضجعه وجعل الفردوس مرتعه روي انه انشد عند الوفاة * هذه الابيات *

بشائر قلبي في قدومي عليهم　　وبالبشر سيري يوم سيري اليهم
وفي رحلتي يصفو مقامي وحبذا　　مقام به محط الرحال لديهم
ولا زادني الّا يقيني بانهم　　لهم كرم يغني الوفود عليهم

وهذا اوان الشروع في المقصود * بعون الملك المعبود * قال رحمه الله ورضي عنه (بسم الله) اي باسم المعبود بالحق الواجب الوجود المبدع للعالم والباء للالصاق او الاستعانة والجار والمجرور متعلق بفعل موخر لافادة اختصاص جعل التسمية مبدءً له ولان ما هو السابق في الوجود يستحق السبق في الذكر ولذا قال المحققون ما راينا شيئا الّا ورايناا الله تعالى قبله والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا ابتدئ بها زيدت همزة واصله سمو من السمو لانها رفعة للمسمى وشعار له والله اصله اله حذفت الهمزة وعوضت عنها اللام وهو اسم لكل معبود حقا كان

او باطلا ثم غلب على الاول من اله اذا عبد فهو مالوه اي معبود او اله اذا تحير لتحير العقول في معرفته او اقام في المكان لدوام وجوده ازلا وابدا او فزع فالهه اي امنه او من الوله وهو ذهاب العقل في ساحل بحر العرفان سواء الواصل والواقف في ظلمات الجهالة والخذلان او المحبة الشديدة فابدلت الواو همزة اذ عباده يحبونه لذاته وصفاته وافعاله

احبك حبين حب الهوى　وحب لانك اهل لذاك
فاما الذي هو حب الهوى　فشغلي بذكرك عمن سواك
واما الذي انت اهل له　فكشفك لي الحجب حتى اراك

او لاه ارتفع من الحدثان او احتجب عن ادراك عيون الاعيان او من الهت الى فلان اي سكنت اليه او اله الفصيل اذا ولع بامه واما الله فمختص بالمعبود بالحق المستحق ازلا وابدا لان يعبد وكل من سواه عابد له (الرحمن) الشامل الرحمة لجميع الخلق بافاضة اصول النعم وجلائلها وما يتوقف عليه بقاؤهم (الرحيم) الخاص الرحمة بالمؤمنين بالهداية وما يتوقف عليه سعادتهم وهي ارادة الخير لاهله وترك عقوبة من يستحقها واصلها رقة القلب والانعطاف فاطلاقه على الله مجاز باعتبار تشبيه فعله بفعل الملك العاطف او باعتبار الغاية اي غاية فعله بهم غاية فعل العاطف من الاحسان فعلى الاول استعارة مصرحة وعلى الثاني مجاز مرسل باعتبار العلاقتين فأن قلت ما فائدة لفظ اسم وهلا قيل بالله الرحمن الرحيم ولم قطع همزة في النداء ووصلت في غيره وما الحكمة في تقديم الرحمن والعادة الترقي فالجواب اما عن الاول فليعلم ان التبرك كما يكون بذكر اسم خاص من اسمائه يكون بذكير لفظ دال على اسمه وليتميز التيمن الذي باسمه عن اليمين التي تكون بذاته لا اسمه ذكره القاضي في التفسير وعن الثاني فلان الهمزة اجلبت في النداء للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف لانه اغنى عنه التعريف الندائي بخلاف غيره فانها لم تخلع عنه كذا في الكشاف واللباب وعن الثالث فلان الرحمن يتناول عظائم النعم واصولها فاردفه بالرحيم كالتتميم

Digitized by Google

ليتناول ما دق منها ولطف كذا في الكشاف او لانه مركوز في الجبلة ان عظائم النعم ليست إلّا منه فلو اقتصر على الرحمن لاحتشم ان يطلب منه الشيء اليسير فكمل بالرحيم قال تعالى يا موسى سلني حتى ملح قدرك او لانه يناسب لفظ الله من جهة الاختصاص والدلالة على زيادة المعنى في سورة الفاتحة وما قيل ان الرحيم ابلغ لانه من الامور الغريزة كشريف وفعلان من الامور العارضة كسكران ممنوع لان ذلك انما يكون اذا كان من باب فعل بالضم لا من صيغة فعيل لجواز ان يكون من باب فعل كالرحيم من رحم قال اهل التحقيق لما ثبت ان اسم الشيء ما يعرف به فاسماء الله هي الصور النوعية التي تدل بخصائصها وهوياتها على صفات الله وذاته وبوجودها على وجوده وبتعيينها على وحدته اذ هي ظواهرها التي بها تعرف والله اسم لذات الحق من حيث هي لا باعتبار اتصافه بالصفات ولا باعتبار عدم اتصافه والرحمن هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب ما تقتضي الحكمة وتحتمل الفوائد على وجه البداية والرحيم هو المفيض للكمال المعنوي المخصوص بالنوع الانساني بحسب النهاية ولذا قيل يارحمن الدنيا والاخرة ورحيم الاخرة وفائدة لفظ اسم بقاء هياكل الخلق اذ لو قيل بالله لذاب تحت حقيقتها الخلائق إلّا من كان محفوظا وان يتم به الحق على قلوب اهل معرفته ولما قدم لفظ اسم الله اضمحلت العقول في بيداء عظمته وذابت الارواح في بحار الوهيته فاتبعه بالرحمن الرحيم ليسلي قلوب الموحدين ويشفي صدور قوم مومنين وقدم الرحمن لانه ادل على الرحمة وقيل الرحمن شراب شوق اشراقه في قدح الرحيم ليتناول العباد حتى اذا شربوا سكروا واذا سكروا طربوا فطابوا فطاروا فوصلوا واتصلوا فذابوا واضمحلوا في بيداء كشفه واستغرقوا في بحار لطفه وبقوا بشهوده وانما بدا بالتسمية واردفها بالتحميد اقتفاء لما ورد في الاخبار * واقتداء بطريق الاخيار * واداء لبعض حقوق استغرقته من ضروب الاحسان التي من جملتها هذا التاليف العظيم الشان فقال (الحمد) هو الوصف بالجميل على جهة التبجيل سواء تعلق بالفضائل ام بالفواضل

Digitized by Google

والمدح هو الوصف به مطلقا والشكر ما دل على تعظيم المنعم قولا وعملا
واعتقادا فهو اعم منهما من وجه ونقيضها الذم والهجو والكفران وايثاره على الشكر
ليعم الفضائل والفواضل وعلى المدح ليشعر بانه فاعل مختار وتعريفه للحقيقة
دلالة على اختصاص الجنس المستلزم لاختصاص المحامد او للاستغراق بقرينة
المقام والاول اولى ولما كان الحمد اشيع واظهر لخفاء الاعتقاد واحتمال العمل
قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده
(لله) هو اسم للذات من حيث هي هي او باعتبار اتصافه بصفات الكمال
ومن خواصه انه يوكد كل وصف يقارنه مثلا مع الرحمن يوكد معنى الرحمة
ومع القادر يوكد معنى القدرة وهلم جرا لانه اعظم الاسماء لدلالته
على الذات الجامعة لصفات الالوهية وغيره لا يطلق الا على آحاد المعاني
فلا يكون في التنزيل مكررا محضا واختار اسم الذات المنبئ عن صفات
الكمال ووصفه بما يتفرع عليهما من الافعال ايماءً الى استحقاقه من جميع
الجهات هذا وفي كلام الصوفية ان الحمد كما يكون بالمقال يكون بالفعل ولسان
الحال وهو ظهور الكمالات وحصول الغايات من الاشياء اذ هي اثنية فائحة
ومدح رائقة لمولاها بما يستحقه فالموجودات كلها مسبحة منزهة عن الشريك
حامدة اظهارا لكمالاتها ومظهريتها للصفات الجلالية والجمالية كما قال وان من
شيء الا يسبح بحمده اي بلسان فصيح ملكوتي يسمعه كل من كان له
قلب او القى السمع وهو شهيد و بهذا اللسان نطق الحصى في كف المصطفى
صلى الله عليه وسلم و به تحدث الارض اخبارها و به تنطق الجوارح و به
نطقت السموات والارض حيث قالتا اتينا طائعين والشكر عبارة عن صرف
العبد جميع ما انعم الله عليه من النعم الظاهرة والباطنة فيما خلقه لاجله
فاذا سلك هذا المسلك يكون دائما في مطالعة اقسام نعم الله وملاحظة
دقائق صنعه وفي اعمال الجوارح في الاعمال الصالحة الكاسبة لانوار الملكات
الحميدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب من مزيد محبة النعم ويقتضي
الترقي الى محبة المنعم حتى يتجلى فيه نور الوجوب ويقتدر على التصرف في

الخلق

Digitized by Google

في الخلق بالحق بانفتاح ابواب الغيوب (رب العالمين) اي مالك لجميع الخلق ومربيهم لان الرب مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به مبالغة او نعت من ربه يربه فسمي به المالك لانه يحفظ ما يملك ولا يقال الرب مطلقا اي مفردا الّا لله تعالى ويقال لغيره مضافا كرب المال هذا هو المشهور وفيه بحث اذ ورد في صحيح مسلم لا يقل احدكم ربي بل سيدي ومولاي فلعل الجواز في المقيد بغير اولي العلم واما قول يوسف عليه السلام انه ربي فملحق بالسجود في الاختصاص بزمانه والعالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين او لما علم به الخالق من العلم او العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وبالواو والنون لتغليب العقلاء وهو عبارة عن المخلوقات الغير المتناهية التي لا يحصى عددها (قيوم السموات والارضين) اي خالقهما الدائم والقائم بامورهما وهو مبالغة قائم واصله قيووم جعلت الياء الساكنة والواو الاولى ياء مشددة وهو القائم بذاته المقوم لغيره وانما جمع السماء لاختلافها بالاثار والحركات عند الحس وتباينها في الجنس كما ورد في كتاب المعراج للاستاذ القشيري ان الاولى موج مكفوف والثانية من النحاس والثالثة من الفضة والرابعة من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة من الزمرد والسابعة من النور والعرش من جوهرة خضراء والكرسي من النور او باعتبار كونها افلاك الكواكب السبعة السيارة وقدمها لشرفها وعلو مكانها وافرد الارض في القرآن لاتحادها فيها وانما جمعها المصنف اشعارا بانها مثلها في العدد اي لا هيئة وشكلا فقط كما قال ومن الارض مثلهن وفي كل طبقة ما لا يعلمه الّا الله او لرعاية الفاصلة (مدبر الخلائق اجمعين) اي العالم بعواقبهم ومقدر امورهم ومفيض ما يتوقف عليه وجودهم على وفق علم الغيب الذي لا يظهر على غيبه احدا الّا من ارتضى من رسول وله مراتب من غيب الغيوب المسمى بالعناية الازلية وهو علم الله المحيط بالكل بحضور ذاته لكل العوالم ثم غيب عالم الارواح وهو انتقاش صورة كل ما وجد وسيوجد من الازل الى

تباين اجناس السموات

مراتب علم الغيب

Digitized by Google

الابد في العالم الاول العقلي الذي هو روح العالم المسمى بام الكتاب على
وجه كلي وهو القضاء السابق ثم غيب عالم الغيوب وهو ذلك الانتقاش
بعينه مفصلا علها كليا وجزءيا في عالم النفس الكلية التي هي قلب العالم المسمى
باللوح* المحفوظ ثم غيب عالم الخيال وهو انتقاش الكائنات باسرها في النفوس
الجزءية الفلكية المنطبعة في اجرامها معينة مشخصة مقارنة لاوقاتها على
ما يقع بعينه في هذا العالم وذلك العالم هو المعبر عنه في الشرع بالسماء
الدنيا اذ هو اقرب مراتب الغيوب الى عالم الشهادة قال في الصحاح التدبير
في الشيء النظر فيما يئول اليه عاقبته ثم استعمل في كل تامل والخلائق
جمع خليقة وهي الاشياء المخلوقة فعيلة بمعنى مفعولة والتاء للنقل وانما
جمع ليعلم ان تدبير الكل اليه من العالم العلوي والسفلي من اعلى العرش
الى ما تحت الثرى لا يشغله شان عن شان لان تدبيره لعالم الارواح كتدبيره
لعالم الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى قدرته
احوال شيء من ذلك في الايجاد والاعدام والمنع والعطا (باعث الرسل)
اي مرسلهم (صلوات الله وسلامه عليهم) الرسول من جمع الى المعجزة
الكتاب المنزل عليه والنبي من ينبىء عن الله وان لم يكن معه كتاب وانما
امر ان يدعو الى شريعة من قبله كيوشع كذا في مواضع من الكشاف
وفيه بحث لانه غير جامع اما اولا فلان الرسول قد يكون ملكا الا ان
يخصص بالرسول البشري لانه المتعارف واما ثانيا فلان لوطا واسمعيل
وايوب ويونس وهرون كانوا من المرسلين كما ورد في التنزيل مع انهم لم
يكونوا اصحاب كتب مستقلة فالاولى ان يقال الرسول من جاء اليه
الملك ظاهرا او امر بدعوة الخلق والنبي من راى في النوم او اخبره رسول بانه
نبي ذكره الامام او الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها
والنبي يعمه وهو من بعثه الله لتقرير شرع سابق قاله القاضي البيضاوي
وفي مسند احمد مرفوعا ان عدة الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا
والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر والمشهور ان اولي العزم محمد وابراهيم

مبحث تعريف الرسول والنبي

وموسى

Digitized by Google

وموسى وعيسى ونوح والافضلية بهذا الترتيب والخاتم من اغلق به باب
النبوة فان قلت سياق الكلام يقتضي ان يكون لتلك الاوصاف مدخل في
اقتضاء الحمد لان ترتيب الوصف على الحكم مشعر بالعلية كما تقرر في
الاصول فما وجهه قلت اما ربوبيته للكل بالامداد الرزقية والحفظية
فظاهر انه من المنح الجليلة فتقتضي الحمد واما قيامه بامر السماء والارض
فانه لولاه لاختل العالم فلا يمكن لهم اكتساب المعارف الالهية واللطائف
اليقينية اذ اصلاح المعاد بانتظام امر المعاش واما تدبيره لامور الجمهور فهو
افاضة وجودهم وصفاتهم وجلائل النعم عليهم وما يتوقف عليه بقاوهم ولا
يخفى انه من النعم العظيمة ايضا واما بعثه الرسل فلان الخلق بسبب
احتجابهم بالنشاة عن نور الفطرة وبعدهم عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف
والعلوم من ربهم بل لا بد لهم من واسطة تناسب الحضرة الاحدية من
وجه والرتبة البشرية من وجه فيستفيض بسره المشاهد للحق ويفيض
بظاهره المخالط للخلق وهم الرسل فكانت بعثتهم من النعم الجسام والمنن
العظام (الى المكلفين) اي العقلاء البالغين والعقل الذي هو مناط التكليف
غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الالات قاله الامام وقد تطلقه
الحكماء على جوهر مجرد ليس بحال ولا محل ولا مركب ولا مدبر وعلى النفس
الناطقة التي يشير اليها كل احد بقوله انا وهي جوهر مجرد عن المادة مقارن
لها في فعلها ولها قوتان احداهما قوة بها تتوجه النفس الى ادراك حقائق
الموجودات والاحاطة باصناف المعقولات وتسمى عقلا نظريا والاخرى قوة
بها تتصرف بالراي والروية في الموضوعات المادية وتستنبط صناعات بها
ينتظم امر المعاش وتسمى عقلا عمليا وفي كلام بعض الصوفية انه جوهر نظري
يتميز به الصلاح من الفساد والخير من الشر فان تعلق بالخالق فهو عقل الهداية
والمعاد وان تعلق بالخلق فهو عقل المغارس والمعاش (لهدايتهم) الى ذات
الله وصفاته وافعاله وهي الدلالة الموصلة الى المطلوب يتعدى بنفسه
والى واللام ويقابلها الضلالة كذا في الكشاف وهداية الله على انواع غير

تعريف العقل عند الحكماء

تفسير الهداية ومراتبها

Digitized by Google

محصورة لكنها منحصرة في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى المدركة ومنه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى الثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل ومنه وهديناه النجدين الثالث الدعوى بارسال الرسل وانزال الكتب ومنه وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا الرابع كشف السراير على الضمائر بالوحي والالهام والحدس والمنام ومنه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الخامس الايصال الى الجنة ومنه الحمد لله الذي هدانا لهذا وهداية الرسل بدلالة العوام الى الجنة و بارشاد الخواص طريق السير في الله ليمحو عنهم ظلمات احوالهم و يميط غواشي ابدانهم فيستضيئون بنور القدس و يرونه بنوره في مجامع الانس (و بيان شرائع الدين) الشريعة لغة نهج الطريق الواضح الى الماء واصطلاحا الطريقة الالهية المثبتة للاحكام المتضمنة لمصالح العباد وعمارة البلاد والنجاة في المعاد وشبهت بها لانها طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية هكذا ذكره القاضي في التفسير والدين لغة الطاعة والجزاء وشرعا وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات والدين والملة يتحدان ذاتا و يختلفان اعتبارا فان الشريعة من حيث انها تطاع تسمى دينا ومن حيث انها يجمع عليها تسمى ملة وقوله لهدايتهم اشارة الى البعثة وهي دعوة الخلق الى الحق وارشاد الخلائق الى مصالح المعاش والمعاد واعلامهم بما يعجز عن معرفته عقولهم كالحشر والنشر واحوال الجنة والنار وتعيين وظائف الطاعات واوقاتها و بيان الحدود والاحكام بالدلائل وذلك لان الانسان لما لم يكن بحيث يستقل وحده بامر معاشه من غذائه ولباسه ومسكنه بل لا يتم الا بمشاركة من ابناء جنسه ومعاونة ومعاوضة يجريان بينهما والظلم من شيم النفوس اذ كل يشتهي ما يفتقر اليه فاحتيج الى عدل متفق عليه ولما كانت الجزءيات غير محصورة مست الحاجة الى قوانين كلية وهي شرائع الدين ولا بد لها من شارع ممتاز باستحقاق الطاعة لينقاد له المكلفون في قبول الشريعة وذلك باختصاصه بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة دالة على انه من عند الله كما اشار اليه المصنف

مطلب تفسير الشريعة والدين

Digitized by Google

بقوله (بالدلائل) اي حال كونهم متلبسين بالدلائل جمع دليل وهو المرشد لغة واصطلاحا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري والمراد بها المعجزات الدالة على صدقهم ليمتازوا باستحقاق الطاعة وتقبل منهم الاحكام ونطاع شريعتهم مدا الايام (القطعية) الموجبة للعلم لانها تقطع معارضة الخصم اذا حصل القطع والجزم بغلبتها و يقابلها الظنية (وواضحات البراهين) اي البراهين الواضحة دلالتها على المقاصد قال الزمخشري في الاساس البرهان بيان الحجة وايضاحها من البرهرهة وهي البيضاء من الجواري كما اشتق السلطان من السليط لاضاءته (احمده) اثبت اولا الحمد لله وعقبه باوصاف هي من المواهب واعظم المنن وكان كل منها مقتضيا لتجديد الحمد فعدل عن الجملة الاسمية الى الفعلية وايضا عم اولا ثم خصصه باسناده الى نفسه وقال احمده (على جميع نعمه) جمع نعمة وهي الحالة المستلذة فاطلقت على كل مستلذة وقيل المنفعة الخالصة عن الضرر ولذا اختلف في ان الجاحد منعم عليه او لا وهي اما دنيوية او اخروية والاول اما وهبي كخلق البدن والقوى ونفخ الروح واشراقه بالعقل وما يتبعه او كسبي كتخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل والاخروي ان يغفر الله ما فرط منه و يرضى عنه و يبوءه في اعلا عليين مع النبيين والصديقين (واساله المزيد من فضله) اي من افضاله واحسانه والفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة وهو الزيادة على الاقتصاد فمنه محمود كفضل العلم والحلم ومذموم كفضل الشهوة (وكرمه) الكرم ضد اللوم وهو اجتماع الخير وكثرته كذا قيل والتحقيق ان الكرم يستعمل بمعنى نفي النقائص عن الشيء ووصفه بجميع المحامد و بمعنى ايثار الصفح عن الجاني و بمعنى السودد الذي يكون عن بذل المعروف (واشهد ان لا اله الّا الله) اي لا معبود بالحق الّا هذا الفرد الموجود بالحق الجامع لصفات الالوهية الحاوي لنعوت الربوبية فالتوحيد لا يحصل الّا بان يكون الاله بمعنى المعبود بالحق و يجعل الله علما للذات لا اسما لمفهوم واجب الوجود والّا يلزم الكذب ان اريد بالاله مطلق المعبود لكثرة المعبودات

Digitized by Google

الباطلة او استثناء الشيء من نفسه ان لم يجعل علما وللامام الرازي هاهنا سوال مشهور وهو انه ان قدر لا اله في الوجود إلّا الله لجاز ان يكون في الامكان وان قدر في الامكان يصير المعنى لا اله ممكن إلّا الله فانه ممكن وان قدر لا اله في الوجود والامكان يصير المعنى لا اله ممكن موجود إلّا الله فانه موجود ممكن والجميع باطل فلا يتم بها التوحيد لكنها كلمة توحيد اتفاقا وجوابه ان يقال التقدير لا اله موجود ازلا وابدا إلّا الله فانه موجود ازلا وابدا لانها سالبة ضرورية خارجية فيكون معناه الوجود ضروري السلب عن كل فرد من افراد الاله حال الحكم وقبله وبعده اذ يجب ان يثبت للمستثنى ما نفي عن المستثنى منه واذا ثبت ان الوجود ضروري السلب عن جميع افراد الاله غير الله لم يتصف اله غير الله بوجود ازلا وابدا وإلّا لم يكن وجوده ضروريا واذا كان كذلك يحصل به التوحيد لان المراد نفي تعدد وجود المعبود بالحق ازلا وابدا والشهادة هي الاخبار بصحة الشيء الناشي عن العلم وهي اخص من الاقرار والعلم اذ العلم قد يخلو عن الاقرار وهو عن العلم والشهادة جامعة لهما وان هي المخففة من الثقيلة والجملة مقول اشهد (الواحد) المتعالي عن التجزي والانقسام فان الواحد يطلق ويراد به عدم الانقسام ويكثر اطلاق الاحد بهذا المعنى والله سبحانه من حيث انه منزه عن التركيب واحد ومن حيث انه متعال عن الشبيه احد ذكره القاضي عياض وفي جامع الاصول ان الاحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد ويطلق على المذكر والمونث والواحد وضع لمفتتح العدد ولا يستعمل إلّا في الاثبات هذا هو الفرق لفظا واما معنى فلان الاحد المنفرد باعتبار الصفات والواحد باعتبار الذات ولذا قال بعض الصوفية الواحد المنزه عن الشريك المماثل مع جواز اعتبار الكثرة الاعتبارية بحسب صفاته والاحد المنزه عن اعتبار التعدد والتكثر فيه بحسب ذاته والوصفان سلبيان لازمان له من غير اعتبار الغير فان الاحد نفي اعتبار الغير معه حتى الصفات التي هي اعتبارات والنسب لا وجود لها في الخارج كما قال علي كرم الله وجهه وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه (القهار) اي الذي ما من موجود

اشكال الرازي في كلمة التوحيد

الفرق بين الشهادة والعلم والاقرار

الفرق بين الواحد والاحد

Digitized by Google

إلّا وهو مقهور قدرته ومسخر لقضائه عاجز عن قبضته (الكريم) اي المقدس عن النقائص والعيوب (الغفار) اي الذي يستر العيوب والقبائح باسبال الستر في الدنيا وعدم المواخذة في العقبى (واشهد ان محمدا) سمي به لكثرة حامديه او لكثرة خصاله المحمودة (عبده ورسوله) جمع بينهما ليدفع الافراط والتفريط الذي وقع في شان عيسى عليه السلام وقدم العبد ترقيا من الادنى للاعلى وفي كلام الصوفية انه لا مقام اشرف من العبودية اذ بها ينصرف من الخلق الى الحق وينعزل عن التصرفات وبالرسالة من الحق الى الخلق ويقبل على التصرفات ولذا قال اسرى بعبده ولم يقل برسوله فلا يكون ترقيا والعبد الحقيقي من يكون حرا عن الكونين وهو نبينا صلى الله عليه وسلم اذ يقول امتي امتي وكل نبي يقول نفسي نفسي ولانه هو الذي صحح نسبة العبودية كما ينبغي فاطلق عليه اسم العبد في القرآن وقيد لسائر الانبياء وهو من قولهم طريق معبد اي مذلل بكثرة الوطي فسمي به لذلته وانقياده (وحبيبه وخليله) اما كونه حبيبا فلقوله الا وانا حبيب الله ولا فخر وعن الامام جعفر الصادق انه قال اظهر الله اسم الخلة لابراهيم واخفى اسم المحبة لمحمد لتمام حبه اذ لا يحب الحبيب اظهار حال الحبيب لئلا يطلع عليه سواه وقال لنبيه لما اظهر له حالة المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اشعارا بانه لا طريق الى محبته إلّا باتباع حبيبه واما كونه خليلا فلقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا نفى ان يكون له خليل غير ربه فثبتت خلته اذا تقرر هذا فنقول الخليل هو الصديق المفتقر اليه والمعتمد في كل الامور عليه او المحب الكامل الموفي بحقيقتها الذي ليس فيه تقصير ولا خلل وسمي به ابراهيم لانه اما من الخلة بالفتح وهي الخصلة لانه تخلق بخصال حسنة اختص بها لاختصاص الانقطاع لانه انقطع الى ربه بهمة وقصر حاجته عليه حيث قال لجبريل اما اليك فلا او من التخلل لان الحب تخلل وسط قلبه واستولى عليه او من الخلة بالضم وهي الصداقة التي توجب تخلل الاسرار والحاجة

الخلة والمحبة

Digitized by Google

لانه بريء من الافتقار الى احد غير الله وجميع ذلك موجود في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلا جرم جعله الله خليلا وهو ابلغ من الصاحب والرفيق الّا انه اعم من الحبيب وسمي محمدا صلى الله عليه وسلم حبيبا لانه احاطت المحبة بحبة قلبه فكان المحبة جعلت ثلمة في قلب الخليل لما تخللت فيه فصار بها خليلا كما يجعل بالخلال فرجة في الاسنان واملات قلب الخليل واحاطت به وشملت جميع وجوده فصار حبيبا اذ المحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب هذا تحقيق بديع مجموع من اشتات كلام الايمة وسيجيء معنى المحبة واقسامها على وجه لم يسبق اليه وبالله تعالى التوفيق *

(* فصل *)

فصل في عموم المحبة وخصوص الخلة

واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه عائشة ولابيها الصديق ولعمر الفاروق وغيرهم وايضا فان الله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين والشاب التائب حبيب الله وانما يكون له هذا ان الهم العلم والفهم عن الله ورسوله قاله ابن القيم الجوزي في كتابه الجواب الكافي عن الدواء الشافي (افضل المخلوقين) لان الانبياء افضلهم وهو افضلهم لقوله تعالى وما ارسلناك الّا رحمة للعالمين وقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ولان معجزاته اكثر ودينه اقوى والّا لم ينسخ به سائر الاديان ولان امته افضل لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس ولا شك ان خيرتهم بحسب كمالهم في الدين وذلك بكمال نبيهم الذي يتبعونه والاستدلال بقوله انا سيد ولد آدم ولا فخر ضعيف لانه لا يدل على كونه افضل من آدم مع انه افضل من آدم بل من اولاده وغير ذلك واما قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا

بين

بين الانبياء فالنهي عن تفضيل يودي الى الخصومة او ان ينتقص المفضول
او في نفس النبوة لا سائر الفضائل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
(المكرم بالقرآن) الذي هو افضل ما عظم به من المعجزات لانه اطلع
بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام واحوال الملائكة
والانبياء وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم
العلوي وعلى الاحكام الالهية المقتضية الى صلاح المعاش والمعاد والقرآن مصدر
قرا بمعنى الجمع نقل الى هذا المجموع المقرو المنزل على الرسول المنقول
عنه فيما بين الدفتين تواترا وهذا هو المراد هنا وقد يطلق في الاصول على
القدر المشترك بينه وبين اجزائه الذي يحصل به الاعجاز (العزيز) اي
الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه
لانه مصداق ما بين يديه من العلوم النازلة على الانبياء السابقين ٠ وذلك
لان الغالب على موسى عليه السلام عند الرجوع الى البقاء بعد الفنا بالوجود
الموهوب قوة النفس وسلطانها ولهذا اخذ براس اخيه يجره اليه وقال عند
طلب التجلي رب ارني انظر اليك وكان اكثر التوراة علم الاحكام التي
تتعلق باحوال النفس وتهذيبها ودعوته الى الظاهر والغالب على عيسى
عليه السلام قوة القلب ونوره ولهذا تجرد عن ملابس الدنيا وامر بالترهب
وقال لبعض اصحابه اذا لطمت في خدك فادر الخد الآخر لمن لطمك وكان
اكثر الانجيل علم تجليات الصفات والاخلاق والمواعظ المتعلقة باحوال
القلب وتصفيته وتنويره ٠ والغالب على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
سلطان الروح ونوره وقوة التوحيد الشامل لكمال الكل فكان جامعا لمكارم
الاخلاق متمما لها وكان القرآن شاملا لما في الكتابين من العلوم والمعارف
والاحكام مع زيادات في المحبة والتوحيد والدعوة اليه بل تجلى الحق لعباده
في كلامه ولكن لا يبصرون قاله الامام الصادق فيكون عزيز الوجود غزير
المكارم والجود (المعجزة) هي الامر الخارق للعادة الظاهر من نفس خيرة
الداعي الى السعادة المقرون بالتحدي مع عدم المعارض ٠ واعجازه اما لصرف

ما غلب على اخلاق الرسل عليهم السلام

Digitized by Google

مطلب وجوه اعجاز القرآن العظيم

الله الناس عن المعارضة وسلبه مقدرتهم عليها . او عدم ابتذاله بكثرة المداولة . او لاخباره عن المغيبات مع ان الآتي بالقرآن امي . او لكونه بديع النظم عجيب التاليف متناه في البلاغة بحيث لا يقدر بليغ على الاتيان بمثله وهذا هو الحق وكما ان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصف بلاغته كما هو فوق طاقة البشر فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح ولله در صاحب المفتاح حيث قال واعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن والملاحة فمدرك الاعجاز هو الذوق وتانيثه اما للمبالغة او باعتبار الايات (المستمرة على تعاقب السنين) لان الله تكفل حفظها فلم تزل طائفة يدرسونه ويحفظونه باحتياط بليغ وجد كامل ولم يقدر احد على تحريف حرف منه بل لحنة فبقي بعد ثمانمائة سنة كذلك فلم يبق للموحد شك في اعجازه بخلاف غيره من الكتب فان الله لم يتول حفظها بل استحفظها الاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف (و) المكرم (بالسنن) جمع سنة وهي الطريقة وشرعا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره او ما وضعه الرسول فرضا او نفلا وهي فعلة بمعنى مفعولة من سن الماء يسنه اذا والى صبه فكانه اجراه على نهج واحد او من سننت النصل احددته او من سن الابل اذا احسن رعيها (المستنيرة للمسترشدين) اي الهادية المضيئة لطلاب الرشاد وسلاك طريق الحق والسداد اذ لا محيص من ظلمات البدعة والضلالة إلّا بالاستضاءة من انوار السنة والهدى (المخصوص بجوامع الكلم) تلميح الى قوله ارتيت جوامع الكلم او بعثت بها وهو القرآن جمع الله سبحانه بلطفه معاني كثيرة في الفاظ يسيرة او ايجاز الكلم في اشباع المعاني فالكلمة القليلة الحروف تتضمن كثيرا من المعاني كذا في شرح السنة وبلسان العارفين معناه بعثت بالسنة الصفات وكلمات المقامات من بحر الحقائق يظهر الحق بلساني . وبياني بيان الحق الذي تكلم به للخلق وهو اشارة الى عين الجمع . والتركيب من باب القلب او تضمين معنى

التمييز

Digitized by Google

التمييز والتعيين كما في قول الزمخشري نخصك بالعبادة . والكلم جمع كلمة وهي اللفظ المفرد اطلقت على الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض كالقصيدة والشهادة مجازا مرسلا من باب اطلاق اسم الجزء على الكل او استعارة مصرحة لمشابهة المفرد في الوحدة . وتركيب « ك ل م » يفيد القوة والشدة ولذا سميت الكلمة كلمة لانها تقرع السمع (وسماحة الدين) اشارة الى قوله بعثت بالحنيفية السمحا السهلة لانه وضع على الامم السابقة التكاليف الشاقة كتعيين القصاص عمدا كان القتل او خطا من غير شروع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الثوب والجلد من غير ايجاب الغسل واذا اذنب احدهم اصبح على بابه فيجد وغيرها وفي مجيء الصفات لله والرسول هكذا مسرودة بلا عطف ايذان باستقلال كل صفة على حيالها ولما كانت مستمرة اوردها بجملة اسمية (صلوات الله وسلامه عليه) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المومنين الدعاء هذا هو المشهور قالوا والتحقيق انها تستعمل في قدر مشترك بينها وهو الامداد لان المدد كما يصل من فوق بالاضافة يصل من تحت بالاستضافة حتى لا يلزم استعمال المشترك في معانيه وان جوزه الشافعي ومعنى الصلاة عليه تعظيمه في الدنيا باعلاء كلمته وابقاء شريعته وفي الاخرة بتعظيم مثوبته والسلام اعطاء السلامة اي التعري من الافات الظاهرة والباطنة (وعلى سائر النبيئين) السائر بمعنى الباقي من السور بالهمز وهو البقية ويستعمل بمعنى الجميع من سور المدينة لانه جامع قاله في الصحاح لكنه ليس بصحيح ذكره في النهاية والنبيء من النبا لانه المنبئ عن عالم الغيب ما تستقل العقول بادراكه فعيل بمعنى فاعل او النبوة الارتفاع لعلو شانه فعيل بمعنى مفعول واستعمل بمعنى الجميع قاله في الصحاح (وآل كل) اي اقاربهم او من اختص بهم من حيث العلم والعمل واصله اهل بدليل اهيل واهال ابدلت الى اول على خلاف القياس ثم الى آل وجوبا ولا يستعمل إلّا فيما له خطر فلا يقال آل الحائك (وسائر الصالحين) جمع صالح وهو القائم

بحقوق الله وحقوق العباد والصلاح هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة ويقابله الفساد اي خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به (اما بعد) هو فصل الخطاب الذي اوتي داوود عليه السلام في قوله آتيناه الحكمة الى آخره واما للتفصيل يقتضي متعددا لفظا او تقديرا وفائدته المبالغة في الشرط بحصول جوابه لانه جعل لازما لحصول ما هو واجب الوقوع ولذا قال سيبويه معناه مهما يكن من شيء اي في الدنيا وبعد ظرف لما في حيز جوابه وهو قوله (فقد روينا) بصيغة المجهول مخففا اي روي الينا سماعا او قراءة او اجازة خاصة او عامة او مناولة او مكاتبة او اعلاما او وجادة او بصيغة المعروف ليكون قوله ان مع صلتها مفعولا له وجعله مشددا بعيد رواية ودراية (عن علي بن ابي طالب) هو اول من اسلم من الصبيان وله سبع سنين او ثمان شهد المشاهد كلها الّا تبوك اخو٢ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره بعل سيدة نساء العالمين احد علماء الربانيين بل اوحدهم والشجعان المشهورين بل اشجعهم استشهد غداة الجمعة سنة اربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم لسبع بقين من رمضان ومات بعد ثلاث وكان له ثلاث وستون سنة ودفن عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي ابواب كندة قاله الصغاني او في قصر الامارة عند المسجد الجامع وغيب قبره وصلى عليه ابنه الحسن كذا في تاريخ اليافعي ومدة خلافته خمس سنين الّا ثلاثة اشهر ونقش خاتمه الله الملك وكنيته ابو الحسن وابو تراب كناه النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما بالمسجد وقد علق التراب بجسمه فايقظه وقال قم يا ابا تراب ولقب ايضا بحيدرة ومروياته خمسمائة وستة وثمانون حديثا (وعبد الله بن مسعود) الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهوره ونعليه في السفر توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين او سبعين ومروياته ثمانمائة وثمانية واربعون حديثا (ومعاذ بن جبل) الانصاري شهد بدرا ومشاهد بعدها وبعث الى اليمن قاضيا ومعلما مات في طاعون عمواس بالاردن سنة

مطلب ترجمة الخليفة الرابع رضي الله تعالى عنه

٢ اشارة الى ما اخرجه الترمذي من ان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والآخرة

ترجمة عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه

ترجمة معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه

ثماني

Digitized by Google

ابو الدرداء رضي الله تعالى عنه

ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ومروياته مائة وسبعة وخمسون حديثا (وابي الدرداء) عويمر بن عامر الانصاري كان فقيها عالما شهد المشاهد وسكن الشام ومات بها سنة اثنين وثلاثين ومروياته مائة وتسعة وسبعون حديثا (وعبد الله بن عمر) اسلم مع ابيه وهو صغير كان شديد الاتباع بافعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآدابه توفي بمكة سنة ثلاث وسبعين وولد قبل الوحي بسنة ومروياته الفان وسبعمائة وثلاثون حديثا (وعبد الله ابن عباس) حبر الامة وعالمها رأى جبريل مرتين مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين ومروياته الف وستمائة وثمانية وستون حديثا وهو احد العبادلة الاربعة عبد الله بن عمر . وعبد الله بن عباس . وعبد الله ابن عمرو . وعبد الله بن الزبير . قاله احمد بن حنبل وسائر المحدثين واما قول الجوهري ان ابن مسعود واحد العبادلة فادخله فيهم واخرج بن عمر فغلط (وانس بن مالك) بن ضمضم الانصاري خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين ودعا له بكثرة المال والولد وطول العمر فاثمرت ارضه كل عام مرتين ودفن من صلبه سوى اسباطه خمسا وعشرين ومائة ومات بالبصرة بعد ان عمر اكثر من مائة وهو آخر من مات من الصحابة فيها ولد قبل الهجرة بعشر ومات سنة احدى او اثنين او ثلاث وتسعين ومروياته الفان ومائتا حديث وستة وثمانون (وابي هريرة) الدوسي عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثة وثلاثين وجها كان في صغره يلعب بهرة وفي كبره يحسن اليها فكني بها اسلم سنة ست وكان عريف اصحاب الصفة ومات سنة تسع او سبع وخمسين بالمدينة وله ثمان وسبعون سنة احاديثه المرفوعة خمسة آلاف وثلاثمائة واربعة وسبعون (وابي سعيد الخدري) منسوب الى خدرة بدال مهملة اسم قبيلة من الانصار كان من الحفاظ المكثرين والعلماء الصالحين الفاضلين مات سنة اربع وسبعين وله اربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع ومروياته الف ومائة وسبعون رضي الله عنهم (من طرق كثيرات بروايات متنوعات ان رسول الله صلى الله

عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه

عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه

انس بن مالك رضي الله تعالى عنه

ابو هريرة رضي الله تعالى عنه

ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه

Digitized by Google

مطلب التعريف بالنسب الشريف والنشاة النبوية على صاحبها افضل التحيــــة

عليه وسلم) هو ابو القاسم محمد بن عبد الله خاتم النبيئين وسيد المرسلين حملت به امه في ايام التشريق في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى وولد بمكة عام الفيل او قبله بثلاثين او اربعين يوما ومات ابوه لما اتى عليه شهران او سبعة اشهر ولما بلغ ستا او اربعا ماتت امه وكان في حجر جده عبد المطلب ثماني سنين وشهرين وعشرة ايام فتوفي و وليه ابو طالب وذهب به الى الشام بعد ماتم له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة ايام وعاد من بصرى وخرج اليها مرة اخرى مع ميسرة غلام خديجة لتجارة لها وتزوجها بعد ما بلغ خمسا وعشرين سنة وبقيت عنده ثمانية عشر سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين شهد بنيان الكعبة ولما تم له اربعون

البعثة النبويــة

بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا فما من شجر ولا حجر إلّا سلم عليه السلام عليك يا رسول الله وفرض عليه التوحيد والتبليغ وقراءة القرآن ولما

الاسراء وافتراض الفـــروض

اتت عليه احدى وخمسون وتسعة اشهر اسري به وخص بالروية وفرض عليه خمس صلوات ولما بلغ ثلاثا وخمسين هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الاول ودخلها يوم الاثنين واذن له في السنة الثانية في الجهاد لمن ابتدا به في غير الاشهر الحُرم والحرَم ثم ابيح ابتداوهم فيهما ايضا وفرض فيها صوم رمضان واما الزكاة فقيل فرضت قبله وقيل بعده وفرض الحج في السنة السادسة او الخامسة وفيها بيعة الرضوان

فتح مكـــة

وفي الثامنة فتح مكة وفي العاشرة حجة الوداع وكانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة بالاجماع ولم يحج بعد الهجرة إلّا اياها وقبلها لم تضبط حجاته واعتمر اربعا وكانت غزواته سبعا وعشرين وسراياه ستا وخمسين وتزوج

عدد امهـــات المومنيـــن

احدى وعشرين امراة طلق ستا ومات عنده خمس فتوفي عن عشرة لم يدخل بواحدة منهن واولاده ثمانية ولما بلغ ثلاثا وستين اختار الرفيق الاعلى يوم الاثنين وسط النهار لثنتي عشرة خلت من اول ربيعي سنة

انتقاله للرفيق الاعلى

احدى عشرة ودفن ليلة الثلاثاء او الاربعاء هذا وفي كون وفاته يوم الاثنين مع كون وقفة عرفة يوم الجمعة في السنة العاشرة اشكال يعرف

بالتامل

Digitized by Google

بالتامل (قال من حفظ على امتي) اي لاجل تعليم امتي رقيبا عليهم ففيه تضمين ويجوز ان يكون حالا اي من حفظ اربعين مراقبا اياها بحيث تبقى مستمرة على امتي والحفظ تارة يقال على قوة النفس التي بها تدبير ما يودي اليه الفهم وتارة لضبط الشي في النفس وتارة لاستعمال تلك القوة وقال المولف معنى الحفظ ان ينقل الاحاديث الى المسلمين وان لم يحفظها ولا عرف معناها . والامة جمع لهم جامع من دين او زمان او مكان تطلق تارة على كل من بعث اليهم ويسمون امة الدعوى واخرى على المومنين وهم امة الاجابة وهذا هو المراد وقد يطلق على الواحد تعظيما كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا (اربعين حديثا) الحديث ضد القديم يستعمل في قليل الكلام وكثيره لانه يحدث شيئا فشيئا واصطلاحا اعم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصحابيّ او التابعي وفعلهم وتقريرهم واسرار القول والمراد هو الاول (من امر دينها) اي مما يتعلق بامر دينهم اصولا وفروعا (بعثه الله تعالى يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء) الزمرة الجماعة من الناس والفقه لغة العلم بفرض المخاطب واصطلاحا العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المكتسبة من ادلتها التفصيلية والعلم صفة توجب التمييز بين الاشياء لا تحتمل النقيض (وفي رواية بعثه الله فقيها عالما وفي رواية ابى الدرداء رضي الله عنه وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه قيل له ادخل من اي ابواب الجنة شئت) فان قلت اي مما يقتضي صدر الكلام فلم قدم الفعل والجار فالجواب انه ان بقي فيه معنى الاستفهام فيحمل على الحذف اي ادخل من اي ابواب الجنة شئت ادخل والّا كما في الحديث فلا حاجة الى ذلك وان جاز لرعاية حق الصورة واما دخول الجار فيقدر الاستفهام قبله وخص به لاتحاده بالمجرور لشدة الاتصال بينهما فكانهما كلمة واحدة (وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما كتب في زمرة العلماء وحشر في زمرة الشهداء) الشهيد المستشهد المقتول لانه مشهود له بالجنة او لانه

لانه بريء من الافتقار الى احد غير الله وجميع ذلك موجود في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلا جرم جعله الله خليلا وهو ابلغ من الصاحب والرفيق إلّا انه اعم من الحبيب وسمي محمدا صلى الله عليه وسلم حبيبا لانه احاطت المحبة بحبة قلبه فكان المحبة جعلت ثلمة في قلب الخليل لما تخللت فيه فصار بها خليلا كما يجعل بالخلال فرجة في الاسنان واملات قلب الخليل واحاطت به وشملت جميع وجوده فصار حبيبا اذ المحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب هذا تحقيق بديع مجموع من اشتات كلام الايمة وسيجيء معنى المحبة واقسامها على وجه لم يسبق اليه وبالله تعالى التوفيق *

﴿* فصل *﴾

فصل في عموم المحبة وخصوص الخلة

واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه عائشة ولابيها الصديق ولعمر الفاروق وغيرهم وايضا فان الله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين والشاب التائب حبيب الله وانما يكون له هذا ان الهم العلم والفهم عن الله ورسوله قاله ابن القيم الجوزي في كتابه الجواب الكافي عن الدواء الشافي (افضل المخلوقين) لان الانبياء افضلهم وهو افضلهم لقوله تعالى وما ارسلناك إلّا رحمة للعالمين وقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ولان معجزاته اكثر ودينه اقوى وإلّا لم ينسخ به سائر الاديان ولان امته افضل لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس ولا شك ان خيرتهم بحسب كمالهم في الدين وذلك بكمال نبيهم الذي يتبعونه والاستدلال بقوله انا سيد ولد آدم ولا فخر ضعيف لانه لا يدل على كونه افضل من آدم مع انه افضل من آدم بل من اولاده وغير ذلك واما قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا

بين

بين الانبياء فالنهي عن تفضيل يودي الى الخصومة او ان ينتقص المفضول
او في نفس النبوة لا سائر الفضائل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
(المكرم بالقرآن) الذي هو افضل ما عظم به من المعجزات لانه اطلع
بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام واحوال الملائكة
والانبياء وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم
العلوي وعلى الاحكام الالهية المقتضية الى صلاح المعاش والمعاد والقرآن مصدر
قرا بمعنى الجمع نقل الى هذا المجموع المقرو المنزل على الرسول المنقول
عنه فيما بين الدفتين تواترا وهذا هو المراد هنا وقد يطلق في الاصول على
القدر المشترك بينه وبين اجزائه الذي يحصل به الاعجاز (العزيز) اي
الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه
لانه مصداق ما بين يديه من العلوم النازلة على الانبياء السابقين • وذلك
لان الغالب على موسى عليه السلام عند الرجوع الى البقاء بعد الفنا بالوجود
الموهوب قوة النفس وسلطانها ولهذا اخذ براس اخيه يجره اليه وقال عند
طلب التجلي رب ارني انظر اليك وكان اكثر التوراة علم الاحكام التي
تتعلق باحوال النفس وتهذيبها ودعوته الى الظاهر والغالب على عيسى
عليه السلام قوة القلب ونوره ولهذا تجرد عن ملابس الدنيا وامر بالترهب
وقال لبعض اصحابه اذا لطمت في خدك فادر الخد الآخر لمن لطمك وكان
اكثر الانجيل علم تجليات الصفات والاخلاق والمواعظ المتعلقة باحوال
القلب وتصفيته وتنويره • والغالب على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
سلطان الروح ونوره وقوة التوحيد الشامل لكمال الكل فكان جامعا لمكارم
الاخلاق متمما لها وكان القرآن شاملا لما في الكتابين من العلوم والمعارف
والاحكام مع زيادات في المحبة والتوحيد والدعوة اليه بل تجلى الحق لعباده
في كلامه ولكن لا يبصرون قاله الامام الصادق فيكون عزيز الوجود غزير
المكارم والجود (المعجزة) هي الامر الخارق للعادة الظاهر من نفس خيرة
الداعي الى السعادة المقرون بالتحدي مع عدم المعارض • واعجازه اما لصرف

ما غلب على
اخلاق الرسل
عليهم السلام

Digitized by Google

مطلب وجوه اعجاز القرآن العظيم

الله الناس عن المعارضه وسلبه مقدرتهم عليها . او عدم ابتذاله بكثرة المداولة . او لاخباره عن المغيبات مع ان الآتي بالقرآن امي . او لكونه بديع النظم عجيب التاليف متناه في البلاغة بحيث لا يقدر بليغ على الاتيان بمثله وهذا هو الحق وكما ان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصف بلاغته كما هو فوق طاقة البشر فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح ولله در صاحب المفتاح حيث قال واعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن والملاحة فمدرك الاعجاز هو الذوق وتانيثه اما للمبالغة او باعتبار الايات (المستمرة على تعاقب السنين) لان الله تكفل حفظها فلم تزل طائفة يدرسونه ويحفظونه باحتياط بليغ وجد كامل ولم يقدر احد على تحريف حرف منه بل لحنة فبقي بعد ثمانمائة سنة كذلك فلم يبق للموحد شك في اعجازه بخلاف غيره من الكتب فان الله لم يتول حفظها بل استحفظها الاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف (و) المكرم (بالسنن) جمع سنة وهي الطريقة وشرعا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره او ما وضعه الرسول فرضا او نفلا وهي فعلة بمعنى مفعولة من سن الماء يسنه اذا والى صبه فكانه اجراه على نهج واحد او من سننت النصل احددته او من سن الابل اذا احسن رعيها (المستنيرة للمسترشدين) اي الهادية المضيئة لطلاب الرشاد وسلاك طريق الحق والسداد اذ لا محيص من ظلمات البدعة والضلالة إلّا بالاستضاءة من انوار السنة والهدى (المخصوص بجوامع الكلم) تلميح الى قوله اوتيت جوامع الكلم او بعثت بها وهو القرآن جمع الله سبحانه بلطفه معاني كثيرة في الفاظ يسيرة او ايجاز الكلم في اشباع المعاني فالكلمة القليلة الحروف تتضمن كثيرا من المعاني كذا في شرح السنة وبلسان العارفين معناه بعثت بالسنة الصفات وكلمات المقامات من بحر الحقائق يظهر الحق بلساني . وبياني بيان الحق الذي تكلم به للخلق وهو اشارة الى عين الجمع . والتركيب من باب القلب او تضمين معنى

التمييز

التمييز والتعيين كما في قول الزمخشري نخصك بالعبادة . والكلم جمع كلمة وهي اللفظ المفرد اطلقت على الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض كالقصيدة والشهادة مجازا مرسلا من باب اطلاق اسم الجزء على الكل او استعارة مصرحة لمشابهة المفرد في الوحدة . وتركيب « كلم » يفيد القوة والشدة ولذا سميت الكلمة كلمة لانها تقرع السمع (وسماحة الدين) اشارة الى قوله بعثت بالحنيفية السمحا السهلة لانه وضع على الامم السابقة التكاليف الشاقة كتعين القصاص عمدا كان القتل او خطا من غير شروع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الثوب والجلد من غير ايجاب الغسل واذا اذنب احدهم اصبح على بابه فيحد وغيرها وفي مجيء الصفات لله والرسول هكذا مسرودة بلا عطف ايذان باستقلال كل صفة على حيالها ولما كانت مستمرة اوردها بجملة اسمية (صلوات الله وسلامه عليه) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المومنين الدعاء هذا هو المشهور قالوا والتحقيق انها تستعمل في قدر مشترك بينها وهو الامداد لان المدد كما يصل من فوق بالاضافة يصل من تحت بالاستضافة حتى لا يلزم استعمال المشترك في معانيه وان جوزه الشافعي ومعنى الصلاة عليه تعظيمه في الدنيا باعلاء كلمته وابقاء شريعته وفي الاخرة بتعظيم مثوبته والسلام اعطاء السلامة اي التعري من الافات الظاهرة والباطنة (وعلى سائر النبيئين) السائر بمعنى الباقي من السور بالهمز وهو البقية ويستعمل بمعنى الجميع من سور المدينة لانه جامع قاله في الصحاح لكنه ليس بصحيح ذكره في النهاية والنبيء من النبا لانه المنبئ عن عالم الغيب ما تستقل العقول بادراكه فعيل بمعنى فاعل او النبوة الارتفاع لعلو شانه فعيل بمعنى مفعول واستعمل بمعنى الجميع قاله في الصحاح (وآل كل) اي اقاربهم او من اختص بهم من حيث العلم والعمل واصله اهل بدليل اهيل واهال ابدلت الى اول على خلاف القياس ثم الى آل وجوبا ولا يستعمل إلّا فيما له خطر فلا يقال آل الحائك (وسائر الصالحين) جمع صالح وهو القائم

بحقوق الله وحقوق العباد والصلاح هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة ويقابله الفساد اي خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به (اما بعد) هو فصل الخطاب الذي اوتي داوود عليه السلام في قوله آتيناه الحكمة الى آخره واما للتفصيل يقتضي متعددا لفظا او تقديرا وفائدته المبالغة في الشرط بحصول جوابه لانه جعل لازما لحصول ما هو واجب الوقوع ولذا قال سيبويه معناه مهما يكن من شيء اي في الدنيا وبعد ظرف لما في حيز جوابه وهو قوله (فقد روينا) بصيغة المجهول مخففا اي روي الينا سماعا او قراءة او اجازة خاصة او عامة او مناولة او مكاتبة او اعلاما او وجادة او بصيغة المعروف ليكون قوله ان مع صلتها مفعولا له وجعله مشددا بعيد رواية ودراية (عن علي بن ابي طالب) هو اول من اسلم من الصبيان وله سبع سنين او ثمان شهد المشاهد كلها الا تبوك اخو ٢ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره بعل سيدة نساء العالمين احد علماء الربانيين بل اوحدهم والشجعان المشهورين بل اشجعهم استشهد غداة الجمعة سنة اربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم لسبع بقين من رمضان ومات بعد ثلاث وكان له ثلاث وستون سنة ودفن عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي ابواب كنده قاله الصغاني او في قصر الامارة عند المسجد الجامع وغيب قبره وصلى عليه ابنه الحسن كذا في تاريخ اليافعي ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر ونقش خاتمه الله الملك وكنيته ابو الحسن وابو تراب كناه النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما بالمسجد وقد علق التراب بجسمه فايقظه وقال قم يا ابا تراب ولقب ايضا بحيدرة ومروياته خمسمائة وستة وثمانون حديثا (وعبد الله بن مسعود) الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهوره ونعليه في السفر توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين او سبعين ومروياته ثمانمائة وثمانية واربعون حديثا (ومعاذ بن جبل) الانصاري شهد بدرا ومشاهد بعدها وبعث الى اليمن قاضيا ومعلما مات في طاعون عمواس بالاردن سنة

مطلب ترجمة الخليفة الرابع رضي الله تعالى عنه

٢ اشارة الى ما اخرجه الترمذي من ان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والآخرة

ترجمة عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه

ترجمة معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه

Digitized by Google

ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ومروياته مائة وسبعة وخمسون حديثا (وابي الدرداء) عويمر بن عامر الانصاري كان فقيها عالما شهد المشاهد وسكن الشام ومات بها سنة اثنين وثلاثين ومروياته مائة وتسعة وسبعون حديثا (وعبد الله بن عمر) اسلم مع ابيه وهو صغير كان شديد الاتباع بافعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآدابه توفي بمكة سنة ثلاث وسبعين وولد قبل الوحي بسنة ومروياته الفان وسبعمائة وثلاثون حديثا (وعبد الله ابن عباس) حبر الامة وعالمها راى جبريل مرتين مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين ومروياته الف وستمائة وثمانية وستون حديثا وهو احد العبادلة الاربعة عبد الله بن عمر . وعبد الله بن عباس . وعبد الله ابن عمرو . وعبد الله بن الزبير . قاله احمد بن حنبل وسائر المحدثين واما قول الجوهري ان ابن مسعود واحد العبادلة فادخله فيهم واخرج بن عمر فغلط (وانس بن مالك) بن ضمضم الانصاري خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين ودعا له بكثرة المال والولد وطول العمر فاثمرت ارضه كل عام مرتين ودفن من صلبه سوى اسباطه خمسا وعشرين ومائة ومات بالبصرة بعد ان عمر اكثر من مائة وهو آخر من مات من الصحابة فيها ولد قبل الهجرة بعشر ومات سنة احدى او اثنين او ثلاث وتسعين ومروياته الفان ومائتا حديث وستة وثمانون (وابي هريرة) الدوسي عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثة وثلاثين وجها كان في صغره يلعب بهرة وفي كبره يحسن اليها فكني بها اسلم سنة ست وكان عريف اصحاب الصفة ومات سنة تسع او سبع وخمسين بالمدينة وله ثمان وسبعون سنة احاديثه المرفوعة خمسة آلاف وثلاثمائة واربعة وسبعون (وابي سعيد الخدري) منسوب الى خدرة بدال مهملة اسم قبيلة من الانصار كان من الحفاظ المكثرين والعلماء الصالحين الفاضلين مات سنة اربع وسبعين وله اربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع ومروياته الف ومائة وسبعون رضى الله عنهم (من طرق كثيرات بروايات متنوعات ان رسول الله صلى الله

ابو الدرداء رضي الله تعالى عنه

عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه

عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه

انس بن مالك رضي الله تعالى عنه

ابو هريرة رضي الله تعالى عنه

ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه

Digitized by Google

مطلب التعريف بالنسب الشريف والنشأة النبوية على صاحبها افضل التحية

عليه وسلم) هو ابو القاسم محمد بن عبد الله خاتم النبيئين وسيد المرسلين حملت به امه في ايام التشريق في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى وولد بمكة عام الفيل او قبله بثلاثين او اربعين يوما ومات ابوه لما اتى عليه شهران او سبعة اشهر ولما بلغ ستا او اربعا ماتت امه وكان في حجر جده عبد المطلب ثماني سنين وشهرين وعشرة ايام فتوفي وولية ابو طالب وذهب به الى الشام بعد ما تم له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة ايام وعاد من بصرى وخرج اليها مرة اخرى مع ميسرة غلام خديجة لتجارة لها وتزوجها بعد ما بلغ خمسا وعشرين سنة وبقيت عنده ثمانية عشر سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين شهد بنيان الكعبة ولما تم له اربعون

البعثة النبوية

بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا فما من شجر ولا حجر الّا سلم عليه السلام عليك يا رسول الله وفرض عليه التوحيد والتبليغ وقراءة القرآن ولما

الاسراء وافتراض الفروض

اتت عليه احدى وخمسون وتسعة اشهر اسري به وخص بالروية وفرض عليه خمس صلوات ولما بلغ ثلاثا وخمسين هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الاول ودخلها يوم الاثنين واذن له في السنة الثانية في الجهاد لمن ابتدا به في غير الاشهر الحُرُم والحَرَم ثم ابيح ابتداوهم فيهما ايضا وفرض فيها صوم رمضان واما الزكاة فقيل فرضت قبله وقيل بعده وفرض الحج في السنة السادسة او الخامسة وفيها بيعة الرضوان

فتح مكة

وفي الثامنة فتح مكة وفي العاشرة حجة الوداع وكانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة بالاجماع ولم يحج بعد الهجرة الّا اياها وقبلها لم تضبط حجاته واعتمر اربعا وكانت غزواته سبعا وعشرين وسراياه ستا وخمسين وتزوج

عدد امهات المومنين

احدى وعشرين امراة طلق ستا ومات عنده خمس فتوفي عن عشرة لم يدخل بواحدة منهن واولاده ثمانية ولما بلغ ثلاثا وستين اختار الرفيق الاعلى يوم الاثنين وسط النهار لثنتي عشرة خلت من اول ربيعي سنة

انتقاله للرفيق الاعلى

احدى عشرة ودفن ليلة الثلاثاء او الاربعاء هذا وفي كون وفاته يوم الاثنين مع كون وقفة عرفة يوم الجمعة في السنة العاشرة اشكال يعرف

بالتامل

Digitized by Google

بالتامل (قال سن حفظ على امتي) اي لاجل تعليم امتي رقيبا عليهم ففيه تضمين ويجوز ان يكون حالا اي سن حفظ اربعين مراقبا اياها بحيث تبقى مستمرة على امتي والحفظ تارة يقال على قوة النفس التي بها تدبير ما يودي اليه الفهم وتارة لضبط الشيء في النفس وتارة لاستعمال تلك القوة وقال المولف معنى الحفظ ان ينقل الاحاديث الى المسلمين وان لم يحفظها ولا عرف معناها . والامة جمع لهم جامع من دين او زمان او مكان تطلق تارة على كل سن بعث اليهم ويسمون امة الدعوى واخرى على المومنين وهم امة الاجابة وهذا هو المراد وقد يطلق على الواحد تعظيما كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا (اربعين حديثا) الحديث ضد القديم يستعمل في قليل الكلام وكثيره لانه يحدث شيئا فشيئا واصطلاحا اعم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصحابيّ او التابعي وفعلهم وتقريرهم واسرار القول والمراد هو الاول (من امر دينها) اي مما يتعلق بامر دينهم اصولا وفروعا (بعثه الله تعالى يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء) الزمرة الجماعة من الناس والفقه لغة العلم بفرض المخاطب واصطلاحا العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المكتسبة من ادلتها التفصيلية والعلم صفة توجب التمييز بين الاشياء لا تحتمل النقيض (وفي رواية بعثه الله فقيها عالما

وفي رواية ابى الدرداء رضي الله عنه وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا

وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه قيل له ادخل من اي ابواب الجنة شئت) فان قلت اي مما يقتضي صدر الكلام فلم قدم الفعل والجار فالجواب انه ان بقي فيه معنى الاستفهام فيحمل على الحذف اي ادخل من اي ابواب الجنة شئت ادخل والّا كما في الحديث فلا حاجة الى ذلك وان جاز لرعاية حق الصورة واما دخول الجار فيقدر الاستفهام قبله وخص به لاتحاده بالمجرور لشدة الاتصال بينهما فكانهما كلمة واحدة

(وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما كتب في زمرة العلماء وحشر في زمرة الشهداء) الشهيد المستشهد المقتول لانه مشهود له بالجنة او لانه

Digitized by Google

حي عند الله حاضر او لحضور الملائكة اياه (واتفق الحفاظ على انه حديث ضعيف) هو كل حديث لم يجتمع فيه شروط الصحيح والحسن بان يكون بعض رواته مردود بواسطة عدم العدالة او الرواية عمن لم يره او سوء الحفظ او تهمة في العقيدة او عدم المعرفة بما يحدث عنه او الاسناد الى من لا يعرف او بعلل اخر (وان كثرت طرقه) الطرق جمع طريق وهو لغة السبيل واصطلاحا هم الرواة عن الرواة عن الصحابي وان سفلوا يقال هذه رواية ابي هريرة من طريق البخاري ومسلم (وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب ما لا يحصى) اصله العد بالحصى اذ كانوا يعتمدونه والمراد المبالغة والافراط في العد (من المصنفات) الاحصاء عد الشيء قدرا ووزنا وعدا (فاول من علمته صنف فيه) الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد قيد الفردية ولو اشترى في الثانية واحدا لم يعتق لفقدان القيد السابق (عبد الله بن المبارك الامام المجمع على جلالته) وامامته تستنزل الرحمة بذكره وترجى المغفرة بحبه تابع التابعين توفي منصرفا عن الجهاد سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة كان ابوه مملوكا لرجل من همدان (ثم محمد بن اسلم الطوسي العالم الرباني) منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون للدلالة على كمال الصفة كما يقال شعراني وهو الكثيف الشعر الشديد التمسك بدين الله وطاعته كذا في الكشاف وعن المبرد انه منسوب الى ربان الذي يربي الناس بالتعليم واصلاحهم وقال الصوفية انه الكامل من كل الوجوه في جميع المعاني توفي سنة اثنتين واربعين ومائتين (ثم الحسن بن سفيان الثوري) محدث خراسان رحل البلدان وسمع وصنف وكان له كرامات توفي سنة ثلاث وثلاثمائة (وابو بكر الاجري) محمد بن الحسين كان ثقة دينا وله تصانيف كثيرة وحدث ببغداد ثم انتقل الى مكة واستطابها فقال اللهم احيني في هذه البلدة ولو سنة فسمع هاتفا يقول ولم سنة ولكن ثلاثين سنة فلما كملت قيل له قد وفينا لك بالعهد

عبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه

محمد الطوسي رضي الله تعالى عنه

ابو الحسن الثوري رضي الله تعالى عنه

ابو بكر الاجري رضي الله تعالى عنه

فمات

Digitized by Google

فمات سنة ستين وثلاثمائة (وابو بكر بن ابراهيم العطار) مستملي ابي نعيم كان ثقة يملي من حفظه توفي باصبهان سنة ست وستين واربعمائة (الاصبهاني) بالباء والفاء مع كسر الهمزة وفتحها والفتح افصح (والدارقطني) ابو الحسين علي بن عمر الحافظ المنسوب الى واحد من محال بغداد يقال له دار القطن ولد سنة خمس او ست وثلاثمائة ومات سنة خمس وثمانين واربعمائة (والحاكم) محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب المستدرك ولد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ومات سنة خمس واربعمائة (وابو نعيم) محمد بن عبد الله مصنف حلية الاولياء ولد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة ثلاثين واربعمائة (وابو عبد الرحمن) محمد بن الحسين (السلمي) صاحب الحقائق وطبقات الاولياء كان عدلا ثقة استاذ ابي القاسم القشيري والشيخ ابي سعيد بن ابي الخير واثنى عليه الشيخ عبد الله الانصاري كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما هو دابه في شان الايمة توفي يوم الاحد ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة واربعمائة (وابو سعيد) احمد بن محمد (الماليني) منسوب الى مالين قرية بخراسان كان ثقة متقنا صنف وحدث ورحل الى مصر ومات بها في شوال سنة اثنتي عشرة واربعمائة (وابو عثمان الصابوني وابو عبد الله محمد الانصاري الهروي) منسوب الى الانصار وهم الاوس والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة كان كثير السهر حدث وصنف قويا في نصرة السنة توفي بهرات يوم الجمعة من ذي الحجة سنة احدى وثمانين واربعمائة (وابو بكر البيهقي) الامام الكبير مولف شعب الايمان ولد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة ثمان وخمسين واربعمائة واورد المصنف لفظة ثم في الاولين لعله بالتاخر الزماني فيهما بخلاف البواقي ولما خصص المشاهير بالذكر عمم وقال (وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتاخرين وقد استخرت الله تعالى) اي طلبت الخيرة منه تعالى كما دل عليه ناقد النقل وقائد العقل لانها استشارة للرب والمستشار موتمن (في جمع اربعين حديثا اقتداء بهولاء

ابو بكر العطار رضي الله عنه

ابو الحسين الدارقطني رضي الله عنه

الحاكم صاحب المستدرك رضي الله عنه

ابو نعيم رضي الله عنه

ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه

ابو سعيد الماليني رضي الله عنه

ابو عثمان الصابوني وابو عبد الله محمد الانصاري رضي الله عنهما

ابو بكر البيهقي رضي الله عنه

Digitized by Google

لايمة الاعلام) جمع علم وهو ما يستدل به على طريق من جبل وغيره سمي العالم به لانه يهتدى به من مهاوي الضلالة (وحفاظ الاسلام وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال) لا في الوجوب والحرمة ومعناه إذا ثبت مندوب بحديث صحيح او حسن يجوز لنا رواية حديث في فضيلته والترغيب فيه ليكون كالتابع لا انه يحتج به في اثبات امر مندوب اذ تقرر في الاصول انه لا يستدل في اثبات الاحكام الخمسة إلا بالصحيح او الحسن (ومع هذا) التجويز (فليس اعتمادي على هذا الحديث بل على قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة ليبلغ الشاهد منكم الغائب) اي ليبلغ من سمع كلامي الغائبين وهذا تحريض على التعليم والتعلم فانه لولاه اي كل منهما لانقطع العلم بين الناس (وقوله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءً) روي بالتشديد والتخفيف اي بهجه وحسنه (سمع مقالتي فوعاها) اي حفظها بقلبه وداوم عليها ولم ينسها (فاداها كما سمعها) من غير تغيير وقد استجاب الله تعالى دعاءه فلذلك تجد اهل الحديث احسن الناس وجها واجملهم هيئة وروي عن سفيان بن عيينة انه قال ما من احد يطلب الحديث إلا في وجهه نضرة (ثم من العلماء من جمع الاربعين في اصول الدين) اي الالهيات والنبويات والحشر والنشر والاصل لغة ما يبنى عليه الشيء او المحتاج اليه او ما منه الشيء ويطلق تارة على الدليل يقال اصل المسالة كذا ومنه اصول الفقه وعلى الراجح الكثير كقولهم الاصل في الكلام الحقيقة وعلى الصورة المقيس عليها وعلى القاعدة المستمرة كقولهم اباحة الميتة للمضطر على خلاف الاصل (وبعضهم في الفروع) اي الاحكام الفرعية المتعلقة بالعمل (وبعضهم في الجهاد) مصدر جاهدت العدو اذا قابلته في تحمل الجهد فغلب على قتال الكفار (وبعضهم في الزهد) يقال زهد فيه رغب عنه وزهد عنه رغب فيه (وبعضهم في الاداب) جمع ادب وهو حسن الاحوال والاخلاق واجتماع الخصال الحميدة (وبعضهم في الخطب) جمع خطبة وهي كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطباع

Digitized by Google

النافرة مشتق من الخطب لانه اذا الم بهم خطب خطبوا له فيجتمعوا ويحتالوا في دفعه (وكلها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها وقد رايت) من الراي اي حصل لي راي صحيح للنصح والاعانة على البر والتقوى (جمع اربعين اهم من هذا كله وهي اربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك) الاشتمال في الاصل اخذ الشملة متلفعا بها وهو التلبس مع الاحاطة (وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين) ينبني عليها كثير من المسائل (قد وصفه العلماء بان مدار الاسلام عليه) كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة (اوهو نصف الاسلام او ثلثه) كحديث انما الاعمال بالنيات وقد نظمه الشافعي رضي الله عنه في قوله

عمدة الدين عندنا كلمات اربع قالهن خير البريه

اتق الشبهات . وازهد . ودع ما ليس يعنيك . واعملن بنيه

(ونحو ذلك) وسينكشف عند شرح كل حديث جلية الحال بتوفيق الملك المتعال (ثم التزم في هذه الاربعين ان تكون صحيحة) اي غير ضعيفة فتتناول الحسن (معظمها) اي اكثرها (في صحيحي البخاري ومسلم واذكرها محذوفة الاسانيد) جمع اسناد وهو رفع الحديث الى قائله (ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها ان شاء الله تعالى ثم اتبعها بباب في ضبط خفي الفاظها وينبغي لكل راغب في الاخرة ان يعرف هذه الاحاديث) المعرفة تقال لادراك الجزء والبسيط والعلم للكل والجزء والمركب والبسيط . او للادرك المسبوق بالعدم او للاخير من الادراكين لشيء واحد اذا تخلل بينهما عدم والعلم على الادراك المجرد من هذين الاعتبارين (لما اشتملت عليه من المهمات) وهي بيان العقائد الدينية والقواعد الملية التي هي اصول الشرائع الالهية (واحتوت عليه) من حوى اي جمع (من التنبيه على جميع الطاعات) القلبية والقالبية مما يصلح امر المعاش وينجي في المعاد (وذلك ظاهر لمن تدبره) التدبر التفكر وهو انتقال الذهن من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة (وعلى الله) قدمه لافادة الاختصاص (اعتمادي

Digitized by Google

واليه تفويضي) وهو رد الامر الى فاعله (واستنادي) يقال استند اذا اتكا على شيء (وله الحمد والنعمة) بالكسر العطية وبالفتح سعة العيش (وبه التوفيق) معناه لغة جعل الشيء موافقا للاخر واصطلاحا خلق القدرة على الطاعة ويقابله الخذلان (والعصمة) هي فيض الهي يقوي به العبد على تحري الخير وتجنب الشر ذكره الراغب في الذريعة ويقرب منه قول المتكلمين هي ان لا يخلق الله في العبد ذنبا وقال الحكماء ملكة تمنع الفجور ويحصل بها العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات

(* الحديث الاول *)

(عن امير المومنين ابي حفص) قال المصنف هو اول من سمي بذلك يعني من الخلفاء الاربعة اذ ورد في منتظم ابن الجوزي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا في السنة الثانية من الهجرة امر عليه عبد الله ابن جحش وسماه امير المومنين (عمر بن الخطاب) الفاروق بين الحق والباطل كان شديدا في امر الله عاقلا مجتهدا صابرا محتسبا جعل الحق على لسانه واعز الدين به واستبشر اهل السماء باسلامه لو كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي لكان عمر طعنه ابو لولوة بعد ما عاش ثلاثا وستين سنة وكان وفاته هلال المحرم سنة اربع وعشرين وخلافته عشر سنين وستة اشهر واربع ليال ونقش خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر احاديثه المرفوعة خمسمائة وسبعة وثلاثون (رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات) اي ما الاعمال الشرعية صحيحة بشيء من الاشياء كالشروع فيها والتلبس بها الا بالنية . وانما قيدت بالشرعية لانه صلى الله عليه وسلم بعث لبيان الشرع وانما قيل صحيحة لانه قد تقرر ان النفي لا يتوجه الى الاعيان فالمراد نفي الاحكام المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال اي لا صحة او لا كمال الا بها فالشافعية يحملونها على الاول والحنفية على الثاني والاول اولى لانه لما امتنع الحمل

اعرف توقف الاعمال الشرعية على النية


Digitized by Google

على الحقيقة فالحمل على مجاز اقرب اليها وهو الصحة اولى كما تقرر في الاصول ثم الاعمال عادية وعبادية والنية قد شرعت لتمييز الثاني من الاول وهو ما تعبدنا الله بتركه كالسرقة والقتل ولا يشترط فيه النية وفاقا او تعبدنا بفعله كالوضوء والصلاة وتجب فيه النية ركنا او شرطا عندنا ومنه البيع والسلم والقرض والهبة والطلاق والخلع اذا عقدت بالكنايات فانها تحتاج اليها لا من حيث انها محض عبادة او تعبدنا الله بفعله المقصود منه الازالة والترك كازالة النجاسة فالجمهور من اصحابنا لم يشترطوا فيه النية نظرا الى المقصود منه وابن شريح والصعلوكي شرطا نظرا الى العقل . ولفظة انما لافادة قصر الموصوف على الصفة افرادا فكانه توهم ان العمل يحصل بالنية ودونها كذا قالوا . ولو قيل انها لتاكيد الحكم المذكور لا للقصر كما قيل في انما انت منذر وفي قوله انما حرم عليكم الميتة لان المحرمات سواها كثيرة لان القصر يقتضي ان يكون للمخاطب حكم مشوب بصواب وخطا فيثبت صوابه ويرد خطاه والصحابة خالوا الذهن عن ذلك وتقديره فيهم تكلف مع ان افادتها القصر عند الاكثر لا يقال فلا يحتاج الى التاكيد لانه لدفع الشك ورد الانكار لانا نقول قد صرح الزمخشري وعبد القاهر ان له فوائد اخرى غيرهما منها الاهتمام بمضمون الكلام وتقريره واظهار كمال العناية كما في انا فتحنا وانا اعطينا وكم مثلها فان قلت لو لم تجعل للحصر لم يعلم عدم صحة العمل بلا نية قلنا الملازمة ممنوعة اذ الحصر نشا من عموم الاعمال اذ معناه كل عمل بنية وهي موجبة كلية فينتفى مقابله وهي السالبة الجزئية وهي بعض العمل بغير نية صرح به في شرح المختصر والاعمال جمع محلى باللام فيستغرق كل عمل سواء كان من العبادات او المعاملات لان صحتها مشروطة بالتراضي ونحوه من توجه القلب وهو امر باطني يعسر الوقوف عليه فنيط الحكم بالايجاب والقبول وكذلك الحكم في سائر العقود والفسوخ كما نص عليه الفقهاء فتخصيصها بالعبادات كما فعله الطيبي لا يخلو عن تامل نعم قضاء الحقوق الواجبة من الديون

اعرف راي السعد في حمل انما على التاكيد

اعرف رده لمنع التوكيد

Digitized by Google

والغصوب تبرا منها ذمة الداين والغاصب وان لم يكن في ذلك نية شرعية وكذا الطلاق بصرائحه وان خلا منها فلا بد من مخصص آخر . ثم العمل اخص من الفعل وهو كل ما صدر من الحيوان بقصده قلبيا او قالبيا ذكره الراغب فلا يدخل فيه التروك وذلك كطهارة الخبث فان المقصود بالذات عدم ملابسته كترك الزنا والغصب فلا يقال الترك كف النفس فيكون من قبيل الاعمال حتى يحتاج الى النية فيرد سوالا كما علم من شرح مسلم نعم يلزم منه افتقار النية الى النية ويتسلسل الّا ان يخصص العمل بالجوارح لتقابلهما في قوله نية المومن خير من عمله او بالعرف لانه لا يطلق العامل على الناوي على ان صاحب القاموس صرح بانه المهنة فلا تتناول توجه القلب . والباء للاستعانة او المصاحبة ليعلم منه وجوب المقارنة لكنها توهم بل تشعر وجوب استصحابها الى آخر العمل بل الثاني اولى لان الاستصحاب حكم لا بد منه بان لا ياتي بمناف لانه الظاهر من المعية فالاول اولى . والنية لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء وجه الله وامتثالا لامره وهي في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه بقوله فمن كانت هجرته الى الله ورسوله الخ قاله القاضي وفيه شيء اذ لو حمل على الشرعي لكان انسب اولا لانه مبين للشرع ويحسن التطبيق ثانيا اذ المعنى كل عمل شرعي فهو محسوب بالنية الشرعية اي ما يكون لابتغاء وجه الله تعالى وما ليس كذلك كالهجرة الى الدنيا لا يعتد به شرعا على ان قوله فمن كانت تفصيل لقوله وانما لكل امرئ ما نوى . قال بعض المحققين للنية مراتب ست الهاجسة الخاطر الرباني فاذا تحقق في النفس سموه ارادة فاذا تردد ففي الثانية سموه داعية وفي الثالثة هما وفي الرابعة عزما وعند التوجه الى الفعل وهو خاطر فعل قصدا ومع الشروع نية وفي كلام حجة الاسلام ان النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن معرفة كمال الشيء لان الافعال الاختيارية لا تصح الّا بعلم مهيج للارادة باعثة

الفرق بين العمل والفعل

مطلب النية

مراتب النية

Digitized by Google

لقدرة جازمة لها بتحريك الاعضاء وهي روح العمل يوثر بنفسه بخلاف العمل فان المقصود منه تاثيره في القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر الموصلين الى الانس والمعرفة اللذين هما سبب سعادته في الاخرة والنية عبارة عن نفس الميل فعلم سر قوله نية المومن خير من عمله (وانما لكل امرئ ما نوى) اشارة الى ما تثمره النية من القبول والرد والثواب والعقاب ففهم من الاول ان الاعمال لا تكون محسوبة مسقطة للقضاء الا بالنية ومن الثاني انها انما تكون مقبولة بالاخلاص مبعدة عن الرياء والاول قصر المسند اليه على المسند والثاني عكسه هكذا افاده الطيبي وفيه اد في حزازة وهي ان اللام تدل على الاختصاص المنوي اي ما قصده القلب وتوجه اليه وهو العمل والاخلاص والرياء ليس هو العمل المنوي بل كيفيته او كيفية النية وقال الخطابي في اعلام الحديث واختاره المصنف في شرح مسلم هذا اشارة الى ايجاب تعيين المنوي فلا بد ان ينوي في الفائتة من كونها ظهرا او عصرا ولولاه لدل انما الاعمال على الصحة بلا تعيين او اوهم ذلك وكانه استنبطه من ما الموصولة لانها من المعارف المفيدة للتعيين وفيه بحث اما اولا فلان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي التوزيع اي مقابلة الافراد بالافراد فالمعنى كل فرد فرد من الاعمال محسوب بنية ذلك العمل واما ثانيا فلان اللام في قوة الاضافة المفيدة للتعيين على ان اللام موضوعة للعهد كما اختاره صاحب المفتاح ففهم تعيين المنوي من الاول ايضا ولذا قيل تفصيل وتاكيد لما تقدم ويرد عليه ان الافادة خير من الاعادة فلا يبعد حينئذ ان يقال والله اعلم ان فائدته التعميم المستفاد من لفظة ما لانها من صيغ العموم لانه لما اشار الى ان الاعمال الشرعية تتوقف صحتها على النية الشرعية عمم بلفظة ما التي للعموم في الاعمال واشار الى ان عمل المرء كل ما نواه سواء كان محمودا ام لا ان خيرا فخير وان شرا فشر . فيعلم منه انه يمكن ان تجعل العادات عبادات كالمآكل والمشارب والمناكح اذا نوى بها القوة على الطاعة وكالتطييب اذا قصد به اقامة السنة ودفع الروايح الموذية

اعرف البحث في ايجاب تعيين المنوي

اعرف استحالة العادة الى العبادة

Digitized by Google

عن عباد الله لا استيفاء اللذات او التودد الى النسوان ففي الجملة كل عمل صدر عنه لداعي الحق فهو العمل الحق . روي ان رجلا من بني اسرائيل مر بكثبان رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن صنيعك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وان مَن اكره على الكفر او الطلاق او اليمين الغموس فاتى بذلك لا يحكم بكفره وطلاقه وحنثه وكذلك ان حنث واول إلّا ان يكون المستحلف القاضي فان اليمين على نيته وان ما يحتال به في العقود من حيلة واستئصال صرف وربا فهو باطل لانه انما قصد به التوصل الى المحضور ويترتب عليه المفصل ايضا (فمَن كانت هجرته الى الله ورسوله) اي قصد بهجرته وجه الله والتقرب اليه لا يخلطها بشيء من آرائها فهو كناية عن تخليص النية او ذكر الله توطئة لذكر الرسول تخصيصا له بالله وتعظيما للهجرة اليه (فهجرته الى الله ورسوله) كناية عن شرف الهجرة وكونها بمكانة علية او عن كونها مرضية مقبولة فلا يتحد الشرط والجزاء كما توهم وتكرير لفظ الله ورسوله لتعظيم الهجرة وانها وقعت موقعها والمهاجر والمهاجَر اليه وهذا اولى مما قيل انه لتعظيم الهجرة وهي لغة اسم من الهجر الذي هو ضد الوصل وشرعا الخروج من ارض الى ارض اخرى لله تعالى والفعل منه هاجر مهاجرة لا هجرانا كذا في الصحاح والنهاية وانواعها خمسة . الاول منا نهى الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم والمهاجر مَن هجر ما نهى الله عنه . الثاني هجرة القبائل لتعلم الفضائل . الثالث هجرة مَن اسلم من مكة . الرابع من مكة الى الحبشة . الخامس منها الى المدينة وهذا هو المراد هنا لذكر المراة وحكاية ام قيس اللهم إلّا ان يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر في الاصول قاله الطيبي وفيه بحث وهو ان العام لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بلفظ واحد ولفظ الهجرة ليس كذلك فيلزم منه الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو غير جائز فالاولى

انواع الهجرة

ان

ان يقال هي نقيض الوصلة فيكون متواطيا كليا شاملا لافراده فوجب اعتبار الكل اذ لا مانع (ومن كانت هجرته لدنيا) اي لغرضها ومتاعها فهي مجاز مرسل من باب تسمية الشيء باسم محله نحو فليدع ناديه فاللام للتعليل وبمعنى الى على مذهب الكوفي ليقابل المقابل ودنيا تانيث ادنى وقد وردت على خلاف القياس لانسلاخها عن معنى الوصفية واجرائها مجرى الاسماء سميت بها لدنوها الى الاخرة والجمع دنى كالكبرى والكبر (يصيبها) حال مقدرة اي مقدرا اصابتها (او امراة ينكحها) من باب عطف الخاص على العام اشعارا بان النساء اعظم ضررا او لان الحديث ورد في زجر مهاجر ام قيس على ما ورد انه هاجر ليتزوج امراة يقال لها ام قيس (فهجرته الى ما هاجر اليه) اي ليست هجرته من الله في شيء وذلك حظه ولا نصيب له في الاخرة وايراد الموصول لافادة التحقير فعلم ان الطاعات في اصل صحتها وتضاعف فضلها مرتبطة بالنيات وبها ترفع الى خالق البريات فلا بد للساعي من تصحيح النية وللباني من احكام اساس البنية ولذا قدم هذا الحديث الذي قال الشافعي في شانه انه ثلث الاسلام لان العمل بالجنان او اللسان او الاركان والاول اعز واشرف لما انه هو محل نظرات الحق ومظاهر عطفات الرب وقد ورد في مسند ابي يعلى الموصلي مرفوعا ان الله تعالى يقول للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ عنه ذلك ولا هو في صحيفتنا فيقول انه نواه ونقل الاستاذ ابو القاسم القشيري ان زبيدة رئيت في المنام فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لي فقيل لها بكثرة عمارتك الابار والبرك والمصانع في طريق مكة وانفاقك فيها فقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله الى اربابه وانما نفعنا منه النيات فغفر لي بها . وبلسان العارفين معناه ان اعمال الظاهر تتعلق بما وقع في القلوب من انوار الغيوب وكشف اسرار الحقيقة في الباطن بما بدا من حال الفهم والالهام اذ انقدح سنا برق صفة الفعل من زنود الصفات . والنية جمع الهم في تنفيذ العمل للمعمول له وان لا

اعرف تضاعف فضل الطاعات بالنيات

Digitized by Google

يسنح في السر ذكر غيره « وللناس فيما يعشقون مذاهب » ثم نية العمل من العوام في طلب الاغراض مع نسيان الفضل . ونية الجاهل التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء . ونية اهل النفاق التزين عند الله وعند الناس . ونية العلماء اقامة الطاعات لحرمة ناصبها لا لحرمتها . ونية اهل التصوف ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من الطاعات . ونية اهل الحقيقة ربوبية نولت عبودية وانما لكل امرئ ما نوى من مطالب السعداء وهي الخلاص من الدركات السفلية من الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلية وهي المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته او من مقاصد الاشقياء وهي ما يبعد عن الحق فمن كانت هجرته اي خروجه من مقامه الذي هو غاية مرامه سواء كان منزلا من منازل النفس او مقاما من مقامات القلب الى الله لتحصيل مراضيه وتحسين الاخلاق والتوجه الى توحيد الذات ورسوله باتباع اعماله واخلاقه والتوجه الى طلب الاستقامة في توحيد الصفات فهجرته الى الله ورسوله فتخرجه العناية الالهية من ظلمات الحدوث والفناء * الى نور الشهود والبقاء * وتجذبه الجذبات من حضيض العبوديه * الى ذروة العنديه * ويذهل على عالم الناسوت ويفنى في عالم اللاهوت * ويبقى بالحي الذي لا يموت * ورجع اليه الانس * ونزل محلة القدس * بدار القرار * في جوار الملك الغفار * واشرقت عليه سبحات الوجه الكريم * وحل بقلبه روح الرضى العميم * ووجد فيها الروح المحمدي واحبابا * وعرف ان له مثوى ومآبا * هذا حال اخص الخواص . واما العوام فهجرتهم بسبب الاقامة بشرائط جاهدوا فينا من الكفر الى المعرفة ومن الشرك الى التوحيد ومن الجهل الى العلم ومن المعاصي الى الطاعات ومن مقابح الاخلاق الى محاسنها . وهجرة الخواص بجذبات لنهدينهم سبلنا من حجب اوصاف الخلق الى درجات تجلي صفات الحق ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها اي

لتحصيل

لتحصيل شهوة الحرص على المال والجاه والخيلاء او لتحصيل لذة شهوتي الفرج والطعام وشهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد فيبقى مهجورا عند الحق في اوطان الغربة وديار الظلمة له نار الفرقة فالقطيعة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق إلّا الجلد ولا تخلص الى القلب فانها بالنسبة الى نار فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن غيب الغيوب كنسيم الحياة الى سموم الممات وانشد بعض المخلصين شعرا

ففي فواد المحب نار هوى   احر نار الجحيم ابردها

وقال آخر

ياغافل القلب عن ذكر المنيات	عما قليل ستثوى بين اموات
ان الحمام له وقت الى اجل	فاذكر مصائب ايام وساعات
لا تطمان الى الدنيا وزينتها	قد حان للموت يا ذا اللب ان ياتي
وكن حريصا على الاخلاص في عمل	فانما العمل الزاكي بنيات

(رواه اماما المحدثين ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة) بباء موحدة مفتوحة ثم راء مهملة ساكنة ثم دال مكسورة ثم زاي معجمة ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ثم هاء ساكنة ومعناه بلسان اهل بخارى الزارع كان مجوسيا مات على ذلك (البخاري الجعفي) نسبة الى اليمان بن اخنس الجعفي لان المغيرة اسلم على يده ولد سنة اربع وتسعين ومائة وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين وعمره اثنتان وستون سنة قال خرجت كتابي الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث لست عشرة سنة وما وضعت فيه حديثا إلّا اغتسلت وصليت ركعتين فضائله اكثر من ان تحصى وعدد احاديث صحيحه سبعة آلاف حديث ومائتان وخمسة وسبعون وباسقاط المكرر اربعة آلاف (وابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري) منسوب الى قشير بن كعب بن ربيعة بطن من العرب (النيسابوري) الامام النبيل والبحر الحبر الجليل ولد سنة اربع ومائتين وتوفي سنة احدى وستين ومائتين وكتابه بعد اسقاط المكرر

اربعة آلاف حديث (رضي الله عنهما في صحيحيهما اللذين هما اصح الكتب المصنفة) واما قول الشافعي رضي الله عنه ما اعلم كتابا بعد كتاب الله اصح من موطا مالك فذاك قبل تصنيف الكتابين والاول منهما اصح على الاصح والله اعلم

(* الحديث الثاني *)

(عن عمر رضي الله عنه ايضا) مصدر اي عادت عنه الرواية عودا (قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي بين اوقات نحن حاضرون عنده فنحن مخبر عنه بجملة ظرفية والمجموع صفة للمضاف اليه المحذوف وبين ظرف زمان بمعنى المفاجاة وتضاف الى المتعدد لفظا او معنى ويتصل بها ما ليتهيا دخولها على الجملتين ويحتاج الى جواب يتم به المعنى فاذ وما بعدها جواب له والعامل فيه معنى المفاجاة والمعنى وقت حضورنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فاجانا وقت طلوع ذلك الرجل فيكون بينما ظرف لهذا المقدر واذ مفعول به بمعنى الوقت (ذات يوم) ظرف عند لما فيه من معنى الاستقرار وذات في الاصل مونث ذو قطع عنها مقتضاها من الوصفية والاضافة واجريت مجرى الاسماء المستقلة فيقال ذات قديمة ونسبوا اليها من غير حذف التاء فيقال ذاتي استعملوها بمعنى الحقيقة فيقال ذات الشيء اي ماهيته وهي في الحديث صفة او من قبيل ذات زيد لئلا يتوهم ان المراد مطلق الزمان . واليوم هو المدة من وقت طلوع الشمس الى غروبها . او من طلوع الفجر عند الشرع وجمعه ايام واصله ايوام فادغمت وربما عبروا به عن الشدة و يستعمل في مطلق الزمان كقوله واليوم الاخر (اذ طلع) استعارة تبعية شبه ظهوره بطلوع الشمس في نباهة القدر وارتفاع الشان واستعار له الطلوع ثم اشتق منه الفعل او مكنية شبهه بها فيما ذكر واثبت له الطلوع تخييلا ولما كان فيه تنويه بقدره آثره على دخل (علينا رجل) التنوين فيه للتعظيم وذكر له صفات

مخصصة

مخصصة اشتمل بعضها على صيغة المبالغة . والغرض من هذا التمهيد التقرير والتنبيه على فخامة القصة وغرابتها (شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر) فيه ارشاد الى استحباب لبس البياض والنظافة في الثياب وان زمان طلب العلم شرخ الشباب وقدم البياض على السواد لانه خير الالوان وجمع الثياب دون الشعر اشعارا بان جميعها كذلك (لا يرى) بضم الياء وروي بالنون المفتوحة كذا في شرح مسلم (عليه اثر السفر) من نحو غبرة وشعثة . الاثر العلامة والسفر من السفر وهو الكشف لانه يكشف عن احوال الرجال واخلاقهم (ولا يعرفه منا احد) فحينئذ اما ان يكون ملكا او جنيا اذ لو كان بشرا من المدينة لعرفناه او غريبا كان عليه اثر السفر كذا ذكروا وانما لم يقل ولا يعرف ليتلايم المعطوفان لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم لا يعرفه وقوله لا يعرفه منا اي معشر الصحابة احد ولم يقل لا نعرفه بصيغة المتكلم لافادة العموم اذ يصدق ذلك بان يعرفه جماعة فقط وقدم لفظة منا للاهتمام (حتى جلس) اي استاذن ودنا حتى جلس مائلا (الى النبي صلى الله عليه وسلم) ففيه حذف وتضمين . والجلوس والقعود مترادفان لكن ذكر التوربشتي ان القعود استعمل مع القيام والجلوس مع الاضطجاع يقال قعد عن قيامه وجلس عن ضجعته ولفظ الحديث لا يساعده فتامل (فاسند ركبتيه الى ركبتيه) اي ركبتي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الجلوس على الركبة الى التواضع اقرب وانسب الى كمال الادب وايصالها ابلغ في الاصغاء وحضور القلب والاستيناس وكذا حكمة وضع الكف في قوله (ووضع كفيه على فخذيه) اي النبي صلى الله عليه وسلم كما في رواية النساءي (وقال يا محمد) ناداه باسمه اذ الحرمة تختص بالامة في زمانه وهو ملك معلم وما ورد في الصحاح من نداء بعض الصحابة باسمه فذلك قبل التحريم (اخبرني) صيغة الامر للاستدعاء اذ تقرر ان الرسل لافضل من الملائكة العلوية (عن الاسلام) هو الانقياد والطاعة لغة وشرعا ما يجيء واللام فيه للحقيقة الشرعية وكذا في امثاله وانما قدم

Digitized by Google

السوال عنه وان كان التصديق مقدما بحسب الرتبة لانه جاء لتعليم
الشريعة فبدا بالاهم ثم ترقى الى الاعلى (فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الّا الله) اشارة الى التوحيد وهو لغة
الحكم بوحدانية الشيء والعلم بها . واصطلاحا اثبات ذات الله بوحدانيته
منعوتا بالتنزه عما يشابهه اعتقادا فقولا وعملا فيقينا وعرفانا فمشاهدة وعيانا
فثبوتا ودواما كما ستقف عليه مفصلا . قال الغزالي للتوحيد لبابان وقشران
كاللوز فالقشرة العليا القول باللسان المجرد والثانية الاعتقاد بالقلب جزما
واللب ان ينكشف بنور الله سر التوحيد بان يرى الاشياء الكثيرة صادرة
عن فاعل واحد ويعرف سلسلة الاسباب مرتبطة بمسببها ولب اللب
ان لا يرى في الوجود الّا واحدا ويستغرق في الواحد الحق غير ملتفت
الى غيره (وان محمدا رسول الله) ايماء الى النبوءة وهما اصلان متلازمان
في اقامة الدين ضرورة توقف الاسلام على الشهادتين قال المحققون فمجرد
التوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر المودي الى
الاباحة ومجرد اسناد القول والفعل الى الرسول وسائر الخلق احتجاب
بالتفصيل عن الجمع الذي هو صرف القدرة المودي الى التعطيل او الثنوية
والجمع بينهما هو الحق المحض قال في العوارف الجمع اتصال لا يشاهد
صاحبه الّا الحق فمن شاهد غيره فما ثمة جمع والتفرقة شهود لمن شاهد
بالمباينة فقوله آمنا بالله جمع وما انزل الينا تفرقة وقال الجنيد القرب
بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل
تفرقة بلا جمع تعطيل (وتقيم الصلاة) اقامة الصلاة تعديل اركانها وحفظها
من الزيغ من اقام العود قوّمه . او الدوام والمحافظة عليها من قامت
السوق اي نفقت لانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب
فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه . او التشمر لادائها من
قام بالامر . او اداوها كذا في الكشاف ولا يخفى انه على الاول
استعارة تبعية شبه تعديل اركانها بتقويم الرجل العود واستعير له الاقامة

ثم

ثم اشتق منه الفعل وعلى الثاني كناية عن الدوام وعلى الثالث مجاز في الاسناد بمعنى تجعلها قائمة فيفيد التشمر وعلى الرابع كذلك اذ المعنى توجد قيامها فيكون من باب اطلاق بعض الشيء على كله وانه لو حمل على الوجه الثاني فقط لكان اولى لدلالته على جميع المعاني . والصلاة لغة الدعاء نقل الى افعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم لانه جزوها (وتوتي الزكاة) من زكا نما او طهر وهي اسم للقدر المخرج من النصاب لانه يزيد بركة المخرج عنه ويطهره وكتبت بالواو لتفخيمهم اياها لفظا كالصلاة (وتصوم رمضان) الصوم لغة الامساك . وشرعا امساك مخصوص بوصف مخصوص في زمان مخصوص ورمضان علم الشهر من رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وسمي به لارتماضهم من حر الجوع (وتحج البيت) الحج لغة القصد وشرعا قصد بيت الله في وقت معين بشرائط مخصوصة والبيت اسم جنس غلب على الكعبة علما واللام فيه جزء كما في النجم (ان استطعت اليه) اي الى البيت او الى الحج اي ان امكن لك الوصول اليه وهي مفسرة بالزاد والراحلة وهذا يويد قول الشافعي انها بالمال ولهذا اوجب الاستنابة على الزمن الغني وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة مجموع الامرين . والاستطاعة القدرة من طاع لك اذا سهل تطلق بمعنى سلامة الاسباب وصحة الالات وهي قد تتقدم على الفعل وعلى غرض في الحيوان يفعل به الافعال الاختيارية ولا يكون الّا مع الفعل وهي كما فسرت استطاعة خاصة بالمعنى الاول فلا يرد ما قيل ان الاستطاعة التي بها يتمكن المكلف من فعل العبادة مشروطة في الكل فكيف خص الحج بها (سبيلا) تمييز عن نسبة الاستطاعة الى البيت اي ان استطعت سبيل البيت فاخر ليكون اوقع وهو الطريق الذي فيه سهولة ويستعمل في كل ما يتوصل به الى شيء وتنكيره للعموم اذ النكرة في الاثبات قد تفيد العموم كما في قوله تعالى علمت نفس لكنه مجاز وتقديم اليه عليه للاختصاص

الاختلاف في وجه الاستطاعة

اي سبيلا ما الى البيت على اي وجه كان قريبا او بعيدا بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الى غيره وايراد الافعال على صيغة المضارع لافادة الاستمرار التجددي المناسب لكل منها ففي التوحيد المطلوب الاستمرار الدائم مدة الحياة وفي الصلاة دونه ثم في الزكاة والصوم دونهما وقدم الاهم واخر ما وجب في العمر مرة (قال صدقت فعجبنا له) اي السائل والتعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشيء (يسأله ويصدقه) لان هذا خلاف عادة السائل الجاهل (قال فاخبرني عن الايمان) هو في اللغة التصديق الذي معه امن وطمانينة وحقه ان يستعمل بعلى الا انه لما كان متضمنا لمعنى الاعتراف عدل عنه الى الباء حيث قال (قال ان تومن بالله) اي تعترف بوجوب وجوده واتصافه بصفة الكمال وهي اما حقيقية لا يتوقف تصورها على شيء كالحياة او اضافية يتوقف كالوجود والقدم او وجودية وهي صفات الاكرام او ثبوتية وهي صفات الجلال والصفات الوجودية عند الاشعري لا هو ولا غيره اي ليست عين الذات مفهوما ولا غيره ثنوية وتنحصر في ثمان نظمها الشاعر

حياة وعلم قدرة وارادة كلام وابصار وسمع مع البقا

مبحث الايمان

وفي الشرع تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم بما علم مجيئه به ضرورة من عند الله وقيد بها ليخرج بها منكر الاجتهاديات فانه لا يكفر هذا هو المختار عند الاكثر من الاصوليين وغيرهم وعند الشافعي وهو المنقول عن علي كرم الله وجهه انه المعرفة بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان ومذهب المعتزلة قريب منه لانه ذكر في الكشاف ان الايمان الصحيح هو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله ولعلهم ارادوا بذلك الايمان الكامل ومما يدل عليه وعلى مغايرة العمل للايمان انه لو كان داخلا في حقيقته لكان التقييد به تكرارا وليس كذلك ومما نجده مناديا على ذلك هذا الحديث فانه اجاب عن الاسلام ثم عن الايمان وجعله تصديقا: فان قلت لو كان كذلك لم يقبل الزيادة والنقصان وليس كذلك قال الله تعالى

زادتهم

زادتهم ايمانا ليزدادوا ايمانا قلنا لا نسلم ذلك اذ اليقينيات تتفاوت قوة وضعفا قال في الكشاف في قوله تعالى زادتهم ايمانا ازدادوا يقينا لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه سلمنا ذلك لكنه انما يقبلهما باعتبار ثمراته وهي الاعمال . قال ابن الصلاح هذا الحديث بيان اصل الايمان وهو التصديق والاسلام وهو الانقياد . وحكم الاسلام يثبت بالشهادتين وانما اضاف اليه الاعمال المذكورة لانها اظهر شعائره . ثم الايمان قد يطلق على الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس واسم الاسلام يتناول اصل الايمان وهو التصديق والطاعات فان كل ذلك استسلام فعلم انهما يجتمعان ويفترقان وان كل مومن مسلم من غير عكس وهذا تحقيق موافق لمذهب جماهير العلماء وفي هذه المسالة ستة مذاهب الاول والثاني ما سبق والثالث انه التصديق والاقرار وهو مذهب ابي حنيفة والرابع انه كلمتا الشهادة وهو مذهب الكرامية والخامس انه الطاعات فرضا او نفلا وقيل الفرض والسادس انه المعرفة بالله او بما جاءت به الرسل ذكره في المواقف ثم قال ووجه الضبط ان الايمان اما فعل القلب فقط وهو المعرفة او التصديق واما فعل الجوارح فقط وهو اما اللسان وهو الكلمتان او غيره وهو العمل بالطاعات واما فعل القلب والجوارح معا والجارحة اما اللسان او سائر الجوارح . ثم التصديق معناه اذعان النفس وقبولها لما يجب قبوله وهو تقليدي وتحقيقي والتحقيقي اما استدلالي او ذوقي والذوقي اما كشفي واقف على حد العلم والغيب او غير غيبي واقف عليه والعيني اما مشاهدة او شهود فالاول هو الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال الثابت بالبرهان وهو اول ما لا بد منه في صحة العمل والثاني الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال والثالث الممتنع الزوال الثابت بالوجدان والثلاثة مراتب الايمان بالغيب والاخيران علم اليقين والرابع المشاهدة الروحانية مع بقاء الاثنينية وتسمى عين اليقين والخامس هو الشهود الحقاني عند تجلي الوحدة الذاتية وزوال الاثنينية وتسمى حق اليقين . قال الغزالي من عرف الله بالدليل وصدقه بالجنان

مبحث الاسلام

مراتب التصديق

Digitized by Google

وجودات الايمان

فان مات ولم يتلفظ مع وجود الامكان كان مومنا . هذا والتحقيق ان للايمان وجودا عينيا ووجودا ذهنيا ووجودا لفظيا اما الاول فهو ما اشار اليه الشيخ الكبير ابو عبد الله بن حنيف في عقيدته من انه نور يقذف في القلب لا نور الذات ومعناه ان اصله نور يقذفه الله الحق من ملكوته الى قلوب عباده فباشر اسرارهم وهو متصل بالحضرة ثابت في قلوبهم فاذا انكشف جلال الحق له ازداد ذلك النور فيتقوى الى ان ينبسط وينشرح له الصدر و يطلع العبد على حقائق الاشياء ويتجلى له الغيب وغيب الغيب ويظهر له صدق الانبياء وينبعث من قلبه داعية الاتباع فينضاف الى نور معرفته انوار الاعمال والاخلاق نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وذلك القذف والكشف يتعلق بمراد الله في احايين نسيم الصفات لا يقدر العبد على كسبه نعم شرائطه مكتسبة كما اشار اليه الشيخ . اما الوجود الذهني فملاحظة ذلك النور ومطالعته بالتصديق . واما الوجود اللفظي فهو الاقرار باللسان بالشهادتين وكما ان ايمان العوام هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فايمان الخواص عزوب النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وابانة الخلق الى الفناء في الله واخلاء السر للبقاء بالله (وملائكته) جمع ملك واصله مالك بتقديم الهمزة من الالوكة وهي الرسالة ثم قلب وقدمت اللام وجمع على فعائل كشمال وشمائل ثم تركت الهمزة في المفرد لكثرة الاستعمال ونقلت حركتها الى اللام والتاء لتانيث الجمع وهي اجسام لطيفة مقتدرة على تشكلات مختلفة يجوز عليهم الصعود والنزول باذن الله تعالى وذلك بان نعتقد انهم معصومون عن المخالفة وسائط بينه وبين الرسل ولكل مقام معلوم وجزء مقسوم . فان قلت ما الموجب لدخول الايمان بها في مفهوم الايمان الصحيح مع ان المقصود بالذات معرفة المبدا والمعاد . فجوابه ان الناس تنقسم الى فطن يرى المعقول كالمحسوس و يدرك الغائب كالشاهد وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام والى

Digitized by Google

ممن الغالب عليهم متابعة الحس ومشايعة الوهم فقط وهم اكثر الخلق فلا بد
لهم من معلم يدعوهم الى الحق و يذودهم عن الزيغ و يكشف لهم المغيبات
ويحل عن عقولهم الشبهات وما هو إلّا النبي المبعوث لهذا الامر وهو وان
كان مشتعل القريحة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يحتاج الى نور
يظهر له الغائب وهو الوحي والكتاب ولذلك سمي القرآن نورا ولا بد
له من حامل وموصل وهو الملك المتوسط فالمرء لا يصير مومنا إلّا اذا تعلم
من النبي صلى الله عليه وسلم ما يحققه بارشاد الكتاب الواصل اليه بتوصيل
الملك بان له الها واجب الوجود فائض الجود الى غير ذلك مما ثبت بالشرع
(وكتبه) جمع كتاب وهو لغة ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى
بعض مصدر كتب اي جمع . واصطلاحا ما انزل الله على الانبياء مكتوبا على
الالواح او مسموعا من وراء حجاب او من ملك مشاهد او من هاتف وذلك
بان يعلم ان كلها وحي من الله مشتمل على احكامه و يعتقد ان القرآن كلام
الله غير مخلوق وهو المكتوب في المصاحف المحفوظ في الصدور المقرو
بالالسنة وانه مشتمل على متشابه ومحكم بتبيينه (ورسله) بان يعترف
بانهم بلغوا ما انزل اليهم وانهم معصومون عن الكبائر والصغائر عمدا لا سهوا
بشرط التذكر في الحال وتنبيه الغير عليه وتقديم الملك رعاية للترتيب
الواقع فان الله تعالى ارسل الملك بالكتاب الى الرسول لا لكونهم افضل من
الرسل لانه مختلف فيه ولا من الكتب اذ لم يقل به احد . او اتباعا لترتيب
الوجود فان الملائكة مقدمة في الخلق وهذا الترتيب مما تقتضيه حكمة
عالم التكليف والوسائط وإلّا فمقام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك
مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ فيه اشارة الى
تمكينه في وقت كشوف المشاهدة واستغراقه في بحار الوحدة والعدم حتى
لا يبقى فيه اثر البشرية والكونين وهذا محل استقامته في مشهد التمكين
الذي اخبر الله عنه بقوله فكان قاب قوسين او ادنى وليس هنالك مقام
جبرئيل وجميع الكروبيين ولا مقام الصفي والخليل والكليم ومن دونهم من

Digitized by Google

الانبياء وكان اكثر اوقاته كذلك لكن رده الله الى تاديب امته في بعض الاوقات ليجري عليها احكام التكوين ولئلا يذوب في نيران كبرياء الازل (واليوم الاخر) هو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المحدودة . او يوم القيامة لانه آخر ايام الدنيا وذلك بان يومن بوجوده وبما فيه من حشر الاجساد مع الارواح والمجازاة والمحاسبة والصراط والميزان ودخول الجنة والنار وغير ذلك (وتومن بالقدر) اعاد العامل اما لبعد العهد كقول الشاعر

لقد علم الحي اليماني انني   اذا قلت اما بعد اني خطيبها

او لشرفه وتعاظم امره لانه مجال الافهام ومزال الاقدام فلذا اهتم بشانه ثم قرره بالابدال بقوله (خيره وشره) بان يعتقد ان الله قدر الخير والشر قبل خلق الخلائق وان جميع الكائنات متعلق بقضاء الله مربوط بقدره وهو مريد لها فالطاعات يحبها ويرضاها بخلاف الكفر والمعاصي قال الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر والارادة لا تستلزم الرضى . والقضاء الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب خاص في ام الكتاب اولا ثم في اللوح المحفوظ ثانيا على سبيل الاجمال . والقدر تعلق الارادة بالاشياء في اوقاتها وهو تفصيل قضائه السابق بايجادها في المواد الجزئية المسماة بلوح المحو والاثبات كما يسمى ام الكتاب بلوح القضاء واللوح المحفوظ بلوح القدر في وجه هذا تحقيق كلام القاضي . ولما كان الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء لم يتعرض له وذكر الراغب ان القدر هو التقدير والقضاء هو التفصيل والقطع فهو اخص ومثل هذا بان القدر ما اعد للبس والقضاء بمنزلة اللبس ويؤيده ما ذكره الحكيم الترمذي انه كان في البدا علم ثم ذكر ثم مشيئة ثم تدبير ثم تقدير ثم اثبات في اللوح ثم ارادة ثم قضاء فاذا قال كن فكان على الهيئة التي علم فذكر ثم شاء فدبر ثم قدر ثم اثبت ثم قضى فعلم منه انه ما من شيء حيث استقام في العلم الازلي الى ان استقام في اللوح ثم استبان الا ان يتعلق به امور من الله تعالى . قال بعض العارفين ان القدر كتقدير النقاش الصورة في ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة للتلميذ بالاسرب

مبحث القضاء والقدر

ووضع

Digitized by Google

ووضع التلميذ الصبغ عليها متبعا لرسم الاستاذ هو الكسب والاختيار وهو في
اختياره لا يخرج عن رسم الاستاذ كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج
عن القضاء والقدر ولكنه متردد بينهما . والخير ما يصلح به حال الرجل او
يرغب فيه الكل . والشر بخلافه وكل منهما اما مطلق لم يزل مرغوبا فيه
او عنه او مقيد بكونه بالنسبة الى احد خيرا والى آخر شرا كالمال وكما ان
الخير ضربان احدهما افراده اخروية وهي النجاة من النار ودخول الجنة
ثم مشاهدة الجمال الاحدية ومطالعة الجلال الصمدانية وثانيهما افراده
دنيوية وهي اربعة نفسانية وهي الايمان وحسن الخلق والحكمة والعفة
والشجاعة والعدالة . وجسمانية وهي الصحة وطول العمر والجمال والعبادة
وخارجية وهي المال والجاه والاهل والنسب والجمع بين الاسباب الداخلة
والخارجة وهي الرشد والدوام والتسديد والتوفيق كذلك الشر على هذه
الاضرب . واعلم ان الايمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق لان
اتقان المقدورات واحكامها على ما هو حقها في ازمنة وامكنة مخصوصة يدل على
توحد الحكم بتقديرها المقتضي لتوحد المقدر والعلم بصفاته كسعة علمه
ورحمته على العالمين وآثار قدرته وحكمته للمخلوقين ونفوذ قضائه فيهم والعلم
بكمال صنعه وافعاله وان الحوادث مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان
الحذر لا يقطع القدر ولا ينازع احدا في طلب شيء من اللذات ولا يانس
بها اذا وجدها ولا يغضب بسبب فوات شيء من المطالب ليكون حسن
الخلق طيب العشرة مع الخلق . قال بعض العارفين ان الله تعالى قدر
وجود الكائنات لمظاهر تجلي صفاته واسمائه فكل منها مقدار مقدر لمظاهر
تجلي ما علم الله له من الاسماء والصفات مما يليق به وهو مستعد له كما
قال وان من شيء إلّا يسبح بحمده فلكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح
والتحميد تنزيها لصانعه وحمدا له على ما اولاه من مظهريتها للصفات
الجمالية والجلالية فالاشياء كلها مقادير لاسماء الله وصفاته دون ذاته
فانه لا يسعها إلّا قلب المومن . لا يسعني ارضي ولا سماءي ولكن يسعني

مبحث الخير والشر

استلزام الايمان بالقدر للتوحيد

Digitized by Google

قلب عبدي المومن ولذا قيل قلب المومن عرش الله وقال ابو يزيد قدس الله سره لو وقع العالم الف الف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما احس بها (قال صدقت قال فاخبرني عن الاحسان) اراد به الاخلاص وهو شرط في صحة الايمان والاسلام معا لان من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير نية الاخلاص لم يكن ايمانه صحيحا قال في النهاية فكان المخلص في الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه . والاخلاص تصفية العمل من طلب عوض وغرض وعرض وروية ورياء فان العمل اذا كان مشوبا بشيء من ذلك لا يجدي بطائل (قال ان تعبد الله كانك تراه) حال او مفعول مطلق اي حال كونك مشبها بمن ينظر الى الله خوفا منه وحياء وخضوعا له وهذا من جوامع الكلم فان العبد اذا قام بين يدي مولاه معاينا له لم يترك شيئا مما قدر عليه من الخشوع والخضوع وحسن السمت وهذا المعنى موجود في عبادة العبد مع عدم رويته فينبغي ان يعمل بمقتضاه (فان لم تكن تراه) مثل الروية المعنوية (فانه يراك) اي فكن بحيث انه يراك اي فلا تغفل فانه يراك ففيه الحث على الاخلاص في الاعمال ومراقبة العبد ربه في جميع الاحوال . وقال بعض العارفين الاول اشارة الى مقام المكاشفة ومعناه اخلاص العبودية عن روية الغير بنعت ادراك القلب عيان جلال ذات الحق وفنائه عن الرسوم فيه . والثاني الى مقام المراقبة في الاجلال وحصول الحياء من العلم باطلاع ذي الجلال وانما لم يقل هاهنا صدقت لان الاحسان هو الاخلاص وهو سر من اسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما جاء في الحديث المسلسل الرباني الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببت من عبادي كذا قيل والاولى ان يقال انه سقط من بعض الرواة لانه مذكور في بعض روايات صحيح مسلم وشرح السنة مسطور والله اعلم (قال فاخبرني عن الساعة) اي وقت مجيء القيامة وهي جزء من اجزاء الزمان عبر بها عنها وان طال زمنها اعتبارا باول ازمنتها فانها تقع بغتة . او

مبحث مقامي المكاشفة والمراقبة

لسرعة

لسرعة حسابها. او على العكس لطولها. او لانها عند الله كساعة عند الخلق كذا في الكشاف والساعة كما تطلق على القيامة وهي الساعة الكبرى تطلق على موت اهل القرن الواحد وهي الساعة الوسطى كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سالوه عن الساعة فاشار الى اصغرهم ان يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم اذ المراد انقضاء عصرهم ولذا اضاف اليهم وعلى الموت وهي الساعة الصغرى (قال ما المسئول عنها) اي عن وقتها والعائد الى اللام هو المستتر فيه اي ليس الذي سئل عن الساعة اذ يقال سالت المسالة عن زيد وسالت عنها زيدا (باعلم من السائل) نفى ان يكون صالحا لان يسال عنه في امر الساعة لانها من مفاتيح الغيب لا يعلمها إلّا هو على سبيل الكناية لما عرف من ان المسئول منه يجب ان يكون اعلم من السائل فلا يقال لا يلزم من نفي الاعلية نفي اصل العلم عنهما مع انهما متساويان في ذلك وسياق الكلام يقتضي ان يقول لست اعلم بعلم الساعة منك لكنه عدل عنه ليفيد العموم لان المعني كل سائل ومسئول متساويان في ذلك هذا خلاصة ما حققه الطيبي . فان قلت فلم سال جبريل عن الساعة مع علمه بانه لا يعلمها إلّا هو وما التوفيق بين الاية وبين ما اشتهر عن العرفاء من الاخبار الغيبية كما قال الشيخ الكبير ابو عبد الله في معتقده ونعتقد ان العبد ينقل في الاحوال حتى يصير الى نعت الروحانية فيعلم الغيب وتطوى له الارض ويمشي على الماء ويغيب عن الابصار فالجواب اما عن الاول فلينبههم بذلك انه ليس له الجواب عما لا علم له به والاستنكاف من قول لا ادري الذي هو نصف العلم فيتم العلم بذلك وعن الثاني فلان للغيب مبادي ولواحق فمباديه لا يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل واما اللواحق فهو ما اظهره الله تعالى على بعض احبابه بوجه علمه وخرج ذلك عن الغيب المطلق وصار غيبا اضافيا وذلك اذا تنور الروح القدسية وازداد نوريتها واشراقها بالاعراض عن ظلمة عالم الحس وتجلية مرآت القلب عن صدا الطبيعة والمواظبة على

مبحث احوال الغيب

العلم والعمل وفيضان الامور الالهية حتى يقوى النور وينبسط في فضاء قلبه فينعكس فيه النقوش المرتسمة في اللوح المحفوظ ويطلع على المغيبات ويتصرف في اجسام العالم السفلي بل لا يبخل الفياض الاقدس بمعرفته التي هي اشرف العطايا فكيف بغيرها (قال فاخبرني عن امارتها قال ان تلد الامة ربها) اي مالكها ومولاها واطلاق الرب على غير الله من باب المبالغة والتشديد والاضافة لاجل انه سبب عتقها او مولانا بعد الاب وعدم تانيثها لاجل الادب مع الله تعالى وهذا اشارة الى قوة الاسلام واستيلاء المسلمين على الكفار فتكثر السراري حتى تلد السرية بنتا لسيدها وهي في حكم السيد وهي من الامارات لان بلوغ الغاية منذر بالانحطاط الموذن بقيام الساعة ذكره القاضي او الى ان الاعزة تصير اذلة لان الام مربية للولد مدبرة امره فاذا صار الولد ربا سيما اذا كان بنتا ينقلب الامر كما ان القرينة الاتية تدل على عكس ذلك وهي ان الاذلة ينقلبون اعزة ملوك الارض فيتلايم المعطوفان وهذا اخبار بتغير وانقلاب احوال الناس بحيث لا يشاهد قبله هكذا حققه الطيبي في كلام طويل الذيل ويويده ما ورد من انه اذا ضيعت الامانة وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وقيل اشارة الى كثرة السراري حتى يستعبد المرء امه جاهلا بحالها (وان ترى) خطاب عام ليدل على بلوغ الخطب في العظم مبلغا لا يختص به روية راء (الحفاة) جمع حاف الذي لا نعل له (العراة العالة) الفقراء جمع عائل يقال عال الرجل افتقر (رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) يتفاضلون في ارتفاعه ويتفاخرون في حسنه وهو مفعول ثان ان جعلت الروية فعل البصيرة او حال ان جعلتها فعل الباصرة ومعناه ان اهل البادية واشباههم من اهل الفاقة تنبسط لهم الدنيا فيتوطنون البلاد ويبنون القصور المرتفعة ويتباهون بها فهو اشارة الى تقلب الاراذل وتذلل الاشراف وتولي الرئاسة من لا يستحقها وتعاطى السياسة من لا يحسنها كما ان قوله ان تلد الامة اشارة الى عكس ذلك يقال تطاول الرجل اذا تكبر ولعل تخصيصهما لجلالة خطبهما ونباهة شانهما

وقرب

Digitized by Google

وقرب وقوعهما (ثم انطلق) الرجل (فلبث مليا) بالتشديد من الملاوة اذ المهموز بمعنى الغنى اي وقتا طويلا وهو ثلاثة ايام كما جاء مبينا في رواية ابي داوود والترمذي وهذا مخالف لرواية ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم ذكره في المجلس اللهم الّا ان يقال ان عمر لم يحضر في الحال بل قام فاخبر الصحابة ثم اخبر عمر بعد ثلاث بخلاف غيره فانهم ما برحوا حتى اخبروا به ذكره في شرح مسلم (ثم قال يا عمر اتدري من السائل) اي ما يقال في جواب هذا السوال (قلت الله ورسوله اعلم) لان الاشارات السابقة والتعجب اوقعتهم في التردد اهو بشر ام ملك وهذا القدر يكفي في الشركة على ان اسم التفضيل كثيرا يراد به اصل الفعل (قال فانه جبريل) اي اذا فوضتم الامر الى الله ورسوله فانه جبريل على تاويل الاخبار وقرينة المحذوف قوله الله ورسوله اعلم فالفاء فصيحة لانها تفصح عن شرط محذوف واكد الكلام لان السائل طالب متردد وجبريل ملك متوسط بين الله ورسوله يتعلق به زمام امور الحروب والوقائع العظيمة ومن خواص الملك ان يتمثل للبشر فيراه جسما قاله القاضي والسر في التوسط ان المكالمة تقتضي مناسبة بين المتخاطبين فاقتضت الحكمة توسط جبريل ليتلقى الوحي بوجهه الذي في عالم القدرة من الله تلقيا روحانيا او من اللوح ويلقيه بوجهه الذي في عالم الحكمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فربما ينزل الملك في صورة البشرية ويتعرى عن الكسوة الملكية وربما يرتقي النبي صلى الله عليه وسلم الى الرتبة الملكية ويتعرى عن الكسوة البشرية فيرد الوحي على القلب في لبسة الجلال وابهة الكبرياء وياخذ بمجامعه فاذا سر عنه وجد المنزل ملقى في الروع كما في المسموع وهذا معنى قوله احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول (اتاكم يعلمكم دينكم) بطريقة السوال والجواب ليتمكن في نفوسهم اشد التمكن لان الحصول بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب واضاف اليهم

حكمة توسط الملائكة في ابلاغ الوحي

Digitized by Google

لانهم المختصون بالدين القيم دون سائر الناس واشار الى ان الايمان والاسلام والاحسان يسمى دينا ولله در معين درعلينا ماء معينا فقال ـ

فنحمد ربنا ان قد هدانا الى الدين الحنيف هو الحميد
ونسأله ليعصمنا المعاصي فان عذابه صعب شديد
فيا رب البرية تب علينا فانت الراحم الرب الفريد

(رواه مسلم) ورواه البخاري ايضا في كتاب الزكاة والايمان مع تغيير *

(* الحديث الثالث *)

عن ابى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بني الاسلام) هو اسم لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الايمان وقد يطلق على الاذعان بالقلب والاستسلام بجميع الجوارح والقوى في كل الاحوال وهو الذي امر به ابراهيم عليه السلام حيث قال اذ قال له ربه اسلم وهذا اخص من الاول (على خمس) اي خمس خصال او دعائم او قواعد وفي رواية خمسة بالهاء على ارادة الاركان وفيه استعارة تمثيلية شبهت حالة الاسلام مع اركانه الخمسة بحالة خباء اقيمت على خمسة اعمدة وقطبها الذي يدور عليها الاركان هو الشهادة والبقية شعبة بمنزلة الاوتاد فيكون الاسلام مغايرا لهذه الاركان كمغايرة الخباء للاعمدة ولا تصح الا على مذهب الشافعي وغيره من ان الاسلام عبارة عن مجموع الثلاث (شهادة) بالجر عطف بيان وبالرفع خبر مبتدا محذوف (ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة) حذف التاء لان المضاف اليه عوض منها قاله الزجاج وقيل هما مصدران (وايتاء الزكاة وحج البيت) بفتح الحاء لغة حجازية وكسرها لغة نجد وكلاهما مصدران وقيل الكسر اسم والفتح مصدر (وصوم رمضان) وقد ورد في بعض الروايات بتقديمه وكلاهما صحيح ولذا قدم البخاري كتاب الحج على الصوم واعلم ان لكل من تلك الاركان ظاهرا بين احكامه في الكتب الفقهية

Digitized by Google

اعرف المعراج معراجان

وحقائق واسرارا ذكرها ارباب القلوب الامناء لاسرار الغيوب اما التوحيد فسيجيء بيانه واما الصلاة فقد قيل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان معراج في عالم الحس من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم الى عالم الملكوت ومعراج في عالم الارواح من الشهادة الى الغيب ومن الغيب الى غيب الغيب والمراد بعالم الشهادة كلما يتعلق بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بسماء الى سماء الحافين حول العرش ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وهكذا يتصاعد الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح الاسرار فلما اراد ان يرجع قال له الرب تعالى المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه وان تحفة امتك الصلوات الخمس الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار ولذا ورد الصلاة معراج المومن فالاركان السبعة وهي القيامان والركوعان والسجدتان والجلوس بينهما على مثال الطباق السبع والقعود للتشهد مطلع شمس الشهود ومنتهى سر الوجود فاذا وصل الى ذلك المقام وانتهى الى عتبة جلال الملك العلام يقول التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات بقوة الايمان لله فعند ذلك تتلاقى روحه بروح محمد صلى الله عليه وسلم فيخاطبه فيقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فيجيبه بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له بما نلت هاته المقامة فقال بقولي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم اتحف محمدا صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه ۰ وسلم على الملائكة الكرام الذين دخلوا عليه من كل باب واما الصوم فصوم الشريعة منافعه اكثر من ان تحصى ولو لم يكن الا التشبه بالملائكة والارتقاء من حضيض حظوظ النفس الى ذروة التشبه بالروحانيات لكفى به فضلا وصوم الطريقة فهو الامساك عما حرم الله عز وجل وافطر بما اباح واحل وصوم الحقيقة فهو الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن قال — صمت عن غيره فلما تجلي كان لي شاغلا عن الافطار

Digitized by Google

وتشوقت مدة ثم لمـــا زارني جل عن مدا الانظـار

واما الزكاة فهي اشارة الى تزكية احوال الظاهر والباطن بترك الاموال وصرفها الى اسباب الوصول وتخلية القلب عن الاغيار وتفريغ الخاطر لظهور تجليات الانوار واما الحج فهو اشارة الى وجوب زيارة بيت الخليل ان استطاع اليه السبيل بان وجد شرائط السلوك وامكانه وآداب السفر واركانه وهي الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن المالوفات والتوجه الى الله بصفاء الطويات والوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة والطواف بالخروج عن الاطوار السبعية بالاشواط السبعية حول كعبة الربوبية والسعي بين صفاء الصفات ومروة المروآت والحلق بمحو آثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس عليه سائر المناسك ولله در القائل الناسك --

يا من الى وجهه حجي ومعتمري ان حج قوم الى ترب واحجـار

لبيك لبيك من قرب ومن بعد سرا بسر واضمارا باضمـار

رواه البخاري ومسلم *

(* الحديث الرابع *)

(عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق) في اقواله وافعاله واحواله (المصدوق) فيما ياتيه من الوحي والجملة اعتراضية لا حالية لتعم الاحوال كلها (ان احدكم يجمع خلقه) اي يضم ويحرز مادة خلقه والخلق في الاصل بمعنى التقدير يستعمل في ايجاد الشيء من مادة وغيرها فالايجاد بالمواد والاسباب يتعلق بعالم الملك والشهادة وهو مظهر الحكمة والايجاد بغيرها يتعلق بعالم الملكوت والغيب اذ هو مظهر الامر والقدرة فالجسم لما كان من عالم الخلق اقتضى المادة والمدة والروح لما كان من عالم الامر لم يقتض ذلك (في بطن امه اربعين يوما) اي نطفة كما في الرواية الاخرى وهي الماء القليل لانه ينطف نطفا اي يسيل ومعنى

Digitized by Google

استحالة الغذاء الى النطفة

الجمع هو ان يمكث اربعين ليلة في بشرة المراة بعد ان انتشرت في بدنها تحت كل ظفر وشعر ثم ينزل منه دما في الرحم كذا عن ابن مسعود . قال الاطباء الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ يصير جزءا من المتغذى تشبيها به ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يحصل ذوبان لجملة الاعضاء ويجتمع منه النطفة فهي جسم مختلف الاجزاء وان تشابهت عند الحس والمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان القوة الطبيعية مع كونها خرقاء سريعة الاستحالة اذا عملت في مادة يجب ان يكون فعلها هو الكرية لما ثبت في الحكمة من ان البسائط يجب ان يكون اشكالها هي الكرية فيلزم ان يكون الحيوان كريا مختلف الاعضاء في الوضع وهو باطل بل الموثر فيها تدبير الفاعل المختار هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قالت الصوفية خصوصية الاربعين لموافقة تخمير طينة آدم وميقات موسى عليهما السلام وذلك لاختصاصهما بالكمال لتركبها من عشرة واربع ولكل خاصية في الكمال اما الاول فلانها غاية الاحاد ومن غير تكرار واما الثاني فلانه قد استمر كل مستقيم البنيان على اربعة اركان كالطبائع والفصول الاربعة . قال الخطابي الحكمة في تاخير كل منها اربعين يوما ان يعتاد الرحم لانه لو خلق دفعة لشق ذلك على الام ويخاف عليها وايضا تقلبه في هذه الاطوار المباينة تاكيد لامر البعث لان من قدر عليه ابتداء يقدر على اعادته بل هي ادخل فيها واهون (ثم يكون) اي يصير خلقه (علقة) وهي دم جامد لانها اذ ذاك تعلق بالرحم (مثل ذلك) اي اربعين يوما (ثم يكون مضغة) اي قطعة من اللحم قدر ما يمضغ (مثل ذلك ثم يرسل الملك) في الطور الرابع حين يتكامل بنيانه ويتشكل اعضاوه والمراد بالارسال امره بها والتصرف فيها لانه ثبت في الصحيحين انه موكل بالرحم حين

Digitized by Google

وتشوقت مدة ثم لمـــــا زارني جل عن مدا الانظـار

واما الزكاة فهي اشارة الى تزكية احوال الظاهر والباطن بترك الاموال وصرفها الى اسباب الوصول وتخلية القلب عن الاغيار وتفريغ الخاطر لظهور تجليات الانوار واما الحج فهو اشارة الى وجوب زيارة بيت الخليل ان استطاع اليه السبيل بان وجد شرائط السلوك وامكانه وآداب السفر واركانه وهي الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن المالوفات والتوجه الى الله بصفاء الطويات والوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة والطواف بالخروج عن الاطوار السبعية بالاشواط السبعية حول كعبة الربوبية والسعي بين صفاء الصفات ومروة المروآت والحلق بمحو آثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس عليه سائر المناسك ولله در القائل الناسك --

يا من الى وجهه حجي ومعتمري ان حج قوم الى ترب واحجـــار

لبيك لبيك من قرب ومن بعد سرا بسر واضمارا باضمـــــار

رواه البخاري ومسلم *

(* الحديث الرابع *)

(عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق) في اقواله وافعاله واحواله (المصدوق) فيما ياتيه من الوحي والجملة اعتراضية لا حالية لتعم الاحوال كلها (ان احدكم يجمع خلقه) اي يضم ويحرز مادة خلقه والخلق في الاصل بمعنى التقدير يستعمل في ايجاد الشيء من مادة وغيرها فالايجاد بالمواد والاسباب يتعلق بعالم الملك والشهادة وهو مظهر الحكمة والايجاد بغيرها يتعلق بعالم الملكوت والغيب اذ هو مظهر الامر والقدرة فالجسم لما كان من عالم الخلق اقتضى المادة والمدة والروح لما كان من عالم الامر لم يقتض ذلك (في بطن امه اربعين يوما) اي نطفة كما في الرواية الاخرى وهي الماء القليل لانه ينطف نطفا اي يسيل ومعنى

Digitized by Google

استحالة الغذاء الى النطفة

الجمع هو ان يمكث اربعين ليلة في بشرة المراة بعد ان انتشرت في بدنها تحت كل ظفر وشعر ثم ينزل منه دما في الرحم كذا عن ابن مسعود . قال الاطباء الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ يصير جزءا من المتغذى تشبيها به ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يحصل ذوبان لجملة الاعضاء ويجتمع منه النطفة فهي جسم مختلف الاجزاء وان تشابهت عند الحس والمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان القوة الطبيعية مع كونها خرقاء سريعة الاستحالة اذا عملت في مادة يجب ان يكون فعلها هو الكرية لما ثبت في الحكمة من ان البسائط يجب ان يكون اشكالها هي الكرية فيلزم ان يكون الحيوان كريا مختلف الاعضاء في الوضع وهو باطل بل الموثر فيها تدبير الفاعل المختار هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قالت الصوفية خصوصية الاربعين لموافقة تخمير طينة آدم وميقات موسى عليهما السلام وذلك لاختصاصهما بالكمال لتركبها من عشرة واربع ولكل خاصية في الكمال اما الاول فلانها غاية الاحاد ومن غير تكرار واما الثاني فلانه قد استمر كل مستقيم البنيان على اربعة اركان كالطبائع والفصول الاربعة . قال الخطابي الحكمة في تاخير كل منها اربعين يوما ان يعتاد الرحم لانه لو خلق دفعة لشق ذلك على الام ويخاف عليها وايضا تقلبه في هذه الاطوار المباينة تاكيد لامر البعث لان من قدر عليه ابتداء يقدر على اعادته بل هي ادخل فيها واهون (ثم يكون) اي يصير خلقه (علقة) وهي دم جامد لانها اذ ذاك تعلق بالرحم (مثل ذلك) اي اربعين يوما (ثم يكون مضغة) اي قطعة من اللحم قدر ما يمضغ (مثل ذلك ثم يرسل الملك) في الطور الرابع حين يتكامل بنيانه ويتشكل اعضاوه والمراد بالارسال امره بها والتصرف فيها لانه ثبت في الصحيحين انه موكل بالرحم حين

Digitized by Google

كان نطفة او ذاك ملك آخر غير ملك الحفظ وعجن النطفة بتراب قبره كما ورد في تفسير قوله تعالى منها خلقناكم ان الملك ياخذ من تراب مدفنه فيبددها على النطفة ولكونه سلالة من الطين جاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف اجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين فيه حرص الفارة والنملة وشهوة العصفور وغضب الفهد وكبر النمر وبخل الكلب وشر الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من ذمائم الاخلاق والصفات وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازي ونحوها من محاسن الاخلاق فان قلت قد ورد في صحيح مسلم برواية حذيفة بن اسيد لا ابن مسعود كما في المشارق انه اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها ثم يقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء ثم يكتب اجله ورزقه فعلم منه ان التصوير بعد الاربعين الاولى وهو مناف لهذه الرواية فجوابه ان لتصرف الملك اوقات احدها حين يكون نطفة ثم ينقلب علقة وهو اول علم الملك بانه ولد وذلك عقيب الاربعين الثانية وحينئذ يكتب رزقه واجله وعمله وخلقته وصورته ثم يتصرف فيه بتصويره وخلق اعضائه وذلك في الاربعين الثالثة ثم ينفخ فيه الروح فالمراد بتصويرها بعده انه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر لان التصوير بعد الاربعين الاولى غير موجود عادة كذا في شرح مسلم ولا يخفى ما فيه وقد استفاض بين النساء من ان النطفة اذا قدرت ذكرا يتصور بعد الاربعين الاولى بحيث يشاهد منه كل شيء حتى السوءة فتحمل رواية ابن مسعود على البنات او الغالب والله اعلم (فينفخ فيه الروح) اي بعد كمال الجسد وتقدير اموره والنفح بالمهملة والنفخ بالمعجمة والنفث بمعنى واحد الا ان الاولين يستعملان على طريق الخير والشر والثالث على طريق الشر وفي الحديث معنى لطيف بلسان الاشارة وهي انه اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق

كيفية تخلق الجنين

نطفة

Digitized by Google

نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام ويضبط المريد احواله الظاهرة والباطنة على وفق ارادة امر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف ولاية الشيخ المويد بتاييد الحق بمرور كل اربعين عليه بشرائطها بحلولها من حال الى حال ومن مقام الى آخر الى ان يرجع الى حضاير القدس ورياض الانس التي صدر منها الى عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة الله في ارضه فيستحق الان ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه واوليائه يلقي الروح من امره على من يشاء وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه من روحه يكون آدم وقته فتسجد له الملائكة اجمعون (ويومر باربع كلمات) عطف على ينفخ وجعله نسقا على يكون علقة للتوفيق بين الحديثين تعسف بارد اي يومر بكتابة الاحكام المقدرة له على جبهته او بطن كفه او ورقة تعلق برقبته قاله مجاهد واعلم ان الكتابة التي في ام الكتاب تعم الاشياء كلها وهذا ما خص به كل انسان اذ لكل كتابة سابقة وهي ما في اللوح المحفوظ ولاحقة تكتب ليلة القدر ومتوسطة اشير اليها في الحديث (بكتب) بدل من قوله اربع اذ المضاف مقدر فيه ويروى يكتب على الاستيناف (رزقه) اي ما ينتفع به حلالا او حراما ماكولا او غيره (واجله) اي مدة عمره او الوقت الذي ينقرض فيه لان الاجل يطلق عليهما (وعمله وشقي او سعيد) مرفوع بتقدير هو وانما عدل عن قوله وشقاوته وسعادته لانه حكاية لصورة ما يكتبه الملك او التقدير انه شقي او سعيد فعدل عنه لان التفصيل وارد عليهما ذكره الطيبي والسعادة معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخيرات ويضادها الشقاوة وهي اما قلبية او بدنية او ما حول البدن . فالقلبية هي المعارف والحكم والكمالات العلمية والعملية القلبية والخلقية . والبدنية الصحة والقوة واللذات الجسمانية . وما حول البدن الاموال والاسباب وقدم الشقاوة للاهتمام وليعلم ان الشر والخير من عند الله وتقديره ردا على الثنوية

المثبتين شريكا فاعلا للشر لانهم طلبوا الحكمة في افعال الله وقالوا مدبر العالم لو كان واحدا لم يختص هذا بانواع الخيرات والصحة والغنى وذلك باصناف الشر فرد عليهم الرب تعالى بقوله لا يسال عما يفعل وما احسن قول القائل --

كم من اريب فهم قلبه   مستكمل العقل مقل عديم
وجاهل تكثر امواله   ذلك تقدير العزيز العليم

وتحقيق هذا المقام ان يقال ان لله صفتي لطف وقهر والحكمة تقتضي ان يكون الملك سيما ملك الملوك كذلك ان كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام الاخر ولا يتحقق كل منهما إلّا بوجود الاخر كما لا تتبين اللذة إلّا بالالم و بضدها تتميز الاشياء ولابد لكل منهما من مظهر فالسعداء واعمالهم مظاهر اللطف وفائدة بعثة الانبياء وانزال الكتب ترجع اليهم انما انت منذر من يخشاها كما ان فائدة نور الشمس لاهل البصر والاشقياء وافعالهم مظاهر القهر وفائدة البعثة لهم الزام الحجة لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهي في الحقيقة النعي عليهم بالشقاوة فتامل قال القاضي من وجده مستعدا لقبول الحق اثبته في عداد السعداء ومن رآه قاسي القلب ضاريا بالطبع متآبيا عن قبول الحق كتبه في ديوان الاشقياء هذا اذا لم يعلم من حاله ما يغير ذلك فان علم كتب اوائله واواخره وحكم عليه وفق ما يتم به عمله كما اشار اليه بقوله (فوالـــذي) اي اذا كانت الشقاوة والسعادة مكتوبة فوالذي (لا اله غيره) واكده بالقسم لتاكيد القضاء ليعلم ان الكسب لا مدخل له في الحقيقة (ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون) حتى ناصبة وما نافية قاله الطيبي ولعل لفظة ما لمجرد النفي منسلخة عن معنى الحالية ليجامع ان التي للاستقبال كاللام في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك لمجرد التاكيد معرى عن معنى الحالية في بعض النسخ الصحيحة للبخاري لهذا الكتاب مقيدة بالضم (بينه و بينها إلّا ذراع) اراد به التمثيل

Digitized by Google

بالقرب من موته ودخوله عقيبه الجنة (فيسبق) أورد عليه الفاء لتدل على حصول السبق ودخوله بلا مهلة وعداه بعلى تضمينا لمعنى يغلب اي يغلب (عليه الكتاب) اي ما كتب قبل النفخ (فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها) لان بذر السعادة والشقاوة قد اختفى في الاطوار الانسانية لا يبرز إلّا اذا انتهى الى غاية الايمانية او الطغيانية (وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلّا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة) بان يستغفر و يتوب (فيدخلها) اذ الخاتمة نسخت السابقة فعلم انه لا عبرة بالصورة بل بالاخلاص وحسن السريرة ولا يغتر بحسن الاعمال ولا يقنط من روح الله بقبح الافعال ولا يحقر اهل الشقاوة في ظاهر الاحوال اذ الامر منوط بمطلق القضاء وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء فعلم ان ما يجري في العالم من الايمان والكفر والسعادة والشقاوة ومن الكليات والجزئيات بتقدير الله وايجاده اذ لا موثر في الوجود إلّا الله المتعالي عن الشريك ذاتا وصفة وفعلا يفعل ما يشاء لا علة لفعله ولا معقب لحكمه لا يسئل عما يفعل ولا مجال للعقل في تحسين الافعال وتقبيحها بل يحسن صدورها كلها عنه ولا استقلال للعبد في الافعال . والمدح والذم باعتبار المحلية لا باعتبار الفاعلية كما يمدح الشيء بحسنه والثواب والعقاب كسائر الامور العادية فان الله اجرى عادته بان يوجد الاسباب اولا ثم يوجد المسببات عقبها فكل منها صادرة عنه ابتداءً واما البعثة والتكليف فلان الله يجب اتصافه بالامر والنهي والوعد والوعيد كما تقرر ولا بد لها من مظهر كما كان كذلك في جميع الصفات وكلف العباد بهما ورتب عليه الوعد والوعيد اظهارا لمقتضى سلطنته كما قال كنت كنزا مخفيا فاردت ان اعرف فخلقت خلقا لان اعرف ثم القدر سر لم يطلع عليه ملك ولا نبي فلا يجوز البحث عنه ولذا قال علي كرم الله وجهه لمن ساله عن القدر طريق مظلم لا تسلكه فاعاد السوال قال بحر عميق لا تلجه فاعاد السوال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه ولله

Digitized by Google

درس قـــال ــ

تبارك من اجرى الامور بحكمة   كما شاء لا ظلما اراد ولا هظمـــا
فما لك شي غير ما الله شاءه   فان شئت طب نفسا وان شئت مت كظما

رواه البخاري ومسلم *

(* الحديث الخامس *)

(عن ام المومنين) كنية ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وازواجه امهاتهم اي في حرمة النكاح فقط (ام عبد الله) كنيت باسم ابن اختها عبد الله بن الزبير بن اسما بنت ابي بكر او بسقط من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي عبد الله وهو ضعيف ذكره في الاذكار (عائشة رضي الله عنها) اسلمت ونكحت ولها ثلاث سنين بمكة وبنى عليها بالمدينة ولها تسع سنين وبقيت معه تسعا كانت فقيهة عالمة كثيرة الحديث عظيمة الشان ماتت سنة سبع وخمسين مروياتها الف ومائتا حديث وعشرة احاديث (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا) اي في ديننا عبر عنه بالامر اذ هو الامر المهتم بشانه الذي لا يخلو عنه شيء من اقواله وافعاله وكثيرا ما يقولون لامر ما اي لامر عظيم مهتم بشانه كقول القائل ــ

عزمت على اقامة ذي صباح   لامر ما يسود من يســـــود

وايرادهم اسم الاشارة بدلا او صفة لافادة التعظيم والاشارة الى تمييز الدين اكمل تمييز ٠ والامر اصطلاحا طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء ولا يرد اكفف عن القتل لان له جهتين كما حقق ويستعمل في الفعل والشان والصفة (ما ليس منه) اي راى ما ليس له مستند من الكتاب والسنة سواء كان فعلا او قولا او حالا (فهو رد) اي فذلك المحدث مردود عن جنابنا فان الدين اتباع آثار الايات والاخبار واستنباط الاحكام منها وقد كمل الدين كما اشار الى ذلك في الكتاب المبين وما احدثه مردود فلا تقبلوه فان الدين غيره فالضمير اما الى الشخص او الامر والاول ابلغ والثاني اظهر

Digitized by Google

(رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم من عمل عملا) اي من اتى بشيء من الطاعات او بشيء من الاعمال الدنيوية او الاخروية سواء كان محدثا او سابقا على الامر وكان من صفته انه (ليس عليه امرنا) اي اذننا بل اتى به على حسب هواه (فهو رد) اي مردود غير مقبول فهذه الرواية اعم وهذا الحديث عماد في التمسك بالعروة الوثقى واصل في الاعتصام بحبل الله الاعلى ورد المحدثات والبدع والهوى وقد انشد في هذا المعنى

وما النور إلّا في الحديث واهله اذا ماد في الليل البهيم واظلم
واعلى البرايا من الى السنن اعتزى واعمى البرايا من الى البدع انتمى
ومن ترك القرآن قد ظل سعيه وهل يترك القرآن من كان مسلما

ثم اعلم ان الانسان له روح نوراني من عالم الملكوت ونفس ظلمانية من عالم الملك ولكل منها نزاع وتشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح حتى يتجلى فيها ان الموجود الحقيقي ذات الله وصفاته وافعاله فالواجب على العبد ان يدق بمطرقة كلمة التوحيد نمرود النفس الى ان تومن بذلك وتكفر بطاغوت وجوده ووجود ما سوى الله هذا هو الدين الحنيفي فمن احدث فيه بتسويل الشيطان غير ذلك بان ايس عن الحق وشك في مواعيده وتعلق قلبه بغيره ولم ينسلخ عن صفاته وافعاله ولم تنطمس ظلمات ذاته في انواره فهو مردود ولم يتبع إلّا شيطانا مريدا لعنه الله *

(* الحديث السادس *)

(عن ابي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما) هو اول من ولد من الانصار بعد الهجرة وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة سكن الكوفة واليا عليها زمن معاوية وولي حمص وقتل بها سنة اربع وستين وابوه صحابي ايضا وشهد المشاهد كلها مروياته مائة وثلاثة وعشرون حديثا (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال بين)

يعني ان الاشياء ثلاثة حلال بين لا يخفى حله بان ورد نص على حله او مهد اصل يمكن استخراج الجزئيات منه كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا فان اللام للنفع فعلم ان الاصل في الاشياء الحل الّا ان يكون فيه مضرة (والحرام بين) واضح لا تخفى حرمته بان ورد نص على الحرمة كالفواحش والمحارم وما فيه حد وعقوبة والميتة والدم ولحم الخنزير او مهد ما يستخرج منه ذلك كقوله كل مسكر حرام (وبينهما مشتبهات) لوقوعها بين اصلين ومشاركتها لافراد كل منهما فلكونها ذات جهة الى الحلال لم يجز ان تعد من الحلال البين ولكونها ذات جهة الى الحرام لم يجز ان تعد منه (لا يعلمهن كثير من الناس) لتعارض الامارتين ولم يقل على الناس لان العارفين والمحققين وقليل ما هم لا يشتبه ذلك عليهم فاذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن نص او اجماع اجتهد فيه المجتهد فالحقه باحدهما بالدليل الشرعي فاذا فقد فالورع تركه . قال المصنف وللعلماء فيه ثلاثة اقوال الحكم بالحل والحرمة والتوقف كذا ذكره الشارحون والتحقيق ان يقال الحلال البين ما سلم عينه عن الصفات المحرمة ولم يتطرق الى اسبابه والحرام البين ما فيه صفة محرمة كالخمر او حصل بسبب حرام كالربا والمشتبه ما التبس امره بان تعارض فيه اعتقادان صدرا عن سببين فما لا سبب له فهو وسوسة . ومثار الشبهة اما اختلاف الادلة لتعارضها او لتعارض العلامتان كما تقدمت الاشارة اليها واما اختلاط الحلال بالحرام بان اختلط حرام غير محصور بحلال غير محصور فلا منع منه الّا اذا اقترن بعلامة معينة للحرمة لكن الورع تركه او حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اشتبه محرم بنسوة بلد فله ان ينكح ما شاء او اختلط محصور بمحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج كالمائعات فلا يخفى حكمه او استبهام مع تمييز الاعيان كما لو اشتبه ميتة بمذكاة او رضيعة بعشرة نسوة فيجب الاجتناب واما الشك في السبب المحرم او المحلل فلا يخلو اما ان يتعادل الاحتمالان فالحكم للاستصحاب مثال ما يكون التحريم معلوما والشك في

اعرف حكم ما لم يرد من الشارع فيه نص

Digitized by Google

المحلل اذا جرح صيدا وصادفه في الماء ميتا ولم يدر امات بالغرق او بالجرح فهو حرام لان الاصل الحرمة ومثال عكسه ما اذا علق رجلان طلاق زوجتيهما بطائر فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامراتي طالق وقال الاخر ان لم يكن فكذلك والتبس فالحكم للحل والورع لا يخفى فان غلب احدهما فالحكم للغالب كما اذا رمى الى صيد فغاب ثم ادركه ميتا واحتمل موته بسبب آخر ولم يظهر فحلال او غلب على ظنه نجاسة احد الاناءين بعلامة فنجس ومن جملة الشبهات ان يشتري شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من مال حرام ومنها اموال السلاطين وغيرهم بل في زماننا لا يخفى حكمها ثم لما كان سياق الكلام وتفصيل الاحكام للارشاد الى التحرز من الحرام البين وذلك لا يحصل إلّا بالانتهاء عنه وعن المشتبه قال (فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه) اي حصل البراءة لدينه من الذم الشرعي وحمى عرضه من وقوع الناس فيه لاتهامهم اياه بموافقة المحظورات اذا لم يتق الشبهات وحمل الشارح المطهر العرض على النفس ايضا حيث قال طهر دينه وبدنه من العقوبة وكلاهما صحيح . قال في النهاية العرض موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه او سلفه ولما كان موضعه النفس حمل عليها اطلاقا للمحل على الحال والاستبراء من برئ من الدين والعيب ومنه استبرا الجارية اذا علم براءة رحمها من الحمل فاطلق العلم بالحصول واراد الحصول او طلب براءته كما في المغرب وعلى هذا فالسين للتاكيد كما في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم لا للطلب اذ الطلب لا يستلزم الحصول فعلم ان ما اشتبه امره في المباح ينبغي اجتنابه لئلا يجره الى الوقوع في الحرام وانه لو وجد في بيته ما لا يدري اهو له او لغيره فالورع تركه كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في التمرة التي وجدها في بيته وقال اخشى ان تكون من الصدقة ولا يحرم لانه في يده وان المعاملة مع من في ماله شبهة ربا او نحوه تركها اولى ما لم تتيقن حرمته فانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي بشعير اخذه منه لقوت

اعرف العرض

اهله مع اكلهم الربا واثمان الخمور وانه ان اتى من له مال حلال وحرام بمال فان لم يتميز الحرام كان ماله كله حرام وان تميز لكن لا يعلم انه من ايهما فهو الشبهة قاله الغزالي (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام) لان من سهل على نفسه ارتكاب الشبهات افضاه الحال متدرجا الى ارتكاب المحرمات المقطوع بحرمتها او ارتكاب المحرمات في الجملة لان الذي ارتكبها من المشتبه ربما كان حراما فيقع فيه بخلاف المحتاط فانه اذا امتنع من الشبهات فلان لا يرتكب الحرام اولى (كالراعي) ضرب مثل فائدته تجلية المعاني المعقولة بصورة المحسوسات لزيادة الكشف وله شان عجيب في ابراز الحقائق ورفع الاستار عن وجوه الدقائق ولذا كثر في القرآن والحديث وهو لغة بمعنى المثل والنظير واصطلاحا قول غريب سائر يشبه مضربه بمورده ويستعار للحال والصفة والقصة التي فيها غرابة اي حاله كحال الراعي (يرعى) صفة للراعي لانه في المعنى كالنكرة (حول الحمى) هو ما يحمى من الارض لاجل الدواب ويمنع دخول الغير وهذا غير جائز الّا للنبي صلى الله عليه وسلم لقوله لا حمى الّا لله ورسوله (يوشك) اي يسرع (ان يرتع فيه) بناء على تساهله في المحافظة وجرءته على الرعي فيستحق عقاب الملك ثم نبه بكلمة (الا) على امور خطيرة في الشرع في ثلاثة مواضع ارشادا الى ان كل امر دخله حرف التنبيه لجلالة شانه يستحق ان ينبه المخاطب له ويستانف الكلام لاجله فقال الا . وهي مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فتفيد التنبيه على تحقق ما بعدها ولافادة التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الّا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم (وان لكل ملك حمى) يمنع الناس منه ويعاقبون عليه وهو عطف على الا كذا قيل بناء على انه يفهم من لفظة الا انبه ومن قوله ان لكل ملك حمى احقق فبهذا التاويل صح العطف اذ عطف المفرد على الجملة لا يصح الّا باعتبار ان يتضمن المفرد معنى الفعل كما في قوله تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكنا على قول والاولى ان

يقال

يقال انها واو الابتداء التي سمتها النحاة واو الاستيناف الدالة على انقطاع ما بعدها عما قبلها في الجملة كما ذكره صاحب المغني او هو عطف على السابق ولفظة الا متوسطة اي ان الحلال بين وكذا وكذا وان لكل ملك حمى او على مقدر يناسب المقام كما ذكره الزمخشري في قوله تعالى اوكلما عاهدوا عهدا (الا وان حمى الله محارمه) وهي انواع المعاصي فمن دخله بارتكاب شيء منها يستحق العقوبة فمنها ما لا يغفر وهو الشرك ومنها ما ان يغفر بالاستغفار وهو حق الله ومنها ما لا يغفر إلّا بالارضاء والترداد وهو حق العباد اما في الدنيا بالاستحلال او رد العين واما في الاخرة برد ثواب الظالم اليه او الله يرضي المظلوم بلطفه فشبه المحارم من حيث انها ممنوع التبسط فيها بحمى السلطان ولما كان التورع والتهتك مما يتبع ميلان القلب الى الصلاح والفساد نبه على ذلك بقوله (الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت) بالايمان والعلم والعرفان واللام فيها مفتوحة وهي افصح او مضمومة (صلح الجسد كله) بالاعمال والاخلاق والاحوال (واذا فسدت) بالجحود والشك والكفران بفتح السين والضم ايضا (فسد الجسد كله) بالفجور والعصيان فعلى المكلف ان يقبل عليها ويمنعها عن الانهماك في الشهوات حتى لا يبادر الى الشبهات ولا يستعمل جوارحه في اقتراف المحرمات (الا وهي القلب) اي تلك المضغة الموصوفة القلب وهي قطعة من اللحم والمراد تصغير القلب بالنسبة الى باقي الجسد مع ان صلاحه وفساده بانفاق الجسد واتباعه فاهم الامور مراعاته فان من صدر عنه ارادة صالحة تحرك الجسد حركة صالحة وبالعكس فالقلب كالملك والجسد كالرعية (فـــائدة) وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم شق صدره اولا في سنة ثلاث او اربع من مولده ثم بعد ما تم له عشر سنين ثم اعيد ثم شق ليلة المعراج ما بين النقرة الى العانة واستخرج قلبه فشق واستخرج منه علقة وقيل له هذا حظ الشيطان منك ثم اوتي بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل وحشي ايمانا وحكمة ثم اعيد قال

اعرف شـــق صدره الشريف في كم مـــرة كان

Digitized by Google

اعرف القلب وما اودع فيه

بعض العارفين القلب هدف سهام القهر واللطف وهي متقلبة في قبضة خالقها فاذا وقعت في بحار النكرات مالت من تاثير الشبهات القهريات الى عالم الشهوات وافاضت الى الجوارح مباشرة الاثام واذا وقعت في بحار المعارف مالت بنعت المحبة والشوق الى مشاهدة الله فاستنارت بنورها فنورت العقل والحس والروح والصورة فيتولد من حسن جوارحها خشوع الصورة وصلاح الجوارح في خدمته والقلب لغة صرف الشيء الى عكسه ومنه المقلوب سمي به لكثرة تقلبه قال بعضهم

قد سمي القلب قلبا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وله ظاهر وهو المضغة الصنوبرية المودعة في التجويف الايسر من الصدر وهو محل اللطيفة الانسانية ولذا نسب اليه الصلاح والفساد وباطن وهو اللطيفة الروحانية النورانية الربانية العالمة التي هي مهبط الانوار الالهية وبها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهي وبها صلاح البدن وفساده وهي خلاصة تولدت من الروح الروحاني ويعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها والروح قل الروح من امر ربي وهي مقر الايمان اولئك كتب في قلوبهم الايمان كما ان الصدر محل الاسلام افمن شرح الله صدره للاسلام والفواد مقر المشاهدة ما كذب الفواد ما راى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين اخرجوا من قشر الوجود المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي لكن معرفته كما هي متعذرة والاشارة الى حقيقتها على ارباب الحقائق متعسرة . والروح لغة ما به الحياة وهي نوعان روح حيواني من عالم الحكمة وهي جسم لطيف حامل لقوة الحس والحركة ينبعث من القلب الى سائر الاعضاء بتوسط الاوردة والشرايين وهي التي تذوق الموت ويتصرف فيه بعلم الطب باعتدال مزاج الاخلاط ويرد عليه الروح العلوي وروح انساني من عالم الامر وهي غير مخلوقة ليس بينها وبين الله سبب ولا نسبة. استقلت بذاتها دون الجسد وسبقت عليه من عالم الامر وجودا وكانت هناك مرباة

اعرف القلب النوراني

اعرف الروح

Digitized by Google

بنظرات الله جل وعلا محتفة بالعلم والحياة والقدرة وسائر الاحوال بوصف كلي فصارت بارزة في الجسد مختفية فيه بحيث تلونت بتلونه ليتعلق بها الاحكام الشرعية للاذعان وتتعرف بسر ظاهرية الحق تعالى ثم يعود الى عالمه بفواضل من الاخلاق والمعرفة بالجزئيات إلّا ان قسما تثبت عليه الطهارة الفطرية وقسما يتغير فيه ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وهذه لمعة من كلام الغزالي والبقالي والسهروردي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين قال الامام في التفسير الكبير الصحيح من المذهب عند الراغب والغزالي وغيرهما ان الروح الانساني جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف فاذا انقطعت علاقته عنه بقي مشاهدا وقد اشتهر عن علي كرم الله وجهه انه قال

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي انشا الانسان مبتدعا فكيف يدركه مستحدث النسم

(رواه البخاري ومسلم)

(* الحديث السابع *)

(عن ابي رقية تميم بن اوس الداري) منسوب الى جد له اسمه دار عند الجمهور كان نصرانيا فاسلم سنة سبع وسكن بالمدينة ثم انتقل الى بيت المقدس يختم القرآن في كل ركعة ويتهجد كثيرا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه قصة الدجال والجساسة ومروياته ثمانية عشر حديثا وليس له في الصحيحين إلّا هذا (رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة) اي عماد الدين وقوامه كما في قوله الحج عرفة فالحصر ادعاءي كذا قيل بناء على ما اشتهر على انه احد ارباع الاسلام لكن المصنف اختار انه عليه مدار الاسلام فالحصر حقيقي والنصيحة كلمة جامعة ومعناها ارادة الخير للمنصوح له من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع شبه تخليص القول من الغش بتخليص العسل من

Digitized by Google

الشمع ولما كانت من الامور الاضافية استفصلت (قلنا) النصيحة (لمن قال لله عزوجل) بالايمان بوجوده بان يعلم ان وراء المتحيزات موجودا خالقا لها و بصفاته الثبوتية والسلبية والاضافية وبافعاله بان يعلم ان كل ما سواه المسمى بالعالم فانما حدث بقدرته وهو من العرش الى الثرى بالنسبة الى العظمة الالهية اقل واحقر من خردلة بالنسبة الى جميع العالم وباحكامه بان يعرف انها غير معللة بغرض وان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد وان له الحكم كيف يشاء ولا يجب عليه شيء ان اثاب فبفضله وان عذب فبعدله وباسمائه بان يعلم انها توقيفية ثم باخلاص العبادة له واجتناب معاصيه والحب والبغض له وهذه الاوصاف راجعة الى العبد في نصيحته نفسه ودعوة غيره اليها فان الله غني عن العالمين (و) النصيحة (لكتابه) بان يعتقد بانه كلامه وتنزيله والاعتبار بمواعظه والتدبر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه والمراد بالكتاب القرآن لان الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب المنزلة او جنس الكتب السماوية اذ الجنس المضاف يفيد العموم كما تقرر في الاصول على ان صاحب المفتاح صرح بان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ولذا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب لتناوله وحدان الجنس بخلاف الكتب لكن حقق بعض الافاضل ان الجمع المحلى باللام يشمل كل فرد فرد مثل المفرد ووقوعه في جواب مَن على سبيل التغليب او الاستعارة بالكناية كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق (ولرسوله) بالايمان به وبما جاء به والانقياد لاوامره ونواهيه والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم او الجنس ليشمل الملك ايضا اذ هم رسل الى الانبياء كما قال تعالى جاعل الملائكة رسلا (ولايمة المسلمين) بان ينقاد لطاعتهم ولا يخرج عليهم . والامام مَن له خلافة الرسول في اقامة الدين بحيث يجب اتباعه على الكل (وعامتهم) بارشادهم لمصالحهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودفع الضرر عنهم فعلم اشتماله على امهات قواعد الدين * واصول الشرع المتين * وانشد بعض الصالحين *

Digitized by Google

عرضت نصيحتي مني لزيد فقال غششتني والنصح مر
فقلت له تجنب كل شيء يقال عليك ان الحر حر

(رواه مسلم)

(* الحديث الثامن *)

(عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت) لم يذكر الآمر للعلم به (ان اقاتل الناس) اراد عبدة الاوثان دون اهل الكتاب لان غاية مقاتلتهم ليس ما ذكر فقط بل اما ذاك او اعطاء الجزية ذكره اكثر الشارحين او الاعم لكن خص منه اهل الكتاب بالاية ذكره الطيبي وهو اولى لان الامر بالقتال انما نزل بالمدينة مع كل من يخالف الاسلام قال ابن الصباغ في الشامل لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم فرض عليه التوحيد والتبليغ وقراءة القرآن بقوله اقرا باسم ربك ثم فرض الصلاة بمكة ثم فرض الصوم بعد سنتين من الهجرة والحج في السنة السادسة او الخامسة واما الزكاة فقيل بعد الصيام وقيل قبله واما الجهاد فلم يوذن له بمكة واذن له بالمدينة لمن ابتدا به ثم ابتداوهم به دون الحرم والاشهر الحرم ثم نسخ ذلك وابيح ابتداوهم في الاشهر الحرم والحرم (حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة و يوتوا الزكاة) خصهما بالذكر لانهما اما العبادات البدنية والمالية واساسها والعنوان على غيرهما ولذا سمى الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام وقرن بينهما في القرآن ذكره القاضي والتحقيق ان يقال الشهادة اشارة الى تخلية لوح القلب عن الشرك الجلي والخفي وسائر النفوس الفاسدة ثم تحليته بالمعارف والحكم الالهية والاعتقادات الحقية واحوال المعاد وغيرها لان من اثبت ذات الله بجميع اسمائه وصفاته التي دل عليها اسم الله ونفى غيره وصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بنعت الصدق والامانة فقد وفى بعهده عهده وبذل نهاية جهده في بداية جهده وآمن بجميع ما وجب من الكتب والرسل والمعاد ولذا لم يتعرض لعد سائر الاعداد واقامة الصلاة اشارة الى ترك

Digitized by Google

الراحات البدنية واتعاب الآلات الجسدية وهي ام العبادات التي اذا وجدت لم يتاخر عنها البواقي وانما استغنى عن عد ما عداها وترك السيآت بعدها لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وايتاء الزكاة هو الاعراض عن الفضول المالية بل عن كل الموجودات و بذل المال الذي هو شقيق الروح لاستفتاح ابواب الفتوح واللام فيها للجنس او للعهد فينصرف الى الكامل كقولهم هو الرجل كان ما عدا صلاة المسلمين وزكاتهم ليس بصلاة وزكاة (فاذا فعلوا ذلك) المذكور (عصموا) حفظوا (مني دماءهم واموالهم) فلا يتعرض لهما بسبب من الاسباب (إلّا بحق الاسلام) من قتل النفس المحرمة وترك الصلاة ومنع الزكاة بتاويل باطل وغير ذلك والحق لغة مصدر حق ذلك اي ثبت او نعت بمعنى الشيء الثابت و بمعنى نقيض الباطل والمراد الثاني والاضافة لامية . واصطلاحا يطلق على الحكم المطابق للواقع و يقابله الباطل وهو يشمل الاقوال والعقائد والمذاهب واما الصدق فقد شاع في الاقوال خاصة و يقابله الكذب وقد يفرق بينهما بان المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم فمعنى صدق الحكم مطابقته الواقع ومعنى حقيته مطابقة الواقع اياه والمراد بالاسلام الدين (وحسابهم على الله) فيما يسترون من الكفر والمعاصي على معنى انا نحكم بظاهر الحال والايمان القولي ونرفع عنهم ما على الكفار ونواخذهم بحقوق الاسلام بحسب ما يقتضيه حالهم لا بانهم مخلصون والله يتولى حسابهم فيثيب المخلص و يعاقب المنافق ويجازي المستتر بفسقه او يعفو عنه والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد من حسبك كذا اي كفاك لان فيه كفاية ومعنى حسابهم على الله انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير اعمالهم وبما لهم من الثواب والعقاب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها سيآتهم فيقال قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم و يقال قد ضعفتها لكم او انه يجازيهم اذ الحساب قد جاء بمعنى المجازاة كذا في التفسير الكبير ولا يخفى ان

مبحث الحساب

Digitized by Google

الاول مجاز فيكون مجازا من باب اطلاق السبب على المسبب لان الحساب
سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه او انه يجازيهم اذ الحساب سبب
الاخذ والاعطاء ومعنى سرعته ان لا يفتقر في احداث شيء الى فكر وروية
ومدة وعدة ولذا ورد انه يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة او في لمحة
واعلم ان هذا الحديث اشارة الى التوحيد وهو ظهور فناء الخلق بتشعشع
انوار الحق وله مراتب كما نبه عليه الاولى التوحيد النظري ان علم
بالاستدلال او التقليدي ان اعتقد بمجرد تصديق المخبر الصادق وسلم
القلب من الشبهة والحيرة والريبة وهو ان يعتقد ان الله منفرد بوصف
الالوهية متوحد باستحقاق العبودية كما اشار اليه في الحديث به تحقن
الدماء والاموال ويتخلص من الشرك الجلي في الاحوال . الثانية التوحيد
العلمي وهو ان يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته * وخلاصه من
سجف ظلمات ذاته * وانسلاخه عن لباس الاختيار * حيران في فضاء
انوار عظمة الجبار * ولهان تحت سبحات قهر تجليات سطوات الانوار *
فيعرف ان الموجود الحقيقي وان المؤثر المطلق هو الله الواحد القهار * وان كل
ذات فرع من نور ذاته وكل صفة من علم وقدرة وارادة وسمع وبصر عكس
من انوار صفاته واثر من آثار افعاله ومنشاه نور المراقبة وهو دون المرتبة
الحالية لكن مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون وعند ذلك ينقى
من الظلمة الوجودية ويرتفع بعض من الشرك الخفي . الثالثة التوحيد
الحالي وهو ان يصير التوحيد وصفا لازما لذات الموحد بتلاشي ظلمات
رسوم وجود الغير الّا قليلا في غاية اشراق نور التوحيد واستتار نور حاله في
نور علم التوحيد كاستتار نور الكواكب في نور الشمس

فلما استبان الصبح ادرج ضوءه باسفاره اضواء نور الكواكب

واستغراقه في مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عند شهوده الّا ذات
الواحد ويرى التوحيد صفة الواحد لا صفته بل لا يرى ذلك . قال الجنيد
التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم ويندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم

اعرف التوحيد عند علماء الباطن ومراتبه

Digitized by Google

يزل ومنشاه نور المشاهدة وقال ابن عطاء الله التوحيد نسيان التوحيد في مشاهدة جمال الواحد حتى قيامك بالواحد لا بالتوحيد . الرابعة التوحيد الالهي وهو ان الله كان في الازل موصوفا بالوحدانية في الذات وبالاحدية في الصفات كان الله ولم يكن معه شيء والان كما كان ويدوم ذلك الى الابد كل شيء هالك إلّا وجهه ولم يقل يهلك لان عزة فردانيته وقهر وحدانيته لم تدع لغيره وجودا وفي هذا المعنى انشد العارف الانصاري لنفسه شعرا

ما وحد الواحد من واحد　　اذ كل من وحده جاحد

توحيد من يطق عن نعته　　عارية ابطلها الواحد

توحيده اياه توحيده　　ونعت من ينعته لاحد

(رواه البخاري ومسلم)

(الحديث التاسع)

(عن ابي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه) سواء كان نهي تحريم او تنزيه ليشمل الحرام والمكروه اذ الاجتناب وثواب الانتهاء يترتب من حيث انه منهي شرعا عليهما وعلى الاول اكثر (فاجتنبوه) قاله في حجة الوداع حين خطب قائلا ايها الناس ان الله فرض عليكم الحج فحجوا فقال الاقرع بن حابس اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم اي كلما نهيتكم عنه فدعوه اذ لفظة ما للعموم لكنه خص هذا بما اذا لم توجد ضرورة فان وجدت فتبيحه كاكل الميتة للمضطر وشرب الخمر لاساغة اللقمة والتلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه والخطاب ليس بمختص بالمخاطبين اذ لم يقم دليل على التخصيص فيعم الكل كقوله حكمي على الواحد حكمي على الجماعة . والنهي طلب الكف عن الفعل استعلاء واجتنب مطاوع جنبته الشر اذا ابعدته عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين فينقص المطاوعة مفعولا كذا في الكشاف (وما امرتكم به فافعلوا منه) اي مما امرتكم به اي تمسكوا بي لا في

واجب

واجب الطاعة وظاهر الامر للوجوب إلّا ان تقوم قرينة تدل على الندب او الاباحة او التهديد (ما استطعتم) فان الله يريد بكم اليسر لا العسر كما ظنه السائل والتكليف بالمحال غير واقع وهذا من جوامع الكلم لان من عجز عن بعض الاركان والشروط اتى بالباقي او عن غسل بعض الاعضاء اتى بالممكن ومن وجد بعض ما يكفيه من المـاء او التراب استعمله اولا ومن وجب عليه ازالة منكرات او نفقة جماعة وامكنه البعض فعل وفروعه لا تحصى (فانما اهلك) اي صار سبب هلاكهم واوجب العقوبة في الدنيا والاخرة الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم) بالرفع (على انبيائهم) لانها قد تصير ذريعة للضلال وللتكاليف الشاقة كما في قصة بني اسراءيل ووسيلة للعقوبات الشديدة كما قص الله تعالى علينا من نجاة اتباع الرسل وهلاك الامم المكذبة لها بالخسف والرجف والغرق في اليم والصيحة وابقى ديارهم وآثارهم عبرة لمن اعتبر وعظة لمن استبصر وهذا فيمن يسال تفننا وتكلفا واما من يسال حاجة وتعرفا فهو مثاب لقوله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون سيما اذا كان المسئول عنه بحار الحقائق * وينابيع العلوم والدقائق *

وان كنت لابد مستشربـا فمن اعظم البحر تستشرب

وفي الحديث اشارة الى وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وتسليم ما جاء به من الاحكام من غير معارضة ولا مدافعة اذ لم يغادر شيئا يقرب الى الله إلّا امر به ولا شيئا يبعد عنه إلّا نهى عن ذلك وهي امور لا يرشد اليها مجرد العقل اذ العقل لاقامة رسم العبودية لا لادراك رسوم الربوبية بل تلك اسرار له يكاشف بها من حضرة القدس وحظيرة الانس القلب الاصفى للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه اتصف بصفات الحق وتخلق باخلاقه (فذو العرش محمود وهـذا محمد) قـال العارف السهروردي في اعلام الهدى وما مثالك ايها المحبوس في قفص عالم الحكمة إلّا مثـال الجنين في بطن الام لو قيل له ان الله خلق السموات والارض والعرش والكرسي والشمس والقمر ما فهم ذلك ولا اهتدى اليـه فانت

Digitized by Google

ايها المتعقل بعقلك ذلك الجنين ما انشقت عنك مشايم عالم الشهادة ولا فقصت بيضة وجودك بعد ما ولدت فاذا مت يقال لك فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فتستيقظ من رقدتك بموتك فترى عالما ما رايته والجنة والنار واما اهل الله وخاصته فوجدوا ذلك ذوقا وايقنوا بها بما اظهره الله لهم واطلعهم عليه وانشد بعض المتشرعين فقال

فسبحان من في الليل اسرى بعبده الى المسجد الاقصى ليزداد سوددا
وصلى اماما بالنبيين كلهم وشاهد آيات بها خلقه هدا
ولو لم يكن لم يعبد الله واحد وكنا كانعام على ظهرها سدا

رواه البخاري ومسلم)

(الحديث العاشر)

(عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب) اي منزه عن النقائص مقدس عن الافات والعيوب متصف بجميع صفات الكمال والطيب الحسن الجيد ماخوذ من الطيب وهو اسم لما يتطيب به يطلق على طيب الرائحة والحال والمنبت والطاهر (لا يقبل إلّا طيبا) اي لا ينبغي ان يتقرب اليه إلّا بما يكون طاهرا حلالا من خيار المال كما قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وهو عند العارفين بذل المهج لان الفراش لا ينال منابر سرير الشمع وهو شعلته حتى انفق ما احبه وهو نفسه ولا يقبل إلّا عبدا متحليا بفضيلتي العلم والعمل نقيا من الشبهات نقيا من النجاسات سليما قلبه من الافات كما حكي عن داوود عليه السلام انه قال يا رب ما الفتوة قال تعالى ان ترد نفسك الي طاهرة كما قبلتها طاهرة فعلم ان ما ينفق في سبيل الله لا بد ان يكون طيبا من خباثة الشبهات طيبا انفاقه من خباثة الاغراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من خباثة النفاق والنظر الى غير الله فاذا كان طيبا في نفسه فلله قبول طيب عن الوسائط فياخذه بيده ويربيه قبل ان يقع في يد الفقير وان كان طيبا في انفاقه فلله قبول طيب فانه ابلغ عند الله من

مبحث البر والفتوة

عمله

عمله واذا كان قلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فللّه قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من اصابع الرحمن (وان الله تعالى امر المومنين بما امر به المرسلين) يعني لا فرق بين الرسل والامم في طلب الحلال واجتناب الحرام واقتصر على الحلال اهتماما به (فقال تعالى يايها الرسل) هذا الخطاب والنداء ليس على ظاهره لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة فالمراد الاعلام بان كل رسول نودي ووصي في زمانه ليعتقد السامع ان ما نودوا به جميعا حقيق بالاخذ والعمل به كذا في الكشاف لا يقال فيه نفحة اعتزالية لانهم لما لم يثبتوا قدم الكلام حملوا على ذلك لكن الحق ان الله متكلم في الازل وان لم يكن ثمة مخاطب فالخطاب على ظاهره لانا نقول التعليق التنجيزي في حال العدم محال بالاتفاق والمراد بخطاب المعدوم كما حققه شارح المختصر التعلق التعقلي وهو ان المعدوم الذي علم الله انه يوجد بشرائط التكليف توجه عليه حكم في الازل بما يفهمه ويعقله فيما لا يزال (كلوا من الطيبات) اي من الحلالات او المستلذات وقدمه على قوله (واعملوا صالحا) ليكون اشارة الى ان العمل الصالح لا بد وان يكون مسبوقا باكل الحلال وهو ما يقرب العبد الى الله فيستقيم (وقال تعالى يايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) اسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم على غاية احتياطهم حتى لا ياكلوا إلّا الحلال الذي يستاهل ان يضاف اليه ولفظة من للتبعيض صيانة لهم وكف عن الاسراف والامر للاباحة او للوجوب كما لو اشرف على الهلاك مجاعة او للندب لموافقة الضيف . قال سهل بن عبد الله آداب الاكل اربع ان يكون حلالا وهو ما لا يعصى الله فيه . وصافيا وهو ما لا ينسى الله فيه . وقواما وهو ما يمسك النفس والعقل . وادبا وهو ان يودي شكر المنعم (ثم ذكر الرجل) يريد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب كلامه بذكر الرجل الموصوف استبعادا لان الله لا يقبل دعاء آكل الحرام لبعد مناسبته عن جنابه الاقدس لتكدر وقته وتسود قلبه باكل الحرام فلفظة ثم للترتيب في الوجود

اعرف ثبوت صفة الكلام لله في الازل وان لم هنالك مخاطب

اعرف نكتة اضافة الرزق لله

اعرف اداب الاكل

Digitized by Google

لا في الرتبة (يطيل السفر) منصوب بانه صفة للرجل لانه في المعنى كالنكرة اي يطيل السفر في العبادات كالحج والجهاد والتعلم (اشعث اغبر) اي متفرق الشعر مغبر الوجه حالان مترادفان من فاعل يطيل او متداخلان (يمد يديه الى السماء) حال من ضمير اشعث اي يرفعهما قائلا (يارب يارب) يعني ان هذه الحالة دالة على غاية استحقاق الداعي للاجابة ومع هذا لا يستجاب دعاؤه فما بال غيره وفيه اشارة الى ان رفع اليدين مندوب في الدعاء لما فيه من اظهار شعار الذل والانكسار . والاقرار بسمة العجز والافتقار . ولذا قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسالوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم والى ان السماء مخزن الارزاق ومعدن اسرار الخلاق ومصعد الاعمال ومعبد العمال وقبلة الدعاء ومحل الضياء والصفاء كما اشار اليه في قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهي اسم جنس او جمع سماء والى ان الدعاء بلفظ الرب موثر في الاجابة لايذانه بالاعتراف بان وجوده فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه ولذا قال جعفر الصادق من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا ربنا نجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لانه حكى عنهم في آخر آل عمران انهم قالوا خمسا ربنا ثم قال فاستجاب لهم (ومطعمه حرام) حال من فاعل قائلا وهو مصدر بمعنى المفعول (ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي) بضم الغين المعجمة وكسر الذال المخففة وفي المصابيح انها وردت مشددة اي يكون تغذيته وتنميته (بالحرام) فهو اشارة الى حال صغره كما ان قوله مطعمه الى حال كبره تنبيها على استواء حاليه (فانى) اي كيف او من اين والاستفهام للاستبعاد (يستجاب) الدعاء (لذلك) الرجل اي لكون مطعمه ومشربه وملبسه حراما واللام على الاول صلة نحو فاستجاب لهم وعلى الثاني للتعليل واستجاب بمعنى اجاب ففيه الايذان بان حل المطعم والمشرب مما تتوقف عليه الاجابة ولذا قيل ان للدعاء جناحين اكل الحلال وصدق المقال لكنه في هذا الزمان لا يوجد الا قليلا في كثير من الاحوال فلنكتف من غيره بما

اعوف ندب رفع اليدين عند الدعاء

جناحا الدعاء

يحفظ

Digitized by Google

يحفظ روعا لئلا نموت جوعا وما املح قول الظريف

يقول لي الجهول بغير علم دع المال الحرام وكن قنوعا
فلما لم اجد مالا حلالا ولم آكل حراما مت جوعا

ثم اعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتاكيد استعداده لقبول انوار المعرفة وذلك لان بناء الامر بعد حفظ السنة ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب على صون اليد عن الحرام والشبهة واقله ان يحترز مما حرمه فتوى العلماء وهو ورع العامة ثم يمتنع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله وهو ورع الصالحين ثم ترك ما لا باس به مخافة ما فيه باس وهو ورع المتقين ثم الحذر على ما لا يراد بتناوله القوة على طاعة الله او يتطرق الى بعض اسبابه معصية او كراهية وهو ورع الصديقين (رواه مسلم)

اعرف خاصية طيب المطعم

(* الحديث الحادي عشر *)

(عن ابي محمد الحسن بن علي بن ابي طالب سبط رسول الله) ولد ولده كذا في الصحاح وفي القاموس السبط ولد الولد والقبيلة من اليهود وفي النهاية حسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم اي طائفة وقطعة منه وقيل الاسباط خاصة الاولاد وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد البنات وفي الكشاف السبط الحافد واصله انبساط في سهولة يقال شعر سبط ورجل سبط الكفين جواد فكانه امتداد في الفروع (صلى الله عليه وسلم وريحانته) في النهاية الريحان يطلق على الرحمة والراحة وكل نبت طيب الرائحة والرزق وبه سمي الولد ريحانا ولد في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة ومات سنة خمسين وقبره بالبقيع مروياته ثلاثة عشر حديثا وعلقت فاطمة بالحسين بعد خمسين يوما من ولادته وقتل يوم عاشوراء سنة احدى وستين بين الكوفة والحلة بالطف كذا في المنتظم وقال القرطبي ولد في شعبان في السنة الرابعة (رضى الله عنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا

Digitized by Google

لا في الرتبة (يطيل السفر) منصوب بانه صفة للرجل لانه في المعنى كالنكرة اي يطيل السفر في العبادات كالحج والجهاد والتعلم (اشعث اغبر) اي متفرق الشعر مغبر الوجه حالان مترادفان من فاعل يطيل او متداخلان (يمد يديه الى السماء) حال من ضمير اشعث اي يرفعهما قائلا (يارب يارب) يعني ان هذه الحالة دالة على غاية استحقاق الداعي للاجابة ومع هذا لا يستجاب دعاوه فما بال غيره وفيه اشارة الى ان رفع اليدين مندوب في الدعاء لما فيه من اظهار شعار الذل والانكسار . والاقرار بسمة العجز والافتقار . ولذا قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسالوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم والى ان السماء مخزن الارزاق ومعدن اسرار الخلاق ومصعد الاعمال ومعبد العمال وقبلة الدعاء ومحل الضياء والصفاء كما اشار اليه في قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهي اسم جنس او جمع سماء والى ان الدعاء بلفظ الرب موثر في الاجابة لايذانه بالاعتراف بان وجوده فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه ولذا قال جعفر الصادق من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا ربنا نجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لانه حكى عنهم في آخر آل عمران انهم قالوا خمسا ربنا ثم قال فاستجاب لهم (ومطعمه حرام) حال من فاعل قائلا وهو مصدر بمعنى المفعول (ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي) بضم الغين المعجمة وكسر الذال المخففة وفي المصابيح انها وردت مشددة اي يكون تغذيته وتنميته (بالحرام) فهو اشارة الى حال صغره كما ان قوله مطعمه الى حال كبره تنبيها على استواء حاليه (فانى) اي كيف او من اين والاستفهام للاستبعاد (يستجاب) الدعاء (لذلك) الرجل اي لكون مطعمه ومشربه وملبسه حراما واللام على الاول صلة نحو فاستجاب لهم وعلى الثاني للتعليل واستجاب بمعنى اجاب ففيه الايذان بان حل المطعم والمشرب مما تتوقف عليه الاجابة ولذا قيل ان للدعاء جناحين اكل الحلال وصدق المقال لكنه في هذا الزمان لا يوجد الا قليلا في كثير من الاحوال فلنكتف من غيره بما

اعرف ندب رفع اليدين عند الدعاء

جناحا الدعـــــاء

يحفظ

يحفظ روعا لئلا نموت جوعا وما املح قول الظريف

يقول لي الجهول بغير علم   دع المال الحرام وكن قنوعا
فلما لم اجد مالا حلالا   ولم آكل حراما مت جوعا

ثم اعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتاكيد استعداده لقبول انوار المعرفة وذلك لان بناء الامر بعد حفظ السنة ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب على صون اليد عن الحرام والشبهة واقله ان يحترز مما حرمه فتوى العلماء وهو ورع العامة ثم يمتنع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله وهو ورع الصالحين ثم ترك ما لا باس به مخافة ما فيه باس وهو ورع المتقين ثم الحذر على مما لا يراد بتناوله القوة على طاعة الله او يتطرق الى بعض اسبابه معصية او كراهية وهو ورع الصديقين (رواه مسلم)

اعرف خاصية طيب المطعم

(* الحديث الحادي عشر *)

(عن ابي محمد الحسن بن علي بن ابي طالب سبط رسول الله) ولد ولده كذا في الصحاح وفي القاموس السبط ولد الولد والقبيلة من اليهود وفي النهاية حسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم اي طائفة وقطعة منه وقيل الاسباط خاصة الاولاد وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد البنات وفي الكشاف السبط الحافد واصله انبساط في سهولة يقال شعر سبط ورجل سبط الكفين جواد فكانه امتداد في الفروع (صلى الله عليه وسلم وريحانته) في النهاية الريحان يطلق على الرحمة والراحة وكل نبت طيب الرائحة والرزق وبه سمي الولد ريحانا ولد في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة ومات سنة خمسين وقبره بالبقيع مروياته ثلاثة عشر حديثا وعلقت فاطمة بالحسين بعد خمسين يوما من ولادته وقتل يوم عاشوراء سنة احدى وستين بين الكوفة والحلة بالطف كذا في المنتظم وقال القرطبي ولد في شعبان في السنة الرابعة (رضى الله عنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا

يريبك) بفتح الياء وضمها والفتح اشهر وافصح اي اترك ما تشك فيه من الاقوال والافعال انه منهي عنه او لا او سنة او بدعة واعدل الى ما لا تشك فيه منهما والمقصود ان يبني المكلف امره على اليقين البحت والتحقيق الصرف ويكون على بصيرة في دينه . والريب الشك او الشك مع تهمة كذا في النهاية . قال في الكشاف الريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن . ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة . وبلسان العارفين معناه انه اذا كنت صحيح الخاطر طاهر الباطن مراقبا للغيب وتعرف لمة الملك من لمة الشيطان والالهام من حديث النفس وكنت مميزا بين الحق والباطل بنور الفراسة وصفاء القلب فدع ما يريبك من الاغلوطات والشبهات النفسانية والشيطانية الى ما لا يريبك مما ينزل بقلبك وعقلك وروحك من الالهام الالهي والعلم اللدني وكما ان ترك ما يريبك مامور به فترك ما يريب الغير مما يصعب على افهام العامة اولى كما اشار الى ذلك الامام علي زين العابدين رضي الله عنه وكرم وجهه

اعرف معاني الريب

اني لاكتم من علمي جواهره ... كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
يارب جوهر علم لو ابوح به ... لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون اقبح ما ياتونه حسنا

(رواه الترمذي) الامام ابو عيسى محمد بن عيسى احد الحفاظ الاعلام لقي البخاري وخلقا كثيرا وصنف التصانيف توفي بترمذ بالذال المعجمة مدينة من وراء جيحون ليلة الثالث والعشرين من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين (والنسائي) منسوب الى نساء خراسان ذكره في جامع الاصول وهو الامام الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب ولد سنة خمس عشرة ومائتين ومات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة (قال الترمذي حديث حسن

صحيح

Digitized by Google

صحيح) الصحيح ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله وسلم عن شذوذ وعلة . والحسن ما يعرف مخرجه واشتهر رجاله اي بالصدق قاله الخطابي ففي قوله اشكال لان الحسن يتقاصر عن الصحيح فالجمع بينهما جمع بين المتنافيين وجوابه انه اراد انه روي باسنادين الاول يقتضي الصحة والاخر الحسن . او اراد به اللغوي وهو ما تميل اليه النفس وتستحسنه ذكره ابن الصلاح

(* الحديث الثاني عشر *)

(عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) اي ما لا يريده ولا يحتاج اليه ولا ضرورة له فيه ولا ينفعه ويكون عيشه بدونه ممكنا وذلك يشمل الافعال الزائدة والاقوال الفاضلة فينبغي للمرء ان يشتغل بالامور التي بها صلاحه في نفسه باصلاح طرفي معاشه ومعاده بتحصيل الامور التي لابد منها في قوام البدن وبقاء النوع وبالسعي في الكمالات العلمية والفضائل الخلقية التي هي وسيلة الى نيل السعادات الابدية والفوز بالنعم السرمدية قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة يا ابا هريرة تريد ان لا يجري عليك القلم قال نعم يا رسول الله قال اد فرائض الله وكف عن محارم الله ودع الكلام فيما لا يعنيك . قال معروف مقت الله للعبد ان يراه مشتغلا بما لا يعنيه فان من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه . قال الغزالي حد ما لا يعنيك في الكلام ان تتكلم بما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر حالا ومآلا فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك اذ تستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير ولو صرفته في الفكر والدعاء ربما ينفتح لك من نفحات

اعرف حد ما لا يعني

Digitized by Google

وجه الله تعالى ما يعظم جدواه ولو سبحت بني لك قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من كنوز الجنة واخذ بدله مدرة كان خاسرا ولقد احسن القائل

اذا هممت الخوض في الباطـــل فاجعل مكانه ذا اللب تسبيحـــا
واغتنم ركعتين في ظلمة الليـــل اذا كنت فارغا مستريحـــا

اعرف معنى الحسن

والمراد بالحسن الاتقان والكمال قال الحكماء حسن الخَلق عبارة عن تناسب الاعضاء على ما ينبغي . وحسن الخُلق عبارة عن كونه على حد الوسط من غير افراط وتفريط . وحسن المعنى عبارة عن كونه لا يستقبحه الشرع وتستطيبه العقول . والجمال عبارة عن نهاية الحسن بما يختص بنفسه او يصل منه الى غيره وعلى هذا ورد ان الله جميل يحب الجمال . وحسن الاسلام عبارة عن كماله وهو ان تستقيم نفسه في الاذعان لاوامر الله والاستسلام لاحكامه وفق قضائه وهو علامة شرح الصدر بنور الرب ونزول السكينة على القلب والعناية اخص من الارادة وهي صفة ثابتة مغايرة للعلم والقدرة توجب تخصيص احد المقدورين بالوقوع . ولفظة من تبعيضية او ابتدائية وتقديم الخبر لكون التركيب من باب على التمرة مثلها زبدا (حديث حسن رواه الترمذي وغيره)

(* الحديث الثالث عشر *)

(عن ابي حمزة انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم) اي لا يكمل ايمان احدكم بان يرتقي من حضيض التقليد الى ذروة اليقين والمعرفة وانما حمل على نفي الكمال اذ اصل الايمان وهو التصديق حاصل لمن لم يكن بهذه الصفة (حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) من الطاعات والمباحات كما جاء في رواية النساءي من الخير قال في شرح مسلم وهذا ليس من الصعب الممتنع كما ظن اذ القيام بذلك يحصل بان يحب مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة

Digitized by Google

على اخيه شيئا من النعمة عليه ويرحم عليه في جميع الاحوال وذلك سهل على القلب السليم ولقد اجاد من افاد حيث قال

بادر الى الخير ياذا اللب مغتنما ولا تكن من قليل الخير محتشما
وارحم بقلبك خلق الله وارعهم فانما يرحم الرحمن من رحما

اعرف اتحاد المومنين بحسب الارواح والحقائق

وتحقيق ذلك ان المومنين متحدون بحسب الارواح والحقائق متعددون من حيث الاجسام كنور واحد في مظاهر مختلفة ونفس واحدة في ابدان متفرقة بحيث لو تالم واحد تاثر الجميع بل لو تمكنوا فيه صح بالنسبة الى جميع الاشياء كما روي عن بعضهم انه ضرب عنده خمار فتالم الشيخ بحيث ريئت علامة الضربة في عضوه الذي بازاء العضو المضروب للخمار وذلك لان ايمانهم من اثر نور الهداية شرعا ومن اثر نور الله حقيقة وهو نور التوحيد من عكس نور الفردانية من نور الذات فارواحهم اتحدت بذلك النور المقتضي للالفة والرحمة فان هم واجد هموا وان فرح فرحوا وهذا مقام الجمع بالروح وهو انه يجتمع عند تجلي الروح الاعظم عن تفرقة الطبيعة وتتحد الارواح وهناك مقام اعلى يقال له جمع الجمع وهو ان يجتمع عند تجلي الحق له عن تفرقة الغير روحانيا ونفسانيا وملكيا وملكوتيا فلا يرى غير الله لاختفاء جميع الاشياء في نور التوحيد كاختفاء النجوم عند اشراق الشمس (رواه البخاري ومسلم)

(الحديث الرابع عشر)

(عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ) اي اراقته وهذا المعنى متضح عرفا فلا اجمال فيه ولا في كل تحريم مضاف الى الاعيان كما ظن (مسلم) صفة مقيدة واراد به الاتي بالشهادتين لانه كاف في العصمة وقد ورد ذلك في الصحاح (الا باحدى) خصال (ثلاث) القتل والزنا والارتداد ففصل ذلك بتعداد المتصفين به المستوجبين للقتل لاجله فقال (الثيب الزاني) المحصن اي المكلف الحر الذي اصاب بعد التكليف والحرية نكاحا صحيحا ثم زنى فللامام لا للاحاد

رجمه لكن لو قتله مسلم لا يقتص منه والدليل على الرجم ان عمر رضي الله عنه قال في خطبته ان الله بعث محمدا نبينا وانزل عليه كتابا وكان فيما انزل الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ان الله عزيز حكيم وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا الحديث وكان ذلك بمشهد من الصحابة فلم ينكر عليه فكان اجماعا . والحكمة فيه ان في الزنا مفاسد من اختلاط الانساب وتضييع الاولاد ووثوب كل رجل على كل امراة اراد بمقتضى طبعه فيهيج الفتن والحروب بعد التشبه بالبهائم الى غير ذلك . والبكر هو المكلف غير المحصن فان كان حرا فيجلد مائة و يغرب تاما وان كان رقيقا فيجلد خمسين و يغرب ستة اشهر والزنا هو المجامعة في الفرج على الحرام بغير شبهة فيدخل فيه اللواط (والنفس بالنفس) اي قتل النفس قصاصا بالنفس التي قتلها عدوانا بشرط تكافيهما في الاسلام والحرية وهو مخصوص بولي الدم فلو قتله غيره لزمه القصاص . قال بعض العرفاء كما كتب القصاص في القتلى كتب على نفسه الرحمة في قتلاه الذين بذلوا الروح الانساني عند شهود الجلال الصمداني كما قال من احبني قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان متوجها اليه بالكلية كان فيضه متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى محبته لم يكن مستحقا لكمال محبته ومن كان لله ديته فله حياة الدارين والبقاء برب الثقلين (والتارك لدينه المفارق للجماعة) صفة موكدة اي الذي فارق جماعة المسلمين وخرج عن جملتهم وانفرد عن زمرتهم بالردة التي هي قطع الاسلام قولا او فعلا او اعتقادا او استهزاء فيجب قتله ان لم يتب وتسميته مسلما مجاز باعتبار ما كان عليه . لا بالبدعة او نفي الاجماع كالروافض والخوارج فانه لا يقتل واما الصائل فهو داخل في المفارق للجماعة واما تارك الصلاة فقد استدل بهذا الحديث على انه لا يقتل وخالفه الجمهور لقوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد

اعرف حكمة حد الزنا

كفر

كفر اي استحق عقوبة الكفر وكذا فسره الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه ولا يخفى ان هذا حال الاشقياء اهل القهر الالهي والطرد الكلي لا يفتح لهم باب المشعر الالهي وهو القلب فياتيه الالهام ولا باب السمع والبصر فيدخلهما الفهم والاعتبار فارتدوا عن طريق الحق وصراط التوحيد واحتجبوا بظلمات الكثرة عن نور التفريد واستحقوا القتل والنار وسجنوا في ظلمات دار البوار فرحم الله امرءً اشتغل بالفضائل وانتهى عن هذه الذنوب وسائر الرذائل وما انفع قول القائل

ايا فاعل الخير عد ثم عـد ويا فاعل الشر مه لا تعد
فما ساد عبد بغير التقـى ومن لم يسد بالتقى لم يسد

(رواه البخاري ومسلم)

﴿ * الحديث الخامس عشر * ﴾

(عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يومن بالله واليوم الاخر) ليس المراد توقف الايمان على هذه الافعال بل هو مبالغة في الاتيان بها كما يقول القائل لولده ان كنت ابني فاطعني تحريضا له على الطاعة . او المراد ان من كان كامل الايمان فليات بها وتخصيص اليوم الآخر بالذكر دون شيء من كمالات الايمان بالله لان الخير والمثوبة ورجاء الثواب والعقاب كلها راجعة الى الايمان باليوم الآخر فمن لا يعتقده فلا يرتدع عن شر ولا يقدم على خير وتكريره ثلاث مرات للاهتمام والاعتناء بكل خصلة مستقلة (فليقل خيرا او ليصمت) يعني اذا اراد ان يتكلم فان كان ما يتكلم به خيرا يثاب عليه واجبا كان او مندوبا فليتكلم به وان لم يظهر له خيره سواء ظهر انه حرام او مكروه او مباح فليمسك عنه فالكلام المباح مامور بتركه مخافة انجراره الى الحرام يقال صمت يصمت صمتا وصموتا اذا سكت مع القدرة على الكلام وان كان مع العجز فان كان لفساد الآلة فهو الخرس او لتوقفها فهو العي والاصمات والصمت بمعناه قاله الجوهري وهو ابلغ من السكوت لانه قد يستعمل فيما لا قوة

اعرف فليقل خيرا او ليصمت

Digitized by Google

للنطق له فيقال مال صامت واعلم ان الصمت في وقته صفة الرجال لما في الكلام من الآفات الثقال من حظ النفس واظهار الامتياز من بين الاشكال به تظهر لمعات الطوارق وتطلع شموس الحقائق كما ان النطق في موضعه من نفائس الخصائل بل الانفس ولذا قال الدقاق من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس ولقد صدق من قال

تكلم وسدد ما استطعت فانه   كلامك حي والسكوت جماد
فان لم تجد قولا سديدا تقوله   فصمتك عن غير السديد سداد

(ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره) بان يعينه على ما يحتاج اليه ويدفع عنه السوء ويخصه بالنيل لئلا يستحق الوعيد والويل قال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته فان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابه مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجز عنه الريح إلّا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا توذه بغبار قدرك إلّا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلّا من رحمه الله رواه الغزالي في الاربعين

حقوق الجار

(ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه) بطلاقة الوجه والكلام الطيب والاطعام ثلاثة ايام في الاول بمقدوره وميسوره وفي الباقي بما حضره من غير تكلف لئلا يثقل عليه وعلى نفسه وبعد الثلاثة يعد من الصدقة ان شاء فعل وإلّا فلا قالوا ويشعر بان الثلاثة ليست من الصدقة فيحتمل انها واجبة لكنها تستخف بوجوب الزكاة او جعلت كالواجب للعناية بها او اراد بما بعدها التبرع المباح فنزل على ثلاثة مراتب فضلى وفاضلة ومفضولة والضيف يستوي فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا هذا وبلسان العارفين الحديث كانه اشارة الى رعاية حال الاقرب فالاقرب فيبدا بتكميل نفسه ويروضها بذكر الحق والصموت عن غيره لغلبات

اكرام الضيف

الصفات

Digitized by Google

الصفات الروحانية واستيلاء سلطان الحقيقة حتى ينسى اولا نفسه في ذكره وينسى ذكره في ذكره وينسى كل ذكر في ذكر الحق ثم تكميل ما هو اقرب اليه قربا معنويا من الجار الذي هو في مقام السلوك قريب من مقامه والضيف الذي هو السالك في طريق الحق الداخل في الغربة من ماوى النفس ولم يصل الى مقام من مقامات اهل الله فيكرمه ويزكيه ويونسه بذكر المولى ويحفظه من التذلل بالحرص وادناس محبة الدنيا لتحصيل الحياة الطبيعية وهي ان تصير النفس مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعي ويطيب القلب عن دنس الحديث فانيا عن انابيته بكشف جلاله بشهود الحق وجماله (رواه البخاري ومسلم)

﴿ * الحديث السادس عشر * ﴾

(عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا) هو ابن عمر او حارثة بن قدامة او سفيان بن عبد الله (قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني) اي ارشدني الى ما ينفعني دينا ودنيا ويقربني الى الله زلفى قال الازهري الايصاء والوصية مشتقة من وصيته الشيء بكذا اذا وصلته اليه (قال لا تغضب فردد) الرجل السوال (مرارا فقال لا تغضب رواه البخاري) الغضب فوران دم القلب او غرض يتبعه لدفع الموذيات قبل وقوعها والانتقام بعد وقوعها فاطلاقه على الله مجازي اي يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده من الانتقام وانزال العقوبة وهو من نزغات الشيطان يخرج به الانسان عن اعتدال حاله ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح بل قد يكفر ولهذا قال لا تغضب واصر عليه مع ان السائل يردد قوله اوصني تعريضا بانه لم يقنع بذلك وطلب وصية ابلغ وانفع فلم يزد على ذلك لعلمه بانه لا وصية اجمع منه سيما وقد كوشف صلى الله عليه وسلم بانه مملو من القوة الغضبية واختلال حاله منها وعلاجه ان يرى الكل من الله ويذكر نفسه ان غضب الله اعظم وفضله اكثر وكم خالف امره ولم يغضب عليه ويتعوذ ويتوضا ويشغل

مطلب الغضب

نفسه بشيء وقد ورد ان من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا فالحلم وهو الطمانينة اشرف الخصائل السنية واحمد الفضائل النفسية * وانشد

وليس يتم الحلم للمرء راضيا اذا هو عند السخط لم يتحلم
كما لا يتم الجود للمرء موسرا اذا هو عند العسر لم يتجشم

(* الحديث السابع عشر *)

(عن ابي يعلى شداد بن اوس رضي الله عنه) بن ثابت ابن اخي حسان بن ثابت الجامع بين العلم والحلم مات بفلسطين سنة ثمان وخمسين وهو ابن خمس وسبعين وقال المص في التهذيب مات ببيت المقدس وقبره بظاهر باب الرحمة الى الآن مروياته خمسون حديثا (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان على كل شيء) قال العلماء هذا الحديث متضمن لجميع قواعد الاسلام لان الاحسان في الفعل ايقاعه على مقتضى الشرع او العقل والافعال التي تصدر من الشخص اما ان تتعلق بمعاشه او معاده والاول اما سياسة نفسه وملكه او اهله واخوانه واولاده او باقي الخلق من رعيته والثاني اما الايمان وهو عمل القلب او الاسلام وهو عمل البدن كما في حديث جبريل فاذا احسن الانسان في هذا كله واتى به على مقتضى الشرع فقد ادى ما عليه من انواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فرضا وندبا شرعا وعرفا فقوله ان الله كتب معناه انه اوجب وقدر الاحسان على الانسان في كل شيء يتعلق بمعاده بان ياتي بالتكاليف على الوجه المشروع ومعاشه باصلاح امر نفسه وبايصال النفع الى اخوته علميا وماليا ودفع الضر عنهم اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باخرى واما في الاخرة بان يبري ذمته من التبعات . والاحسان يطلق على الانعام وعلى اتقان الفعل والشيء قد يطلق على ما امكن وجوده بالامكان العام فيكون اخص من المعلوم لان الممتنع معلوم وهو بهذا الاعتبار لا شيء وقد يطلق على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فهو بهذا الاعتبار اعم

مطلب الاحسان

العام

العام يطلق على الجوهر والعرض والقديم والحادث والممتنع ايضا لانه شيء في العقل ويصح اطلاقه على الله بالاعتبارين لكنه مخصوص بالممكن بدليل العقل (فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة) في كل قتل في حد او قصاص (واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة) بكسر الذال كالقتلة وهي الهيئة التي عليها القاتل والذابح عند القتل والذبح (وليحد احدكم) بيان للاحسان قال في الصحاح احداد الشفرة والتحديد والاستحداد بمعنى (شفرته) هي السكين العريض وشفرة السيف حده (وليرح ذبيحته) اي ليستحد السكين ويعجل امرارها ويوصل اليها الراحة بان لا يسلخ قبل البرودة ويقطع من الحلقوم لا من القفا كي تستريح ولا تتعذب هذا وفي كلام بعض العارفين الاحسان اسم جامع لجميع ابواب الحقائق وهو اما احسان في القصد وهو اصلاحه على مقتضى العلم وابرامه عزما بان ياخذ في العمل جدا او تصفيته حالا بان لا يلاحظ نفسه او في الاحوال بان يراعي حفظها بالحضور ويسترها عن الناس ويجتهد في تحقيقه او في الوقت بان لا يفارق المشاهدة ولا تلاحظ همتك احدا وتجعل هجرتك الى الحق سرمدا وانشد بعضهم

احسن فحسبك ان تسمى محسنا ما احسن الاحسان ممن احسنا
واغنم من الذكر الجميل اجله فاجل ما كسب الفتى حسن الثنا

(رواه مسلم)

(* الحديث الثامن عشر *)

(عن ابي ذر جندب بن جنادة الغفاري) اول من حيى النبي صلى الله عليه وسلم تحية الاسلام كان رابعا او خامسا في الاسلام مات في خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين مروياته مائتان وثلاثة وسبعون حديثا (وابي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال اتق الله) بالاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمنكرات فان التقوى اساس الدين وبه يرتقي الى مراتب الحق اليقين وهي لغة حفظ النفس عما يؤذيها كانها جعلت في وقاية . وشرعا صيانة النفس عن

Digitized by Google

المحصور واختلف في الصغائر والتحقيق ان لها مراتب بعضها فوق بعض
من ترك المحظور ثم المكروه ثم المباح مما لا يعني ثم الضرورات ثم التبري
عما سوى الله ولله در من قال

من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بغير التقى والعز كل العز للمتقي

(حيثما كنت) في الخلوة والملا وفي حال النعمة والبلاء فان الله عالم بسرك
كما انه مطلع على ظواهرك فعليك برعاية دقائق الادب في حفظ اوامره
ومراضيه والاحتراز عن مساخطه ومناهيه عن داوود الطاعي انه سمع
صوتا من قبر الم ازك الم اصل الم اصم الم افعل كذا فاجيب بلى ياعدو
الله ولكن اذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه (واتبع السيئة الحسنة)
بان تباشر حسنات تضاد آثارها تلك السيآت . والحسنة ماندب اليه
الشارع والسيئة ما نهى عنه واصلها سوية من ساءه يسوءه سواء ومساءة
قلبت الواو ياء وادغمت تتناول الكبيرة وهي ما يستحق فاعلها حدا او
وعيدا شديدا والصغيرة تقابلها (تمحها) اي يمح الله آثارها من القلب او
من ديوان الحفظة ويثبت مكانها الطاعات ان كانت بينه وبين الله
فان تعلقت بالعبد فيدفع الحسنة الى خصمه عوضا من المظلمة حكي
عن بعضهم انه ريء في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفرلي واحسن
الي إلّا انه حاسبني حتى طالبني بيوم كنت صائما فلما كان وقت الافطار
اخذت حبة حنطة من حانوت صديق لي فكسرتها فذكرت انها ليست
لي فالقيتها على حنطته فاخذ من حسناتي مقدار ارش كسرها قال القاضي
في تفسيره صغائر الذنوب مكفرة بالحسنات وكذا ما خفي من الكبائر لقوله
تعالى نكفر عنكم سيآتكم والحديث واما ما ظهر منها وتحقق عند الحاكم
فلم يسقط حدها إلّا بالتوبة تم كلامه واما اتباع الحسنة بالسيئة فان كانت ردة
فيحبطها وإلّا فلا على الاظهر ولما وصاه بحقوق الله واصلاح نفسه ذكر ما
يتعلق بحقوق العباد وقال (وخالق الناس بخلق حسن) وهو بسط المحيا

وبذل

Digitized by Google

وبذل الندى وكف الاذى وان لا يخاصم لشدة معرفة الله او ارضاء الخلق في السراء والضراء وقال سهل ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه والتحقيق انه قد لاح عند ارباب العرفان بطوالع الوحي ولوائح الوجدان ان الانسان جوهر لطيف نوراني شبيه بالجواهر القدسية الملكوتية وله قوتان يحظى بكماليهما ويشقى بسبب اختلالهما قوة عاقلة يدرك بها حقائق الموجودات باجناسها وانواعها وينتقل منها الى معرفة من استقل بابداعها . وعاملة تدرك النافع نافعا فيميل اليها والضار مضرا فيفر عنها وذلك امور معاشه تتعلق بحفظ النوع وكمال البدن او ملكات فاضلة واحوال باطنة هي الخلق الحسن وهو اما تزكية النفس عن الرذائل واصولها عشرة الطعام والكلام والغضب والحسد والبخل وحب المال والجاه والكبر والعجب والرياء وتحليتها بالفضائل وامهاتها عشرة التوبة والخوف والزهد والصبر والشكر والاخلاص والتوكل والمحبة والرضا بالقضاء وذكر الموت . والخلق ملكة تصدر بها الافعال عن النفس بسهولة من غير سبق روية وتنقسم الى فضيلة هي الوسط ورذيلة وهي الافراط والتفريط وغيرهما وانشد بعض المتخلقين

يا من يدل بحسن خلقه	حسن الفتى في حسن خلقه
فالحسن في خلق الفتى	فيه دلائل طيب عرقه

(رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح)

(* الحديث التاسع عشر *)

(عن ابي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما) يعني امشي خلفه لا انه راكب وانا رديفه كذا قيل لكن في وسيط الواحدي عن ابن عباس انه اهدى كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه وسار بي مليا ثم التفت (فقال يا غلام) خاطبه به لانه كان صغيرا اذ قد توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر او ثلاث عشرة سنة وقد يطلق

Digitized by Google

الغلام على الشاب البالغ كقولهم راي الشيخ خير من مشهد الغلام واصله من الاغتلام اي شدة السبق (اني اعلمك كلمات) اي فصولا مفيدة في دفع الاوزار وجلب المنافع والآلاء اذ قد يطلق على الكلام الكثير المرتبط كما سبق وفائدة هذا التمهيد ان يتنبه المخاطب ويسترعي بها سمعه ليفهم ما يلقيه اليه ويتمكن في نفسه فضل تمكن لان المحصول بعد الطلب اعز من المنساق بلا سبب (احفظ الله يحفظك) الجملة منصوبة المحل على انه عطف بيان او استئناف اي احفظ مواسم طاعاته ولوازم عباداته يحفظك من مكاره الدنيا ومشاق الاخرة (احفظ الله) في امتثال احكام الشريعة وحسن المعاشرة مع خليقته (تجده تجاهك) اي تجد عنايته ورافته قريبا منك يراعيك في جميع الحالات وينقذك من جميع العثرات ويسعدك بانواع التحف والبركات وهذه استعارة تمثيلية شبه حاله في معاونة الله له ومراعاته احواله وسرعة انجاحه حاجته بحال من جلس امامك يحفظك ويراعيك فهو تلميح الى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقد اشار بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات العالم الّا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها قريب من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد فقط بل بمعنى آخر لا يجوز كشفه

رمزت اليه حذار الرقيـــب ... وكتمان سر الحبيب حبيـــب
اذا ما تلاشيت في نـــوره ... يقول لي ادع فاني قريـــب

(اذا سالت فاسال الله) وحده فان خزائن العطايا عنده ومفاتيح المواهب والمزايا بيده وكل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية فانها تصل الى العبد او تندفع عنه برحمته من غير شائبة عوض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الّا رحمته ولا يخشى الّا نقمته ويلتجى في عظام المهمات اليه ويعتمد في جميع الامور عليه وفي الحديث من لم يسال الله يغضب عليه اذ السوال اظهار شعار الانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار والافلاس عن ذروة القوة والطاقة الى حضيض

الاستكانة

الاستكانة والفاقة (واذا استعنت فاستعن بالله) اذ لا معين سواه ولا فاتح ولا مانع الّا اياه وكل طاعة يقدم العبد عليها لا تتم الّا باعانته بخلق الداعية فيه الخالصة عن المعارضة وكذلك كل معين لا يعين الّا بالقاء الله الداعية في قلبه فلابد من قطع الواسطة اذ لا حول عن معصية الله الّا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الّا بتوفيق الله وحذف المفعول فيهما ليعم كل مسئول ومستعان (واعلم) حث على التوجه نحو الخير الذي هو المقصود (ان الامة) هي عبارة عن القرن او الجماعة تطلق في الشرع على امة الدعوة وهي التي بعث اليها المبلغ فلزمها الحجة من مجيب مقر او عصي مصر . وعلى امة الاجابة وهي التي شهدت له بالبلاغ والاجابة فمنعت دمها ومالها واستوثقت ذمتها من مصدق صادق او مداج منافق وعلى امة الاتباع وهي التي اطاعت امره وانست به واقتفيت اثره وهي الناجية (لو اجتمعت) لفظة لو بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال كما في لو تركوا من خلفهم ونكتة العدول هو ان اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف اتفاقهم على الايذاء فانه ممكن ولذا قيل « الظلم من شيم النفوس فان تجد ٭ ذا عفة فلعلة لا يظلم » (على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الّا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الّا بشيء قد كتبه الله عليك) اي قدره واثبته عليك في الذكر وفرغ منه يعني وحد الله في الطلب والدفع في لحوق الضر والنفع فهو الضار النافع ليس لاحد معه في ذلك شيء وفي بعض الكتب الالاهية وعزتي وجلالي لاقطعن امل من يومل غيري والبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يومل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الغيب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني وما احسن ما قيل ٭

افوض امري الى خالقي ... وحسبي الهي ونعم الوكيل

ولا ارجعن الى غيره ... فان الاله بكل كفيل

اعرف ما روي في الامل في غير الله

Digitized by Google

واورد اللام في جانب النفع لانه للملك وحقيقته الاختصاص النافع وقوله وان اساتم فلها مجاز وفي صورة الضر على كما هو المشهور (رفعت الاقلام) اي تركت وتمت كتابة ما كان وما يكون كما قد ورد في جامع الترمذي ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما يكون فان قلت ما التوفيق بينه وبين ما اشتهر من قوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله جوهرة او درة فنظر اليها فذابت واول ما خلق الله نوري او روحي واول ما خلق الله اللوح واول ما خلق الله العقل واول ما خلق الله العرش وما نقل عن السلف اول ما خلق الله ملك كروبي فالجواب ما افاده بعض العارفين من ان الاسماء مختلفة والمسمى واحد وهو الروح المحمدي لانه باعتبار كونه درة صدف الوجود سمي جوهرة ودرة وباعتبار نورانيته سمي نورا وباعتبار وفور علمه سمي عقلا اذ قال له اقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ادبر اي ارجع الى ربك فرجع الى المعراج ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك اعرف وبك آخذ يعني عبادة من اخذ منك الشريعة وبك اي بشفاعتك اعطي الدرجات العالية وبك اعاقب الكافرين وبك اثيب المومنين وباعتبار جريان الامور وفق متابعته والاقتداء به سمي قلما وباعتبار مظهريته للعلوم لوحا وباعتبار غلبات الصفات الملكية ملكا كروبيا (وجفت الصحف) اي كتابة ما زبر في اللوح وفرغ منها يقال جف الثوب وغيره يجف بالكسر جفافا اذا ابتل ثم جف وفيه نداوة وهو كناية عن جريان القلم بالمقادير وامضائها وعدم امكان تغيرها والفراغ من المقادير لا يقال هذا ينافي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لانا نقول المحو والاثبات مما جفت به الصحف ايضا كذا في تفسير القاضي لان القضاء قسمان مبرم ومعلق وقيل عند الله كتابان اللوح المحفوظ وهو لا يتغير والذي يكتبه الملك على الخلق وهو محل المحو والاثبات فالحديث اصل في رعاية حقوق الله وقوة اليقين به وتفويض الامور اليه والرضا بقدره وما املح قول الناصح

اعرف اول ما خلق الله

اعرف القضاء مبرم ومعلق

Digitized by Google

يرضو يشنق بتدبير تذبـــــــير كم ان تو بر توفي ايدهما ان تسير

(رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء) اي تحبب اليه بحفظ احكامه ذكره المصنف لان المعرفة سبب المحبة وقيل اجعله يعرفك بطاعته والعمل فيما اولاك من نعمته (يعرفك) يجازيك ويمدك (في الشدة واعلم ان ما اخطاك) اي جاوز عنك من النعمة والرخاء او الشدة والبلاء . والخطا العدول عن الجهة (لم يكن ليصيبك) اي محال ان يصيبك وفيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام الموكدة للنفي على الخبر وتسليط النفي على الكينونة وسرايته في الخبر (وما اصابك لم يكن ليخطئك) فيه الحث على التوكل والرضا ونفي الحول والقوة عنه اذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة وعسر ويسر وخير وشر ونفع وضر واجل ورزق الّا ويتعلق بقدر الله وقضائه قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة « جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون » فيجب الشكر في حال السراء والصبر في حال الضراء روي ان اول شيء خلقه الله القلم من نور واخذ بيمينه وكلتا يديه يمين والقلم مسيرة خمسمائة عام واللوح مثله من درة بيضاء فقال للقلم اجر فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة برها وفاجرها ورطبها ويابسها واللوح المحفوظ موضوع في جبهة اسرافيل او في يمين العرش ينظر الله اليه في كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين لحظة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء (واعلم ان النصر) على الاعداء (مع الصبر) على نكايتهم وسائر المكاره (وان الفرج مع الكرب) الفرج الخروج من الغم . والكرب الغم الذي ياخذ بالنفس كذا في الصحاح وفيه اشارة الى ان الله اذا اراد ان يفتح لعبده بابا من فضله ابتلاه بشيء من بلائه ثم يخصه بنعمة من نعمائه وما رايت شيئا من الامتحان الّا ورايت معه او بعده من بوادر لطائف بره وسعا لطريق محبتهم وزيادة لمودتهم والحكمة في ذلك ان يعرف قدر النعمة وشرف الكرامة فبمرارة الفراق يعرف حلاوة الوصال وبحرارة الهجران يدرك راحة

العرفان وبالنقطة السوداء في وجه الحسناء يعلم قدر الحسن والبهاء فعلى المؤمن اذا لحقه شدة ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنه واما ان يموت وحينئذ يصل الى ما لا يهمل امره ولا يضيع حقه ولذلك قال (وان مع العسر يسرا) وقد وقعت الاية في القرآن مكررة ليعلم انه لا يوجد عسر الا ومعه يسران . قال في الكشاف ما حاصله ان يسرا وقع منكرا للتعظيم فيغاير الاول لان النكرة المعادة غير الاولى والعسر ورد معرفا فيكون للعهد او للجنس فهو واحد على التقديرين لان المعرفة المعادة عين الاولى وهذا ليس على اطلاقه لانه صرح في قوله قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء ان الاولى للاستغراق والثانية للماهية التي تحصل بوجود فرد منها وقد نظم الشاعر هذا المعنى بقوله *

اعرف تعدد اليسر واتحاد العسر

اذا اشتدت بك البلـــــوى ففكر في الم نشـــــرح
فعسر بين يسريـــــن اذا فكرته فافـــــرح

فان قلت النصر والفرج واليسر بعد الصبر والكرب والعسر لانهما يتواردان على المحل فما معنى الاصطحاب المستفاد من مع فالجواب ان المقصود المبالغة في معاقبة احدهما الاخر واتصاله به حتى جعله كالمقارن له زيادة في التسلية والتنفيس وجعلها بمعنى بعد من ضيق المعطى . واليسر السهولة ومنه اليسار للغني لانه يتسهل به الامور واليد اليسرى لبقائها على اليسرة او لان الامور تتسهل بمعاونتها اليمنى . والعسر نقيضه وفي الصحاح كل ثلاثي اوله مضموم واوسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه

* العشرون *

لم يتعرض المصنف للفظ الحديث من هنا الخ (عن ابي سعيد عقبة بن عامر الانصاري البدوي) شهد العقبة الثانية مع السبعين ولم يشهد بدرا عند الجمهور وانما نسب الى ماء ببدر لانه نزل فيه وقيل شهدها نقله في جامع الاصول عن البخاري وغيره سكن الكوفة ومات في خلافة علي وهي من يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين الى غداة الجمعة

لسبع

لسبع بقين من رمضان سنة اربعين مروياتة مائة حديث وحديثان (رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس) اي مما وصل اليهم وظفروا به او لحقوه ولفظة من ابتدائية خبر ان واسمها قوله اذا لم تستح على تقدير القول والراجع الى ما محذوف وفاعل ادرك الناس او ضمير يعود الى ما والناس مفعوله (من كلام النبوة الاولى) اضافه اليهم اعلاما بان الحياء من قضايا النبوة ونتائج الوحي ولم يزل مندوبا اليه في جميع الشرايع فما من نبي الا قد بعث عليه وندب الامة اليه (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) صيغة الامر اما للاباحة اي اذا اردت ان تفعل شيئا فان كان بحيث لا يستحى من الله ومن الناس في فعله فافعله والا فلا ذكره المصنف فان معناه اذا انت لم تستح من صنع امر فذلك دليل على جواز ارتكابه وصنعه ثم قال (وعلى هذا مدار الاسلام) وتوجيهه ان افعال الانسان اما ان يستحي منها او لا فالاول يشمل الحرام والمكروه وتركهما هو المشروع والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح وفعلهما مشروع في الاولين جائز في الثالث فعلى هذا يتضمن الحديث الاحكام الخمسة او للتهديد كما في قوله اعملوا ما شيئتم اي اذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فان الله يجازيك عليه ويكون هذا تعظيما لامر الحياء وتبيينا لموضعه عند فقده واختلف في حده قال الحكماء هو تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يلام به ماخوذ من الحياة يقال حيي الرجل اي صار معروف الحياة فكان المستحي بسبب الحياء معروف الحياة فاطلاقه على الله مجاز مرسل والعلاقة اللزوم او استعارة تمثيلية شبه ترك تجنب العبد بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه ۔ وقال الجنيد الحياء روية الالاء وروية التقصير فتولد من بينهما حالة تسمى الحياء ۔ وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك ۔ وقال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدي المولى وانشد بعض اهل التقوى ۔

اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

اعرف مدار الاسلام على الحياء

Digitized by Google

فلا والله ما في العيش خيـــــر وفي الدنيا اذا ذهب الحيـــاء
والتحقيق ان الحياء ينشا من علم القلب بان الله رقيب عليه فيحفظ ظاهره وباطنه من مخالفة احكامه ويستقبح ما صدر من هفواته ويتحمل انواع البلاء في نظره نشيطا ولا يشتكي الى غيره فاذا ترقى عن ذلك وتحقق ان الله اقرب للاشياء اليه بلا ريب استحيى من قربه فوق ما يستحي من رويته فيدعوه ذلك الى محبته والخلوة معه مستوحشا من الاغيار . مستلذا بروح الانس الملك الغفار . حتى يطلع عليه طوالع انوار التوحيد . ويلمع في سره بوارق اسرار التفريد . فيستحي من شهوده مشهده فانيا عن الخلق . باقيا مع الحق . قال العارف السهروردي الحياء اطراق الروح اجلالا لعظيم الجلال ومن هذا القبيل حياء اسرافيل كما ورد انه يتستر بجناحه حياء من الله عز وجل وحياء عثمان كما قال اني لاغتسل في البيت المظلم فانطوي حياء من الله عز وجل والصنع اخص من العمل قال في الكشاف كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صنعة حتى يتمكن فيه ويتدرب ولذا قيل ان الصناعة صنعة نفسانية راسخة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما نحو غرض من الاغراض على وجه البصيرة بحسب الامكان فان الفعل ما ظهر من الشيء حيوانا وغيره بقصد وعلم واجادة وغيرها والعمل ما صدر من الحيوان قصدا وعلما والصنع ما كان من الانسان باجادة (رواه البخاري)

(* الحادي والعشرون *)

(عن ابي عمرو وقيل ابي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه) كان ثقفيا عاملا لعمر على الطائف مروياته خمسة احاديث (قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام) اي فيما يكمل به الاسلام ويراعى به حقوقه ويستدل به على توابعه (قولا لا اسال عنه احدا غيرك) اي قولا كافيا لا احتاج فيه الى سوال غيرك وفي رواية بعدك اي بعد سوالك هذا (قال قل آمنت بالله ثم استقم) هذا من جوامع الكلم الشامل لاصول الاسلام

التي

اعـرف مبحث الاستقامة

التي هي التوحيد والطاعة فالتوحيد حاصل بقوله آمنت بالله والطاعة بانواعها مندرجة تحت قوله ثم استقم لان الاستقامة امتثال كل مامور واجتناب كل منهي محذور فيدخل فيه اعمال القلوب والابدان من الايمان والاسلام والاحسان اذ لا تحصل الاستقامة مع شيء من الاعوجاج او تقول آمنت بالله شامل للاتيان بكل مامور والانتهاء عن جميع المعاصي وقوله ثم استقم محمول على الثبات فيها ولصعوبة امر الاستقامة قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة هود لانه نزل فيها فاستقم كما امرت وهي جامعة لجميع انواع التكاليف وقالت الصوفية لان الدعوة الى الله مع كون المدعو على الصراط المستقيم امر صعب لا يمكن إلّا اذا كان الداعي على بصيرة يرى انه يدعوه من اسم الى اسم . ولفظة ثم مستعارة للتراخي الرتبي لان الاستقامة افضل من قوله آمنت بالله لشمولها العقائد والاعمال والاخلاق ذكره الزمخشري والامام وهي لغة ضد الاعوجاج اي الاستواء في جهة الانتصاب وتنقسم الى استقامة العمل وهو الاقتصاد فيه غير متعد عن نهج السنة ولا متجاوز عن حد الاخلاص الى الرياء ورجاء العوض وطلب الغرض واستقامة القلب وهي الثبات على الصواب وعند المحققين هي استواء القصد في السير الى الله وثبات جميع القوى على حدودها بالامر والنهي وهو دون الاستقامة في السير في الله لان هذه في الطريق والسلوك اليه باحدية الطريق المستقيم واما السير في الله فهو الاتصاف بصفاته والاستقامة في الله دون الاستقامة في السير بالله المامور بها نبينا صلى الله عليه وسلم في قوله فاستقم كما امرت لان تلك في مقام جمع الجمع والبقاء بعد الفناء والاولى للمريدين والثانية للمتوسطين واستقامة الروح وهي الثبات على الحق واستقامة السر وهي الثبات على الحقيقة قال القشيري الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جده وانشد *

اذا افشيت سرك ضيق صدر اصابتك الندامة والملامه

Digitized by Google

وان اخلصت يوما في فعـــال تنال جزاءه بالاستقامـــه

وقال العارف ابو اروزبهان العاشق معنى الحديث انه اذا وقفت بالتوحيد ورؤية جلال قدمه دار مع الحق حيث دار اما قضاء واما رضاء ولا تنزل عن مقام الرضا الى فترة النفس والهوى (رواه مسلم)

(* الثاني والعشرون *)

(عن ابي عبد الله جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما) كان هو وابوه من المشاهير المكثرين شهد العقبة الثانية وبدرا واستغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة سبعا وعشرين مرة وقتل ابوه يوم بدر فاحياه الله وكلمه كفاحا مات سنة اربع وسبعين وله اربعة وتسعون سنة ومروياته الف وخمسمائة وتسعون (ان رجلا) هو النعمان بن قوقل الخزرجي (سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارايت) اي اخبرني لان مشاهدة الاشياء لما كانت طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة للخبر عنها استعملوا ارايت بمعناه لان الرؤية سبب للعلم والعلم سبب لصحة الخبر عنه فاطلق السبب واريد المسبب البعيد فهو من رؤية الباصرة او لان العلم بها وسيلة الى صحة الخبر فاطلق السبب واريد المسبب القريب فحينئذ من رؤية البصيرة فتامل فان الوجهين ذكرهما في الكشاف احدهما في سورة البقرة والاخر في سورة العلق وتوجيهه بما ذكرنا والاستفهام فيه بمعنى الامر لانه للتقرير المستلزم لطلب الخبر وقد ورد في التنزيل ارايتك والكاف فيه لتاكيد الخبر (اذا صليت المكتوبات) اللام للجنس والفرق بينها داخلة على الجمع وداخلة على المفرد ان الاولى تصلح ان يراد بها كل افرادها وان يراد بها البعض لا الى الواحد بل الى اقل الجمع والثانية تصلح ان يراد بها الكل والبعض حتى الواحد (وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام ولم ازد على ذلك) المذكور (شيئا) من العبادات لم يذكر الزكاة والحج لانه لم يجب عليه لعدم استطاعته وهو من اختصار الرواة او قوله حرمت الحرام يتناوله لان ترك الفريضة من جملة

المحرمات

Digitized by Google

ذكر الجنة وطريق الوصول اليها

المحرمات (الجنة) همزة الاستفهام فيه مقدرة (قال نعم) الجنة لغة البستان من النخل والشجر المتكاثف بالتفاف اغصانها فعلة من جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لالتفافها الاشجار والتركيب دائر على معنى الستر نحو جن الرجل وجن الليل والجنة ثلاث . وشرعا اسم لدار الثواب كله وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة على مراتب بحسب الاستحقاق وهي جارية على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالرسول فان قلت ظاهر الحديث يقتضي ان الاعمال الصالحة اسباب دخول الجنة لان تعليق الحكم بالوصف يشعر بالعلية وقد ثبت في الصحاح انه قال صلى الله عليه وسلم لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا إلّا ان يتغمدني الله برحمته فما التوفيق بينهما فجوابه ان دخول الجنة ليس إلّا بمحض رحمة الله واما اختلاف مراتبها وتفاوت درجاتها فبحسب العمل لكن لا بد للعبد ان يستعد لفضله وذلك بالعمل كما قال ان رحمة الله قريب من المحسنين وما احسن قول علي كرم الله وجهه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن ومن ظن انه ببذل الجهد يصل فهو متعن وعن الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم واوحى الله الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي نقله في الكشاف ولله در من قال

من اراد الجنان مـــأواه   او يكون اللقا مبغـــاه
فليكن عاملا بلا كســل   للاله القديم مـــولاه

(رواه مسلم ومعنى حرمت الحرام اجتنبته ومعنى احللت الحلال فعلته معتقدا حله) لو قال اعتقدت حله لكان اولى والله اعلم وانما اوله لامتناع اجرائه على الحقيقة فيكون مجازا من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم

(* الثالث والعشرون *)

(عن ابي مالك الحارث بن عاصم الاشعري) وفي جامع الاصول كعب

Digitized by Google

ابن عاصم وقيل ابى بن عاصم وابي مالك كذا ذكره البخاري على الشك قال ابن المدني ابو مالك هو الصواب مات في خلافة عمر وهي من يوم الثلاثاء لثمان بقين من آخر جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة الى ان طعن في ثالث او رابع ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين (رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور) قال في شرح مسلم اجمع اهل اللغة على ان الطهور والوضوء يضمان اذا اريد بهما المصدر اي الطهارة عن الحدث والخبث ويفتحان اذا اريد بهما الاسم اي ما يتطهر به . وفي النهاية عن سيبويه ان الطهور بالفتح يقع على الماء والمصدر معا وقال القاضي قد جاء فعول بمعنى المصدر كالقبول وهو قليل والفاعل كالصبور والمفعول كالحلوب وما يفعل به كالسحور والاسمية كالذنوب وهو هاهنا بمعنى المصدر اي الطهارة عن الحدث الاكبر والاصغر في البدن والملبوس ومكان الصلاة (شطر الايمان) اي الصلاة كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم اطلق الايمان عليها لانها اعظم آثاره واشرف نتائجه وانما جعل شطرها لان صحة الصلاة بالاركان وهي احد الشطرين وبالشرائط وهى الشطر الاخر ولما كان اظهرها واكثرها افعالا هي الطهارة جعلت كالشروط كلها او شطرا على الاتساع وقيل المراد التصديق ومعناه ان ثوابه ينتهي الى نصف الايمان وقالت الصوفية الطهور تزكية النفس عن الرذائل والاخلاق الزائغة وهي نصف الايمان اذ النصف الاخر التحلية بالفضائل والاعتقادات الحقة والتخلية مقدمة على التحلية قال نجم المشايخ الروح القدسية دست في التراب والماء خلق مزيلا له فاذا استعمل في الطهارتين غسل التراب عن وجه الروح ويخففه عن الاثقال الترابية واذا داوم على الطهارة اوشك ان يتلألا فيه الانوار الربانية من طريق العكس ثم ينعكس منه الى مرآة الخيال فيرى ذلك بعين قلبه قال الغزالي للطهارة مراتب من تطهير الظاهر عن الحدث والخبث ثم تطهير الجوارح عن الجرائم ثم تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة ثم تطهير السر عما سوى الله (والحمد لله) اي التلفظ به (تملأ الميزان)

اعرف كون الطهور نصف الايمان

اي

اعرف كيفية وزن الاعمال

اي عظم خيرها ووفور ثوابها لو قدرت اجساما لملأت كفة الميزان فان قلت كيف توزن الاعمال وهي اعراض مستحيلة البقاء وكذا الاعراض لا توصف بالثقل والخفة فالجواب ان نصوص الشرع تظاهرت على وزن الاعمال وثقل الموازين وخفتها وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما ان للميزان لسانا وكفتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب تكتب حسناته في صحيفة وتوضع في كفة وتكتب سيئاته وتوضع في الاخرى فوجب القبول وترك الاعتراض بسبب قصور الفهم وركاكة العقل فان من اطلعه الله على الاسرار وكشف له عجائب الاقدار يرى ان المقيد بعقله ليس له مقدار على انه ورد وزن الصحائف ايضا قال الغزالي النفس بذاتها مهياة لان ينكشف لها حقائق الامور لكن تعلقها بالجسد مانع من ذلك فاذا انكشف الغطا بالموت فعرف ان اعماله موثرة في تقريبه من الله وابعاده و يعلم مقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تاثيرا من البعض والله قادر على ان يجري سببا يعرف الخلق في لحظة مقادير الاعمال بتشكيل حقيقي او تمثيل خيالي فحد الميزان ما يتميز به الزيادة عن النقصان ومثاله في عالم الحس يختلف كالميزان للاثقال والاصطرلاب لحركات الافلاك والمسطرة لمقادير الشعر فلتقريبه بافهام البليد والجليد مثل بما اريد (وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملا) الترديد من بعض الرواة وفائدته التنبيه على غاية الاحتياط والتحفظ في النقل والاول بالتاء المثناة من فوق وفاعله ضمير المونثتين الغائبتين والثاني تملا ضمير الجملة وقيل بالتذكير ايضا على ارادة النوعين من الكلام ومعناه لو قدر ثوابهما جسما لملا (ما بين السماء والارض) والمقصود التنبيه على كثرة الثواب والحكمة فيه ان سبحان الله يدل على انه مقدس في ذاته وصفاته وافعاله عما لا يليق بعلو جلاله ازلا وابدا والحمد لله معناه ان محامد الاولين والاخرين من اهل السماوات والارضين ابد الابدين حق رب العالمين فهذه طاعة غير متناهية فيستحق العبد ثوابا بلا نهاية واجرا وافرا بلا غاية وقوله تملا من قولهم ملا الاناء يملا بفتح

Digitized by Google

اللام فهو مملو لا من ملئ بالكسر اي امتلا فهو ملئان اذ هو لازم ذكره الزمخشري في المقدمة وجاء ملا الوعاء بالفتح فهو ملئان قاله المطرزي (والصلاة نور) اي انها تمنع عن المعاصي وتنهى عن الفحشاء وتهدي الى الصواب كما ان النور يستضاء ويهتدى به ففيه تشبيه بليغ وانها سبب لاشراق نور المعارف واسترواح القلب ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها واقباله على الله او هو منور وجه المصلي في الدارين والنور ضوء النار وكل نير كذا في الكشاف او الظاهر بنفسه المظهر لغيره قاله الغزالي وهو اما معقول بعين البصيرة من الامور الالهية او محسوس بالبصر من الامور الحسية فعلى هذا الله نور السماوات والارض من باب حمل المواطاة لا حمل الاشتقاق (والصدقة برهان) على صحة ايمان المتصدق وحجة عند الحساب فان العبد اذا سئل عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جوابه فيقول قد تصدقت به او برهان على صدق دعواه في محبة الله اذ المحبوبات كلها تبذل لاجل المحبوب الاكبر من ان ينال بالحواس و يدرك خلاله بالعقل والقياس ولذا انفق بعض العرفاء كالصديق رضي الله تعالى عنه جميع ماله و بعضهم امسك قدر ما يدفع به الحاجات وبعضهم اقتصر على الواجب والافضل فيها الاسرار والحذر من المن بان يرى نفسه محسنا بتوقع الشكر والاخراج من الاطيب والاعطاء بوجه طليق لمن يستعين بها على تقوى الله (والصبر ضياء) اي الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة الله وعن المعصية وعلى انواع المكاره محمود لا يزال صاحبه مستضيئا مستمرا على الصواب . والصبر لغة الحبس وصف به الله لحبسه العذاب واصطلاحا قوة مقاومة الالام والاهوال . قال الغزالي لما كان الانسان موكوزا فيه العقل الداعي الى المصالح والشهوة الباعثة الى المفاسد لم يوجد الصبر في غيره من الملائكة لفقدان الشهوة الصارفة عن الخدمة والبهائم لعدم العقل وما دام صبيا ليس له الا شهوة الغذاء ثم اللعب ثم المنكح فاذا بلغ ظهر باعث الدين والعقل يرشده الى الاعراض عن الباطل

مطلب الصبر

Digitized by Google

الفاني والاقبال الى الحق الباقي قصد العقل عن خلاف الشرع هو الصبر وهو اما بدني فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة او انفعالا كالثبات على الالام او نفساني وهو منع النفس عن مقتضيات الطبع فان كان عن شهوة البطن والفرج فهو العفة وان كان عن المكاره ففي المصائب بان يحمل النفس على ترك اظهار الجزع خص باسم الصبر وهو عند الصدمة الاولى والّا فيسمى سلوا وفي النوائب يسمى سعة الصدر وان كان في حال مبارزة الاقران فهو الشجاعة وان كان في كظم الغيظ سمي حلما وان كان في حال الغناء سمي ضبط النفس وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة وعلى هذا تم محصل كلامه فعلم منه ان الصبر يبنى عليه اركان الايمان والاسلام واحكمت عليه قواعد الاحكام فيكون اتم من الصلاة وارفع حالا منها فلهذا شبه بالضياء الذي هو اقوى من النور وهو ما انتشر من الاجسام النيرة او فرط الانارة قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقد يتعاوران وانشد *

ارى الصبر محمودا وعنه مذاهب ... فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب
هو المهرب المنجي لمن احدقت به ... مكاره دهر ليس عنهن مهرب

وفي كلام العارفين اشارة الى ان للصبر اقساما من الصبر لله عن معاصيه وطاعته لاجل ثوابه وهو للعامة . والصبر بالله اي بقوة الله وتاييده وهو صبر المريد الذي انسلخ عن حوله وقوته عالما انه لا حول ولا قوة الّا بالله نص عليه في المنازل وذكر القاشاني انه فوق جميع الاقسام لحصوله بالبقاء بعد الفناء . والصبر على الله اي على حكمه وهو صبر السالك الذي برئ عن التصرف والاختيار ويرى ان المتصرف فيه وفي الكل والمصرف للامر هو الحق فيصبر على احكامه مع مكابدة الالام . والصبر في الله والصبر مع الله وهو لاهل الحضور والمشاهدة . والصبر عن الله وهو لاهل المحبة اذا اراد المحب فراق المحب وهو اشدها مرارة ولذا لما سمعه الشبلي شهق وخر مغشيا عليه وانشد يقول *

ان صوت المحب من الم الشو ق وخوف الفراق يورث ضرا

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب للصبر صبـــرا

وتحقيق المقام يطلب من العوارف (والقرآن حجة لك) اي ان تلوته وعملت بمقتضاه يشهد لك ويصير حجتك في دفع الزبانية وينجيك من سائر العقبات في القيامة قال السهروردي المقصد الاقصى من المجاهدة المعاينة والمشاهدة فاذا اكثر العبد من التلاوة وذكر الكلمة واجتهد في مواطاة القلب مع اللسان حتى تصير متاصلة في القلب مزيلة لحديث النفس يتنور القلب ويظفر بجدوى الاحوال وينعكس نور القلب الى القالب فيتزين بمحاسن الاعمال ويصير الذكر ذكر الذات وهذا هو المشاهدة (او عليك) اي ان تركت العمل بمقتضاه يشهد عليك فيما بك ويلقيك في المهالك ففيه اشارة الى ان القرآن سبب الوصول الى اعالي الدرجات او اسافل الدركات قال الخطابي جاء في الاثر ان عدد آي القرآن على قدر درج الجنة فمن استوفى جميعها استولى على اعالي درج الجنة قال المحققون استيفاء جميع آي القرآن هو ان يتخلق باخلاقه وصفاته بل باخلاق الله وصفاته فان لقلقة اللسان لا تقطع (كل الناس يغدو) جملة مستانفة كانه قيل قد تبين من هذا الرشد من الغي فما حال الناس بعد ذلك فقال كل الناس يصبح ويسعى مبكرا . والغدو سير اول النهار ضد الرواح ماخوذ من الغدوة ما بين الصبح وطلوع الشمس (فبائع نفسه) خبر مبتدا والفاء تفصيلية والبيع بمعنى الشراء لان المشتري يعتق وهو مجاز اي يصرف نفسه في الاغراض الذي يتوخاها من الخير والشر (فمعتقها) خبر بعد خبر او بدل من قوله فبائع نفسه والفاء سببية (او موبقها) عطف عليه اي فمنهم من يسعى في فكاك رقبته باتباع اوامر الشرع واجتناب نواهيه فيعتقها من العذاب ويخلصها من العقاب ومنهم من يسعى في هلاك نفسه فيتبع النفس والشيطان والهوى فيهلكها فيكون للاول خير الدارين والامان وللثاني الهلاك والخسران فالواجب على العبد مخالفة النفس

Digitized by Google

الداعية الى المهالك المعينة للاعداء المغموسة في البلاء المستهدمة باصناف الاسواء المتبعة للاهواء الغالبة للعلم والعقل فلا يسلم منها الّا الانبياء والصديقون فلا شيء اخبث منها قال الله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين اراد بالاخر بلسان الاشارة الهوى لقوله صلى الله عليه وسلم ما عبد الاه ابغض على الله من الهوى قال سهل للنفس سر وما ظهر ذلك السر الّا على فرعون ولها اربع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما يدفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماءً سماءً فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصل القلب الى العرش وقال الواسطي النفس صنم والنظر اليها عبادة وقال ابو يزيد من امات نفسه يلف في كفن الرحمة ويدفن في ارض الكرامة ومن امات قلبه يلف في كفن اللعنة ويدفن في ارض العقوبة والحرمان وقد انشد بعض اهل الاتقان *

يا من يروم من الالام نجاته ... ان النجاة لفي مخالفة الهوى
حفظ الحواس من الذنوب فريضة ... فدع الفضائل واشتغل بالانتها

(رواه مسلم)

﴿ * الرابع والعشرون * ﴾

(عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل) هذا حديث قدسي والفرق بينه وبين القرآن انه اللفظ المنزل للاعجاز والقدسي اخبر الله نبيه معناه بالالهام او المنام فاخبر النبي امته بعبارته عن ذلك المعنى فلا يكون معجزا ولا متواترا كالقرآن قال الطيبي فضل القرآن على الحديث القدسي انه نص الهي في الدرجة الثانية وان كان من غير واسطة الملك غالبا لان المنظور فيه المعنى دون اللفظ وفي التنزيل اللفظ والمعنى منظوران فعلم منها مرتبة بقية الاحاديث (انه قال يا عبادي) الخطاب مع الثقلين لاختصاصهم بالتكليف وتعاقب التقوى والفجور قال القاضي ويجوز ان يكون شاملا للملك وفيه تامل لانهم ليسوا من اهل الطعام والكسوة ولا من اهل الضلال وتقديرها فيهم بعيد (اني حرمت الظلم على

قف على الفرق بين القرآن والحديث القدسي

Digitized by Google

مطلب تفسير الظلم ومفاسده

نفسي) اي تقدس نفسي عنه فهو مستحيل في حقه لانه مجاوزة الحد والتصرف في ملك الغير وكلاهما محال وكيف يجاوز حدا وليس فوقه شي وكيف يتصرف في ملك الغير والعالم كله ملكه قال المصنف ولو فسر الظلم بوضع الشيء في غير موضعه لكان اولى كما اشتهر عن علي كرم الله وجهه . والتحريم لغة المنع شبه تنزيهه عن الظلم باحتراز المكلف عما نهى الله واستعار له التحريم ثم اشتق منه الفعل فيكون استعارة تبعية والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب نفس لان النفس به وللروح نفس وللدم نفس لان قوامها به وللماء نفس لفرط حاجتها اليه فلا يطلق على الله الّا على سبيل المشاكلة فان قلت قد نفى الله الظلم عن نفسه بقوله وما ربك بظلام للعبيد على سبيل المبالغة وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم فالجواب ان يقال صفات الله بلغت غاية الكمال ونهاية الجلال فلو اتصف بالظلم لكان عظيما فنفاه عن حد عظمه لو كان ثابتا . او اراد نفي نفس الظلم لكن القليل منه بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلذا عبر بلفظ المبالغة (وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) اي فلا تتظالموا اي لا يظلم بعضكم بعضا اذ الظالم ينحط عن رتبة النبوة لا ينال عهدي الظالمين وعن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين وعن مرتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين وعن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وعن حض نفسه وخسارته في الدنيا والعقبى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وفي الترمذي مرفوعا ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين حكي ان الامير نوحا لما وضع الخراج على اهل سمرقند بعث بريدا الى اميرها فاحضر الايمة والمشيخ واعيان البلد وقرا عليهم الكتاب فقال الفقيه ابو منصور الماتريدي للبريد قد اديت رسالة الامير فاردد اليه الجواب وقل له زدنا ظلما حتى نزيد في دعاء الليل ثم تفرقوا فلم يذهب الّا ايام حتى وجدوه قتيلا وفي

بطنه

بطنه زج رمح مكتوب *

بغى وللبغي سهـــام تنتظر انته من ايدي المنايا والقدر

سهام ايدي القانتات في السحر يرمين عن قوس لها الليل وتر

(يا عبادي) كرر النداء زيادة لتشريفهم وتعظيمهم ولذا اضافهم الى نفسه وتنبيها على فخامة ما بعده وجمعه لافادة الاستغراق (كلكم ضال) اي من شانكم وجبلتكم الضلالة كما ورد ان الله خلق الخلق في ظلمة الطبيعة فالقى عليهم من نوره اي في ظلمة الطبيعة من الميل الى الشهوات والركون الى المحسوسات والغفلة عن اسرار عالم الغيب فالقي عليهم من نوره اي ما نصب لهم من الحجج النيرة فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل وهي العدول عن الطريق المستقيم عمدا او سهوا يسيرا او كثيرا اذ هي صعب جدا ولذا ورد استقيموا ولن تحصوا وله عرض عريض فادناه اصغر الصغائر لقوله ووجدك ضالا فهدى اي غير مهتدي لما سبق اليك من النبوءة ولاحكام واعلاه اكبر الكبائر (إلَّا من هديته) بتنوير قلبه وشرح صدره وتصفيته واستعداده عما ينافي قبول الحق من ظلمات الشرك والشكوك والشبه والهوى فينبت فيه شجر التصديق بما جاءه من اصول الدين ثم انه ينمو باغصان الطاعات في كل حين ثم ينمو بثمار المشاهدة واليقين وللهداية مراتب كما سلف بعضها فوق بعض (فاستهدوني اهدكم) فيه دليل على ان المهتدي من هداه الله وبارادته اهتدى وان غيره لم يرد هدايته فلم يهتد ولو ارادها اهتدى خلافا للمعتزلة فانهم قالوا انه تعالى اراد هداية الجميع جل ان يريد ما لا يقع او يقع ما لا يريد فان قلت الخطاب اذا كان مع الكفار فلا اشكال واما اذا كان مع المهتدين المومنين فالمومن مهتد فطلبه الهداية طالب لتحصيل الحاصل فجوابه ان المراد طلب المزيد كما في قوله والذين اهتدوا زادهم هدى . او الثبات والدوام عليها كما في قوله يايها الذين آمنوا آمنوا كذا في الكشاف لا يقال الملازمة ممنوعة لان المومن وان اهتدى بمعرفة الله لكن مطالبته الحقيقية والسعادات اليقينية لا تحصل إلَّا بهداية الله فلا بد من طلبها لانا نقول تلك المطالب

اعرف القول على الهداية

Digitized by Google

زائدة على اصل الهداية فيؤول حاصله الى طلب الزيادة والثبات وهي
هداية ايضا فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز هذا تحقيق كلام الكشاف
ولك ان تقول الهداية لا تحصل الّا بان يعلم الله العبد مصالحه في دينه
ودنياه ويرشده الى طريق القصد في اخلاقه لعدم شعوره بهما ثم يوفقه
لفعلها بان يخلق فيه الارادة والقدرة عليها اذا يشاء لعجزه عن ذلك ويثبته
عليها وهذه امور ضرورية لا تحصل لكل سائل فلا يكون طلبها تحصيلا
للحاصل وتحقيقه ان الانسان مركب من روح روحاني يقتضي العروج
الى عالم القدس وهي مستعدة لفيضان نور الله ومهياة للتحلي فيه فمن نفسه
مائلة الى الخلود في الارض والانهماك في الشهوات فمن ساعده التوفيق
هداه الى سواء الطريق واذاقه حلاوة المجاهدة حتى يصل الى عالم التحقيق
وذلك بارشاده الى تحصيل الملكات الكاملة والاخلاق الفاضلة التي هي
الصراط المستقيم اذ في كل خلق من الاخلاق طرفان مذمومان الافراط والتفريط
ووسط هو المحمود ففي القوة الشهوية الافراط جور والتفريط خمود والوسط
عفة ويحصل منها الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والسخاء وفي
القوة الغضبية الطرفان التهور والجبن والمحمود الشجاعة ويلزم منها كبر
النفس والحلم والسكون والتواضع والحمية والرقة وفي القوة النفسانية الطرفان
المذمومان الجربزة والبله والوسط المحمود الحكمة ويتبعها الذكاء وسرعة الفهم
وحسن التعقل والتحفظ ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلاث العدالة
ويترتب عليها الصدق والشفقة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود وملائكته
ورسله وكتبه وما يجب في الشرع قبوله فالمطلوب هدايته كمال التوسط
في الاخلاق ليهتدي الى سعادة الدارين ورفعة المنزلتين ولما فرغ من الامتنان
بامور الدين شرع في الامتنان بامور الدنيا فقال (يا عبادي كلكم جائع إلّا من
اطعمته) بالوسائط والروابط من الصناعات التي يدور عليهما المناجح وبها
تنتظم المصالح بمقتضى القسمة الازلية كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا نقل الشيخ اليافعي عن بعضهم انه لما اظهر الله
الخلق في القدم عرض عليهم الصنائع وخيرهم فيها فاختار كل منهم صنعة فلما

قف قد عرض سبحانه على عباده في الازل الصنائع

ابداهم

ابداهم الى الوجود اجرى على كل ما اختاره لنفسه وانه انفردت طائفة فلم تختر شيئا وقالوا ما اعجبنا شيء نختاره فاظهر لهم مقامات العبادة فقالوا اخترنا خدمتك فقال وعزتي وجلالي لاسخرنهم لكم ولاجعلنهم لكم خداما ولاشفعنكم فيمن عرفكم وخدمكم على انه قد يرزق بلا سبب معلوم كما روي عن موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه باهله فامره الله ان يضرب بعصاه صخرة فضربها فانشقت وخرجت منها صخرة ثانية ثم ضربها فانشقت فخرجت صخرة ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء فسمع الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعلم مكاني ويذكرني ولا ينساني (فاستطعموني اطعمكم) بتفتيح ابواب المرام وتسهيل ابواب الانتظام فلا يجوز ابطال حكمة الله برفع وسائط الارزاق والاتكال بسعة نعمة الرب الرزاق • روي ان بعض العارفين بلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسال احدا حتى يأتيني رزقي فاقام في سفح جبل اسبوعا لم يأته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والّا فاقبضني اليك فالهمه الله وعزتي وجلالي لاارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة فبسط في رزقه فاوجس في نفسه ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت انه ان ارزق العباد بايدي العباد احب الي من ان ارزقهم بيد القدرة فان قلت اطعامه عام للجميع بمقتضى لطفه وبره بعباده فما وجه الاستثناء فالجواب ان المراد بالاطعام بسط الرزق والاختصاص بالبر ودفع الافات والبليات فكانه قال كلكم محتاجون الى انعامنا لكن الانعام اصناف وله اصناف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فقد تقتضي الحكمة البالغة بسط الرزق لاحد وقبضه لغيره فالعموم لجنس الاطعام والرزق والخصوص لنوعه (يا عبادي كلكم عار الّا من كسوته فاستكسوني اكسكم) ولما كان الاحتياج الى الطعام واللباس اشد اذ لا مندوحة عنهما ولا بقاء للحيوان بدونهما تعرض لهما بل هما اصل في امور الدين ومكمل لمنافعه (يا عبادي انكم تخطئون) بضم

التاء وكسر الطاء وروي بفتحهما والمشهور الاول قاله في شرح مسلم قال في النهاية خطا في دينه خطا اثم فيه واخطا سلك سبيل الخطا عمدا او سهوا وقال ابو عبيدة خطا واخطا واحد وقال الاموي المخطي من اراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي ومنه رجح الرواة الثانية لانه جعل ذنبا مغفورا والخطا من غير تعمد معفو عنه مثل او لا (بالليل والنهار) اي في جميع الاوقات وقدم الليل اذ الظلمة هي الاصل والنور طار عليها يسترها ولان الشهور غررها الليالي او لانه وقت العبادة والخلوة فقدم لشرفه (وانا اغفر الذنوب جميعا) قدم المسند اليه لافادة التقوي واورد المضارع المفيد للاستمرار التجددي وعرف الذنوب بلام الاستغراق واكدها بقوله جميعا ليعلم ان ما سوى الشرك مغفور تيب عنها اولا خلافا للمعتزلة (فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري) منصوب بنزع الخافض اي الى ضري (فتضروني) منصوب جوابا للنفي (ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) اي لا يتعلق بي ضر ولا نفع فتضروني وتنفعوني فالطاعة والمعصية لا تضره ولا تنفعه لانه غني عن العالمين وانتم الفقراء الى الله ان احسنتم يحصل نفعها لكم وان اساتم فعليكم اثم سيئاتكم فالنفي غير متوجه الى القيد بل الى مجموع الكلام كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها على وجه ذكره العلامة ايضا نحو لا يرى الضب بها ينجحر (يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم) سمي انسا لظهورهم او لانهم يونسون اي يبصرون كما سمي جنا لاجتنانهم (كانوا على اتقى) اي تقوى اتقى (قلب رجل) او على تقوى احوال قلب رجل (واحد منكم) وانما قدر هكذا ليصح الحمل قيل اراد باتقى رجل محمدا صلى الله عليه وسلم كما اراد بافجر رجل الشيطان وهو من الجن عند اكثر المتكلمين (ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على) فجور (افجر قلب رجل واحد) اي على افجر احواله يعني لو اتفقوا على القلب والفجور لم يقل لفظة منكم هنا لئلا يخاطبهم بالافجرية تفضلا واحسانا (ما نقص ذلك في ملكي شيئا) لان واجب الوجود لذاته واجب في جميع صفاته

Digitized by Google

لا بد ان يكون غنيا عن جميع الحاجات متصفا بكل الكمالات وقوله شيئا مفعول مطلق ان قلنا ان نقص لازم او مفعول به ان قلنا انه متعد (يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالوني) الصعيد وجه الارض وظاهرها وقيد السوال بالاجتماع في صعيد واحد لان تزاحم الاسئلة وترادف الناس في السوال مع كثرتهم وكثرة مطالبهم مما يضجر المسئول منه ويدهشه وذلك يوجب حرمانهم وتخييبهم او تعسر انجاح مطالبهم واسعاف مآربهم (فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي) من خزائن الرحمة والفضل التي في امري وحكمي وتدبيري (إلّا كما ينقص المخيط) بكسر الميم وفتح الياء الابرة (اذا دخل البحر) اي لا ينقص شيئا لان ما عند الله لا يدخله نقص بل يدخل المحدود الفاني وانما ضرب المثل بالمخيط والبحر لانه وان كان يرجع بشيء قليل محسوس لكن لقلته بالنسبة الى اعظم المرئيات عيانا لا يرى ولا يعد شيئا فكانه لم ينقص منه شيء وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس للتفهيم لانه في التحقيق لا تنتقص خزائن الله بشيء وينتقص ماء البحر فاين هذا من ذاك فان قلت مقتضى هذا الكلام الرباني انه ينجح سوال كل سائل ويعطي مطالب كل طالب وكم داع يدعو ولا يجاب وكم من مومل يومل شيئا فيخيب فما وجهه فالجواب ما ذكره ابن عطاء من ان للدعاء اركانا واجنحة ومراقبة واسبابا واوقاتا فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار الى السماء وان وافق مراقبته فاز وان وافق اسبابه انجح وان وافق اوقاته استقر فاركانه حضور القلب والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب . واجنحته الصدق . ومراقبته الاستخارة. واسبابه الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واوقاته بعد الصلوات ومظان الاجابة للدعوات ولا بد من شرط هو الاصل وحده تناول حل وقلما يتيسر وللخلق فيما يطلبون مذاهب ومقاصد وقد يحصل الشيء الذي يتعسر فالعوام يطلبون الدنيا وزهراتها والخواص متوجهون الى العقبى ولذاتها والعارفون يقصدون الحضرة الاحدية ومناجاتها

اعرف ان للدعاء اركانا واجنحة الخ

Digitized by Google

لو لم ترد نيـل ما ارجـو واطلبه   من فيض جودك ما علمتني الطلبا

وذلك بعد ان فاح عليهم نفحات الجذبات وزكاهم الحق من كدورات الصفات وحلاهم باجمل الحلى واحياهم بعد فنائهم بعين البقاء وسقاهم من شراب الوداد واسكرهم بحقيقة المراد وكشف لهم الاستار واطلع عليهم شموس الاسرار ورقاهم حالا بعد حال من بسط وقبض وجذب وحجب وجمع وفرق وكشف وستر وصحو ومحو وتمكين وتلوين كما قيل

كان شيئـــا لم يزل اذا اتى   كان شيئـــا لم يكن اذا مضى

فلا يشاهدون في الملك والملكوت الّا جمال ذي العزة والجبروت قال الشاذلي انا لا نرى مع الحق من الخلق احدا ان كان ولا بد فكالهباء ان فتشته لم تجد شيئا وما اشتهر من انه قيل ما راينا شيئا الّا ورأينا الله بعده وما راينا شيئا الّا ورأينا الله فيه وما راينا شيئا الّا ورأينا الله قبله وما راينا شيئا سوى الله فاشارة الى ترقيهم في معارج المشاهدة ومناهج الطلب والمجاهدة (يا عبادي انما هي) الضمير راجع الى ما يفهم من قوله اتقى قلب رجل وافجر قلب رجل وهي الاعمال الصالحة والطالحة (اعمالكم احصيها عليكم) اي بعلمي وملائكتي الحفظة احفظها عليكم قاله الطيبي وقال المظهر هي ضمير مبهم يفسره قوله اعمالكم يعني راجع الى متعقل ذهني اشير اليه ثم اخبر عنه بما بعده كما ذكره صاحب الكشاف في هذا فراق بيني وبينك انه قد تصور فراقا بينهمـــا عند حلول ميعاده فاشـــار اليه لا يقـــال هي ضمير قصة اذ في الجملة مونث غير فضلة لانا نقول ليس المعنى اعمالكم احصيهـــا لانه لا يصلح تفسيرا والجملة بعدها بيان اي انما احصي اعمالكم (ثم اوفيكم اياها) اي اودي جزاءها اليكم تاما وافيا ان خيرا فخير وان شرا فشر (فمن وجد خيرا) يثاب عليه (فليحمد الله) على توفيقه للطاعات والاعمال الصالحة (ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الّا نفسه) لبقائها على الظلمة الاصلية واكتساب المعاصي والمظالم وهي السبب فيها قال القاضي افعال العبـاد وان كانت غير موجبة للثواب والعقاب بذواتها الّا ان الله تعالى اجرى عادته بربطهما بها ربط المسببات بالاسباب وانشد بعض ارباب الالباب

Digitized by Google

اخاف وارجو فضله وعقـــابه   واعلم حقـــا انه حكم عدل
فان يك عفوا فهو منه تفضـــل   وان يك تعذيبـا فاني له اهل

والتحقيق ان السبب الفـــاعلي للخير والشر ليس إلّا الله وحده بمقتضى فضله وعدله واما السبب القابلي فهو وان كان ايضا منه في الحقيقة إلّا ان قابلية الخير من الاستعداد الاصلي الذي هو من الفيض الاقدس الذي لا مدخل للاختيار فيه وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والافعال الحاجبة للقلب المكدرة لجوهر الروح حتى احتاج الى الصقل بالرزايا والبلايا ولذا قـال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير (رواه مسلم)

﴿ الخامس والعشرون ﴾

عن ابي ذر ايضا رضي الله عنه ان ناسا من فقراء المهاجرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور) جمع دثر كفلوس وفلس والباء في قوله (بالاجور) للتعدية وفيه معنى المصاحبة اي ذهب اهل الاموال بالدرجات العلى واستصحبوها معهم في الدنيا والعقبى ولم يتركوا لنا شيئا فما حالنا (يصلون كما نصلي) لفظة ما كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو او مصدرية كما في قوله تعالى فما ربحت اي صلاتهم مثل صلاتنا (ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم) اي بزوائدها ويترجحون علينا في الثواب وليس لنـا مال (قال اوليس) الهمزة للانكار التكذيبي والواو للعطف على مقدر اي يكون كذلك وليس (قد جعل الله لكم ما تصدقون) بتشديد الصاد والدال جميعا اي تتصدقون (به ان لكم بكل تسبيحة صدقة) قـال القاضي عياض تسميتها صدقة تشبيها لها بالمال في اثبات الاجر او على سبيل المشاكلة وقيل معناه انهـا صدقة على نفسه (وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة) هي قول لااله إلّا الله (وامر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة) اسقط المضاف هاهنـا اعتمادا على السابق ويدل عليه رواية

Digitized by Google

الجر او ليعلم ان قليلا من هذا النوع يقوم مقام الامور السابقة فكيف بالكثير قال المصنف فيه اشارة الى ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من افراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا نكره والى ان الثواب فيهما اكثر من غيره لانهما فرض كفاية وقد يتعين ومعلوم ان جزاء الفرض يزيد على النفل وفي كلام امام الحرمين ان المزيد بسبعين درجة لحديث ورد فيه والمعروف هو الصنائع الجميلة والخصائل الجليلة لانها عرفت في الشرع ولذا عرف باللام والمنكر ما ينكره الشرع ولا يرتضيه العقل ولذا نكره للتحقير (وفي بضع احدكم صدقة) البضع الفرج يطلق غالبا عليه وعلى الذكر ايضا وقيل الجماع وكلاهما يصح هنا اي في جماع احدكم صدقة اذا نوى اعفاف النفس وطلب ولد صالح وقضاء لحق الزوجة ولما كان الجماع من المباحات سالوا عن كيفية كونه صدقة (قالوا يارسول الله اياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم) اخبروني (لو وضعها في حرام اكان) اقحم همزة الاستفهام التي للتقريريين لو وجوابها تاكيدا للاستخبار (عليه فيها وزر) هو العقوبة الثقيلة التي تنقض ظهر صاحبها (فكذا اذا وضعها في الحلال كان له اجر) بالرفع والنصب كذا في شرح مسلم اي كان ذلك الوضع له اجر والحديث دليل لمن جوز القياس وهم اكثر الاصوليين والمذكور قياس العكس واختلف فيه ايضا (رواه مسلم) وفي رواية له اخرى فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فان قلت مقتضى الحديث ان الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر وهو خلاف ما اختاره جمهور المحققين فما وجهه فجوابه يتوقف على تمهيد مقدمة وهي ان الفقر اسم للبراءة من روية الملك بان لا يرى الملك والتصرف في نفسه وماله بل في الوجود إلّا للحق وله مراتب بعضها فوق بعض من قبض اليد عن الدنيا ضبطا وطلبا والاعراض عنها لسانا وجنانا ثم الرجوع الى سابقة الازل وهو عدمه الذاتي فيعلم ان وجوده واستعداده واحواله وكمالاته ومقاماته من فضل الله وفيضه الاقدس فيتجرد عن الكل

Digitized by Google

راجعا الى الله تعالى فقيرا ثم يتحقق اضطراره بان يعلم ان الوجود الحقيقي لله وان ما يجري عليه حكم سابقة الازل فلا فعل له ولا وجود ولا وصف فهو مضطر تحت تصرف وجود حضرة الجمع. وهذا هو فقر الصوفية الذي هو فقد الانانية في الفناء في احدية الذات . واما الغنى فهو اسم للملك التام وهو اما غنى القلب بالموثر الحقيقي عن جميع الوسائط ومسالمته لحكم الله او غنى النفس المطمئنة عن حظوظها وتعلقاتها باستقامتها على طلب الحق او الغني بغنى الحق بالفناء في ذاته والبقاء ببقائه وغنائه اذا تقرر ذلك فنقول الفقر الذي تكلموا في شرفه وتفضيله على الغنى هو فقر الزهاد المشار اليه اولا والاغنياء الذين فضلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين اختارهم الله في سابق علمه وخصهم من مواهب فضله بسائر مراتب الفقر والغنى فلم يكن فضلهم إلّا بها لا بسبب انفاقهم واعمالهم المشتركة كما ظنه الفقراء وتمنوا ان يسابقوهم او يساوونهم بها فنبههم اولا باحوالهم حتى تنقطع عنهم تلك الامنية فلما لم يتنبهوا اعلمهم بخصوصيات المواهب والعطاء بقوله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ليعلم انهم اصفياء الفقراء واخفياء الاغنياء في سرادقات العزة وحجب الاعتلاء كما اشار الى ذلك بعض الاولياء

مطلب الغنى

لله تحت قباب العز طائفة ... اخفاهم في رداء العز اجلالا
هم السلاطين في اطمار مسكنة ... استعبدوا من ملوك الارض اقبالا
غبر ملابسهم شم معاطسهم ... جروا على قلل الخضراء اذيالا

(✻ السادس والعشرون ✻)

(عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى) قال في الصحاح السلاميات عظام الاصابع وذكر عن ابي عبيد ان السلامى في الاصل عظم يكون في فرسن البعير واحده وجمعه سواء وقد جمع على سلاميات وقال في النهاية جمع سلامية وهي الانملة من انامل الاصابع او كل عظم مجوف من صغار العظم قال المصنف المراد المفاصل والاعضاء وهي ثلاثمائة وستون مفصلا ثبت في صحيح مسلم وهو مبتدا

موصوف بقوله (من الناس) ولفظة من للتبعيض وخبره قوله (عليه صدقة)
والعائد الضمير المجرور وحق العائد الى كل اذا اضيف الى نكرة ان يجيء على
وفق المضاف اليه وقد يجيء على وفق المضاف اي على كل احد بعدد كل مفصل
او عضو صدقة تليق به فان كتبه مكتوب واعانة على جولة من صدقته
اللائقة به شكر الله تعالى بان جعل في عظامه مفاصل يقدر على القبض والبسط
وبسلامته على الافات (كل يوم) منصوب ظرفا لقوله صدقة لانه بمعنى
التصدق او مرفوع على الاستئناف لانه لما قيل على كل سلامى صدقة توجه لسائل
ان يقول من يقدر عليه او باي شيء يتصدق فقال كل يوم وهو مبتدا موصوف
بقوله (تطلع فيه الشمس) للتاكيد لا للكشف كما قيل وقوله (تعدل) مع
خبره خبره والعائد من الاخبار محذوف اي تعدل فيه (بين اثنين) اي
تصلح بين الخصمين او تدفع ظلم الظالم وهو مبتدا على تاويل المصدر او
تقدير ان وارتفاع الفعل بعد حذفه وخبره قوله (صدقة) وقد ثبت بالايات
والاخبار ان الاصلاح بين الناس من افضل القربات واكمل العبادات قال
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة
قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وافساد ذات البين هي
المخالفة ويباح فيه الكذب كما عند الحرب وحديث الرجل امراته وغيرها
لان اسرار الحرب لو وقف عليها العدو واسرار الزوج لو اطلع عليها المراة نشا
عنه فساد اعظم منه وكذلك المتخاصمين يدوم بينهما العداوة فالصدق
يفضي الى محذور اشد (وتعين الرجل في دابته فيحمله) اي الرجل (عليها)
اي الدابة (او يرفع له عليها متاعه صدقة) فيه اشارة الى استحباب مراعاة
حقوق الاصدقاء المعروفين بل العوام المجهولين وهي الاعانة بالنفس في
الحاجات على سبيل المبادرة من غير التماس والايثار بالمال وكتمان السر
وستر العيب والسكوت عن تبليغ مذمة الناس وابلاغ ما يسره وترك المماراة
والذب عنه في غيبته والعفو عن زلته وغير ذلك مما يحب ان يعامل به
وقد ورد انه قال صلى الله عليه وسلم ترى المومنين في تراحمهم وتوادهم

مطلب حقوق الاصدقاء

Digitized by Google

وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر (والكلمة الطيبة صدقة) اي عطية يبتغى بها الثواب من الله لانها مما يفرح القلب ويدخل السرور في قلوب المومنين وهو من اعظم الاجور وقد ورد انه اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما رواه في العوارف مرفوعا . وقيل المراد كلمة التوحيد فانها تطيب بها القلوب علما ومعرفة ومشاهدة وهي افضل الذكر لانها اجمع للقلب مع الله وانفى للغير واشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من حديث النفس وطرد للشيطان وذلك لانه ينفي بها الالهة التي تدعي الربوبية من النفس والهوى والشهوة والشيطان ويثبت سلطـان الحق مع عسكره فاذا ظهر السلطان خرج القلب من بين الطبيعة الى فضاء قرب الحق فيرى ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . واعلم ان الذكر عبارة عن وجدان المذكور وحضوره بالقلب وله لب هو المقصود وقشور ثلاثة فالاعلى ذكر اللسان فقط ثم ذكر القلب تكلف بحيث يحتاج الى مراقبته حتى يحضر ثم ذكره طبعا بان يستمكن من القلب بحيث لا يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر والذاكر بان يفنى عن نفسه وذكره ولا يلتفت الى فنائه ايضا ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا فيه بالاستغراق به آخرا اذ لو التفت الى شيء من ذلك لكان معرضا عن الله غير منفك عن الشرك الخفي وهذه الحالة سماها العارفون الفناء لانه جاء الحق وزهق الباطل واولا تكون كالبرق الخاطف فان دامت عرج به الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى وانطبع فيه نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت واول ما يتمثل له جواهر الملائكة وارواح الانبياء والاولياء في صور جميلة يفيض اليه بواسطتها بعض الحقائق الى ان تعلو درجته عن المثال فيكافح بصريح الحق في كل الاحوال هذا زبدة ما ذكره حجة الاسلام في الاربعين (وبكل خطوة تمشيها) اي تمشي بها (الى الصلاة صدقة) فعلم ان اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم فابعدهم ممشى وان الترجل

اعرف حقيقة الذكر

والهيئة مستحب وكذلك في العيد والجنازة والعيادة فلا يركب الّا لعذر و يسير المركوب بالهنية وقد نزل قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم اي خطاهم الى المسجد في بني سلمة حين شكت بعد منازلهم وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دياركم تكتب آثاركم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الاثار التي تعفيها الرياح (وتميط الاذى) اي ازالة ما يوذي الناس كالحجر والشوك (عن الطريق صدقة) قال العارف العاشق اصل التوحيد كشوف سبعين بابا من غيوب صفات الحق كما اشير اليه في حديث الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها عين كشف عين الذات وادنى المقام منها افراد القدم عن الحدوث وهو اماطة قذى الكونين عن عين عيان القديم (رواه البخاري ومسلم) وفي رواية له ويجزي عن ذلك ركعتان يركعهما في الضحى لان الصلاة فعل جميع الاعضاء فاذا صلى فقد ادى حق كل عضو. وحاصل الحديث يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض الاكابر مجامع الخيرات وكمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وهذه مقدمة برهانية لان الموجود اما واجب وهو الحق او ممكن وهما يشتركان في صحة الوجود الخارجي ويفترقان في ان الواجب ذاته كافية في ايجاب الوجود له والممكن لا يكفي بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير ولا ريب ان الاول اقرب الى حقيقة الوجود من الثاني لان الموقوف على مقدمات اكثر اعسر وجودا والثاني واقع بالضرورة فالاول اولى ولذا قال بعض العرفاء لولا صمديته وظهوره في صورة الممكن الاجوف الذي ليس الّا نقشا خياليا لا معنى له لم يكن شيئا وحينئذ نقول كمال العبودية في الحق ان يصير العبد مكاشفا بان له الحكم والامر والوجود مع الخلق بان يحسن اليهم ويهديهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن وما احسن قول الشاعر *

اعرف حاصل حديث الباب

ان الفضائل كلها لو حصلت ... رجعت باجمعها الى شيئين

تعظيم امر الله جل جلاله ... والسعي في اصلاح ذات البين

Digitized by Google

(السابع والعشرون)

اعرف معنى حسن الخلق

(عن النواس بن سمعان) بكسر السين وفتحها الكلابي كان من اصحاب الصفة سكن الشام (رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال) حين ساله عن البر والاثم (البر حسن الخلق) اي اعظم خصاله قال الترمذي البر هنا الصلة والتصدق والطاعة ويجمعها حسن الخلق وقال الطيبي قد فسر البر في حديث آخر بالايمان وفي آخر بما يقربك الى الله وكلها متقاربة لكن مراعاة المطابقة تقتضي ان يفسر حسن الخلق بما في حديث وابصة وهو ما اطمانت اليه النفس واطمان اليه القلب ثم كلامه ولعله اخذه من المصنف حيث عقبه به وتلخيص الكلام في هذا المقام ان يقال البر اسم جامع لانواع الطاعات واعمال القربات ومنه بر الوالدين وهو استرضاوهما بكل ما امكن والتركيب يدل على الانساع ومنه البر خلاف البحر واعتبر في تحقيق ماهيته امور يفصح عنها الكلام المجيد وهي امور يعسر اجتماعها ولذا قيل ان البر من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي كمال البر اذ لا يستبعد ان يوجد في الامة من يوصف به وقد اشار اليهما من اوتي جوامع الكلم عليه الصلاة والسلام بقوله حسن الخلق لانه عبارة عن حسن العشرة والصحبة مع الخلق بان يعرف انهم اسراء الاقدار وان كل ما لهم من الخلق والخلق والرزق والاجل بمقدار فيخشى الله فيحسن اليهم بحسب الاقتدار فيامنون منه ويحبونه بالاختيار ومع الخالق بان يشتغل بجميع الفرائض والنوافل وياتي بانواع الفضائل عالما بان كل ما ياتي منه ناقص يحتاج الى العذر وكل ما صدر من الحق كامل يوجب الشكر ثم يتخلق باخلاق الله تعالى بدوام الاعراض عما سواه والاقبال عليه ودوام ذكره حتى ينجلي القلب بنور ذكر الذات وصار بحرا مواجا من نسمات القرب وجرى في جداول اخلاق النفس صفاء النعوت والصفات وحينئذ يحصل التحقيق (والاثم ما حاك) اي تردد وتحرك (في النفس) ولم تنشرح له لقبحه وحل في القلب منه الشك والخوف من كونه ذنبا والاثم الذنب الذي

يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه والهمزة فيه عوض عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه كذا في الكشاف والحيك اخذ القول في القلب يقال ما يحيك فيه الملامة اذا لم يؤثر فيه كذا في الصحاح (وكرهت ان يطلع عليه الناس) اي اعيانهم واماثلهم اذ الجنس ينصرف الى الكامل وذلك لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها فاذا كرهت الاطلاع على بعض افعالها في غير ما يتقرب به الى الله او غير ما اذن الشرع فيه علم انه لا خير فيه ولا بر فهو اذا اثم وشر قال بعض العارفين الاثم هواجس النفس وهو تحك الصدر بنعت التنغيص والاضطراب والضيق لانها ثقيلة على الارواح والبر لطف ممزوج بنور الذكر فتطمئن به القلوب وتنفتح منه الغيوب (رواه مسلم وعن وابصة ابن معبد) الاسدي اسلم سنة تسع كان كثير البكاء لا يملك دمعته نزل الكوفة ثم تحول الى الجزيرة ومات بالرقة (رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسال عن البر) وهذا من دلائل النبوة لانه اخبره عما في ضميره قبل ان يتكلم به (قلت نعم فقال استفت قلبك) اي اطلب الفتوى من قلبك لانه ابلغ في سلوك طريق الكمال وطلب الوصول بعين الوصال الى مقام القلب . وبيان ذلك ان سير الانسان الى الحق انما هو بالباطن وان كان مع استعانة بالظاهر لصعود الهيئات البدنية الى حيز النفس والقلب وهبوط الهيئات النفسانية والقلبية الى الظاهر للعلاقة بينهما ومراتب غيوب الباطن عشرة غيب القوى ويقال له غيب الحس . وغيب النفس وهي قبل التوجه الى الحق امارة بالسوء ثم تصير لوامة ثم مطمئنة . وغيب القلب . وغيب العقل والسر وهي مرتبة للعقل عند ترقيه الى مقام الروح في التجرد والصفاء . وغيب الروح وله مرتبة تسمى الخفا وهو عند ترقيه الى مقام الوحدة فهي لطيفة بين الروح والحضرة الالهية محل المشاهدات والمكاشفات وحقائق العلوم اللدنية . وغيب الغيوب الذي هو غيب الذات الاحدية واشتقاق الفتوى من الفتى لانها جواب في

اعرف القلب اعدل شاهد واصدق

Digitized by Google

حادثة او احداث حكم او تقوية مشكل كذا في المغرب يعني انه يلاحظ في الفتوى ما ينبئ عنه الفتى من القوة والحدوث (البر ما اطمانت اليه النفس واطمان اليه القلب) اي اذا التبس عليك شيء ولم تدر انه من اي القبيلين فلتتامل فيه ان كنت من اهل الاجتهاد واسال المجتهدين ان كنت من اهل التقليد فان وجدت ما تسكن اليه النفس واطمان به القلب فلتاخذ به والّا فدعه قاله القاضي ولعل عطف اطمئنان القلب على اطمئنان النفس للتاكيد فان النفس اذا ترددت في امر استتبع ذلك خفقانا في القلب للعلاقة بينهما فانه المتعلق الاول لها وربما سرى الى سائر القوى والاعضاء فيحس بها انحلال وانخزال فاذا زال ذلك عن النفس وحدث بها طمانينة انعكس الامر . والنفس لغة حقيقة الشيء واصطلاحا لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح بالبدن واتصالهما معا فاذا اقامت في ظلمتها لا يغشاها نور العلم والمعرفة مائلة الى الشهوة وسائر الاخلاق الرذيلة لالفها الى العالم الحسي سميت امارة واذا تنفس صبح الهداية وانزعجت من دواعي طبيعتها متطلعة الى مقار الطمانينة منجذبة مرة الى العالم العلوي واخرى الى السفلي سميت لوامة لانها تلوم نفسها لعلمها بمحل الطمانينة واذا طلعت شمس العناية صارت ملهمة واذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها وامتلا القلب من السكينة اليقينية وخلع على النفس خلع الطمانينة صارت مطمئنة محدثة محدثة مكلمة مكلمة مستعدة لجذبة ارجعي الى ربك راضية مرضية (والاثم ما حاك في النفس) اي اثر فيها ولم يستقر (وتردد في الصدر) ولم ينشرح له (وان افتاك الناس) اي ان قالوا لك انه حق فلا تاخذ بقولهم فانه قد يوقع في الغلط او في اكل الشبهة كان ترى من له مال حلال وحرام فلا تاخذ منه شيئا وان افتاك المفتي مخافة ان تاكل الحرام لان الفتوى غير التقوى وهي شرطية قطعت عن الجزاء وتتميما للكلام السابق وتقريرا له وقوله (وافتوك) تاكيد وفي هذا المعنى ينشد

اتخذ طاعة الاله سبيلا تجد الفوز بالجنان وتنجو

حقيقة النفس

واترك لاثــم والفواحش طرا يوتك الله مــــا تروم وترجو

(حديث حسن رويناه في مسندي لامامين احمد بن حنبل) الشيباني لامام المشهور ولد ببغداد سنة مائة واربع وستين ومات بها ضحوة الجمعة الثاني عشر من ربيع لاول سنة احدى واربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة (والدارمي) منسوب الى دارم بطن من بني تميم هو ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السمرقندي لامام الكبير الورع الرفيع مات سنة خمس وخمسين ومائتين (باسناد جيد) *

(* الثامن والعشرون *)

(عن ابى نجيح العرباض بن سارية) السلمي كان من اصحاب الصفة البكائين المشتاقين الى لقاء الله تعالى يقول في دعائه كبر سني ووهن عظمي فاقبضني اليك مات بالشام سنة خمس وسبعين مروياته احد وثلاثون حديثا روى له اصحاب السنن لاربعة (رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت) اي خافت والوجل خوف مع الحذر (منها القلوب وذرفت منها العيون) اي سالت بسببها الدموع من العيون لتاثير الموعظة في النفوس واستيلاء سلطان الخشية في القلوب فالاسناد عقلي او هو من باب لاستعارة المكنية كما اختاره السكاكي وفي المسالة خمسة مذاهب قـــال في الصحاح ذرف الدمع ذرفا وذرفانا اي سال والمذارف المدامع ومعنى الحديث ان تلك الموعظة اثرت فيهم واخذت منهم بمجامعهم ظاهرا وباطنا (فقلنا يا رسول الله كانها) اي تلك الموعظة (موعظة مودع) اي شخص يودع اهله واحبابه فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا احصاها فيه (فاوصنا) اي ارشدنا بما فيه صلاح الدارين وفلاح النزلتين ففيه ان للابرار لاكثار من خصال الخير سيما في آخر العمر وانه يجوز لاستدلال بالاقوال على لاحوال وانه يستحب لاسترشاد من اكابر الذين وانتهاز فرصة لاستفاضة من عظماء اليقين (قـال اوصيكم بتقوى الله) هذا من جوامع الكلم لان التقوى امتثـال المامورات واجتناب المنهيات وهي زاد

لاخرة

Digitized by Google

الآخرة تنجيك من العذاب الابدي وتبلغك الى دار السرور السرمدي وتوجب الوصول الى عتبة الجلال والقدس والنور المحمدي كما قيل *

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا

وهذا فيما بينهم وبين الله تعالى (والسمع والطاعة) فيما بينهم وبين من يلي امرهم اي اوصيكم بقبول قول الامير وطاعته ما امر بالمباح عادلا كان او جائرا والّا فلا سمع ولا طاعة لكن لا تجوز محاربته (وان تامر) اي صار (عليكم) اميرا (عبد) اي ادنى الخلق فلا تستنكفوا عن طاعته لئلا يودي الى تهييج الفتن وظهور الفساد وهذا وارد على سبيل المبالغة في الامر بطاعته والنهي عن مخالفته والغرض ان الايمة من قريش او ان استعمله الامام الاعظم (وانه) اي الشان (من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا) يعني تظهر الفتن وتختلف الاراء فمن قبل وصيتي والتزم تقوى الله وقبل طاعة الوالي امن بعدتي مما يرى من وقوع الفتن التي وقعت بين الصحابة والتابعين كما هو المشهور وفي رواية المصابيح والمشكاة فانه بالفاء وهي للسببية ثم اكد تلك الوصية بقوله (فعليكم) اسم فعل بمعنى الزموا (بسنتي) هي ما وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من احكام الدين واجبا او مندوبا (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) الذين هداهم الى طريق الصدق والصواب وارشدهم الى اتباع منهاج اولي الالباب ووصف الراشد بالمهدي لانه اذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصلح ان يكون هاديا لغيره لانه يوقع الخلق في الضلال من حيث لا يشعر وهم الصديق والفاروق وذو النورين وابو تراب علي المرتضى رضي الله تعالى عنهم كانوا افضل الصحابة وواظبوا على استمطار الرحمة من السحابة وخصهم الله بالمراتب العلية والمناقب السنية ووطنوا انفسهم على مشاق الاسفار ومجاهدة القتال مع الكفار انعم الله عليهم بمنصب الخلافة العظمى والتصدي والرئاسة الكبرى لاشاعة احكام الدين واعلاء اعلام الشرع المتين رفعا لدرجاتهم

اعرف ان الخلفاء الاربعة هم افضل الصحابة

وازديادا لمثوباتهم فخلف الصديق باجماع الصحابة سنتين وثلاثة اشهر وعشرة ايام لحلمه ووقاره وسلامة نفسه ولين جانبه والناس متحيرون والامر غير ثابت فحمى بيضة الدين ودفع غوائل المرتدين وجمع القرآن وفتح البلدان ثم استخلف الفاروق لان الامر مستقر والقوم مطيع والفتن ساكنة فرفع رايات الاسلام في مشارق الارض ومغاربها وفتح اكثر الاقاليم لانه كان في غاية الصلابة وكمال الشهامة ومتانة الراي وحسن التدبير وخلافته عشر سنين وستة اشهر وعشر ليال ثم بويع لعثمان لشوكة اقاربه وبسط ايدي بني امية في حكومة الاطراف زمن عمر فلو نصب غيره لوقع الخلاف فاظهر في مدة اثنتي عشرة سنة مساعي جميلة في الاسلام وجمع الناس على مصحف واحد بعد ما كانوا يقرءون بقراآت مختلفة على حسب السماع وبعث به الى الافاق ولذا نسب المصحف اليه وجعل اماما ثم بويع بعده لعلي المرتضى لانه افضل الصحابة بعدهم وسيد بني هاشم ما خلا رسول صلى الله عليه وسلم فلو لم تقع الخلافة على الترتيب المذكور لحرم واحد من ذلك المنصب المشكور ولا يخفى ان هذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على صدق نبوته لانه استبد بذكر هذا الغيب وقال الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا ووقع كما قال قال التوربشتي وانما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم انهم لا يخطئون فيما يستخرجون من سنته او ان بعضها لا يشتهر الّا في زمانهم وليس المراد انتفاء الخلافة عن غيرهم حتى ينافي قوله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي اثنا عشر خليفة بل المراد تصويب رايهم وتفخيم امرهم وقيل الخلفاء يشملهم ومن سار سيرهم واقتفى آثارهم في استخراج الاحكام واذاعة الحق بين الانام (عضوا عليها) اي على تلك السنة يقال عض فلان اذا اخذ شيئا بالعض (بالنواجذ) جمع ناجذة بالذال المعجمة وهي الانياب او الاضراس او الضواحك وهو كناية عن شدة التمسك بها او استعارة تمثيلية شبه حال المتمسك بالسنة المحمدية بجميع ما يمكن من الاسباب المعينة عليه

بحال

بحال من تمسك بشيء برمته ثم يستعين عليه باسنانه استظهارا للمحافظة في ذلك لان تحصيل السعادات الحقيقية بعد مجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب كما اشار اليه بقوله ومحدثات الامور منوطة باتباع السنة بان يتمثل الامر على مشاهدة الاخلاص ويعظم النهي على مشاهدة الخوف بل باقتفاء آثار الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع موارده ومصادره وحركاته وسكناته يقظته ومنامه حتى تلجم النفس بلجام الشريعة ويتجلى في القلب حقائق الحقيقة بتصقيله من مقابيح الاخلاق وتنويره بانوار الذكر والمعرفة والوفاق وتعديله باجراء جميع حركات الجوارح على قانون العدل حتى تحدث فيه هيئة عادلة مستوية من آثار الفضل مستعد لقبول المعارف والحقائق وتصلح لان ينفخ فيها روح الله المخصوصة لسلاك احسن الطرائق (واياكم) عطف على قوله فعليكم للتقرير والتوكيد (ومحدثات الامور) اي اتقوها واحذروا احداثها (فان كل بدعة ضلالة) البدعة كل عمل على غير مثال سابق وفي الشرع احداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في شرح مسلم هذا عام مخصوص لان البدع على خمسة انواع واجبة كعلم النحو واصول الفقه والكلام . ومحرمة كمذاهب المرجئة والمجسمة . ومندوبة كاحداث المدارس والكلام في دقائق التصوف . ومكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف . ومباحة كالمصافحة عقيب الصبح والعصر تم كلامه ولو اجري الحديث على عمومه لم يبعد اذ المعنى كل ما لا يرجع الى اصل ولا يساعده دليل شرعي فهو ضلالة ولتلك الاحكام اصول ومآخذ في الشرع ويويد ذلك ما قاله الخطابي في شرح السنة من ان المحدث ما احدث على غير قياس اصل من اصول الدين فاما اذا كان مردودا اليه فليس بضلالة

اعرف تقسيم البدعة

واعلم ان اصول البدع كما نقل في المواقف ثمانية المعتزلة القائلون بان العباد خالقوا اعمالهم وبنفي الروية وبوجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة . والشيعة المفرطون في محبة علي وهم اثنان وعشرون فرقة .

Digitized by Google

والخوارج المفرطة في بغض الكفرة له ومن اذنب ذنبا كبيرا وهم عشرون فرقة . والمرجئة القائلة بانه لا يضر مع الايمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق . والنجارية الموافقة لاهل السنة في نفي خلق الافعال وللمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق . والجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة . والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية والحلول فرقة ايضا فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم اهل السنة البيضا المحمدية . والطريقة النقية الاحمدية . ولها ظاهر سمي بالشريعة شرعت للعامة . وباطن وسم بالطريقة منهاجا للخاصة . وخلاصة خصت باسم الحقيقة معراجا لاخص الخاصة فالاول نصيب الابدان من الخدمة والثاني نصيب القلوب من العلم والمعرفة والحكمة والثالث نصيب الارواح من المشاهدة والروية قال القشيري الشريعة امر بالتزام العبودية . والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مويدة بالحقيقة غير مقبولة وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصولة فالشريعة قيام بما امر والحقيقة شهود لما قضى وقدر واخفى واظهر والشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بامره والحقيقة شريعة من حيث ان العارف به سبحانه وجبت بامره ولله در من قال

الا فاكرموا سنة الانبيـــا الا فاحفظوا سيرة الاصفيـــا

ومن يبتدع بدعة لم يكرم بوجدان مرتبة الاتقيـــا

(رواه ابو داود) هو الامام سليمان ابن الاشعث السجستاني كان من فرسان الحديث قيل أُلِينَ لابي داوود الحديث كما الين لداوود الحديد ولد سنة اثنين ومائتين وتوفي بالبصرة لاربع عشرة خلت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين (والترمذي وقال حديث حسن صحيح)

﴿ * التاسع والعشرون * ﴾

(عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال) بينما نحن نخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقد اصابنا الحر فتفرق القوم فاذا

رسول

Digitized by Google

رسول الله صلى الله عليه وسلم اقربهم مني فدنوت منه (قلت يا رسول الله اخبرني بعمل) التنوين للتعظيم او التنويع اي عمل عظيم او معتبر في الشرع فلا يرد ما ذكره المظهر من انه اذا جعل يدخلني جواب الامر يبقى بعمل نكرة غير موصوفة وهي لا تفيد (يدخلني الجنة) مرفوع على انه صفة عمل اما مخصصة او مادحة او كاشفة فان العمل اذا لم يكن بهذه الحيثية كانه لا عمل او مجزوم جوابا للامر اي اخبرني بعمل ان تخبرني يدخلني الجنة بمعنى ان الخبر وسيلة الى العمل والعمل الى الادخال فتامل واسناد الادخال الى العمل اسناد الى السبب او شبه العمل لكونه سببا للمطلوب بالفاعل الحقيقي وجعل نسبة الادخال تخييلا للمكنية (ويباعدني عن النار) اخرج على صيغة المفاعلة مبالغة في البعد والنار جوهر مضي لطيف حار محرق من نار ينور اي تفرق لان فيها حركة وفي كلام اهل التحقيق ان الجنة جنة الوصول الى معرفة ذات الله وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح السالك كالمرآة المحاذية لعالم القدس واشجارها الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة وثمراتها المكاشفات والمشاهدات والاشارات وغيرها من المواهب ومن رضي بالجنة الحسية فهو ابله ومن اعرض عن الحق وانتقل من روح المحبة والقرب الى سياسة القهر والبعد وانحط عن الجهة العلوية وعالم النور يعذب بنار روحانية نشات من استيلاء صفة القهر الالهي فتكون اشد وادوم ايلاما من النار الجسمانية لان حرارتها تابعة لنار روحانية ملكوتية هي شرر من نار غضب الله بعد تنزلها في مراتب كثيرة كتنزلها في مرتبة النفس بصورة الغضب وهي غير متناهية وهذا معنى ما يقال ان نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم انزلت الى الدنيا ليمكن الانتفاع بها ولما كان هذا اي قوله اخبرني بعمل من المسائل السنية مهد للجواب مقدمة ونبه على فخامة المسئول عنه بان اكدها تاكيدا بليغا (قال لقد سالت عن عظيم) اي شيء عظيم متعسر الجواب

Digitized by Google

لان الدخول والتباعد امر عظيم فسببه الذي هو اجتناب كل محظور
وامتثال كل مامور كذلك او لان معرفة العمل المدخل من علم الغيب
ولا يظهر على غيبه احدا الّا من ارتضى من رسول والاولى ان يقال عن
عمل عظيم ليطابق السابق واللاحق والعظيم ضد الحقير كالكبير نقيض الصغير
وكما ان الحقير دون الصغير فكذلك العظيم فوق الكبير ويستعملان في الصور
والمعاني تقول رجل عظيم وكبير اي جثته او قدره (وانه ليسير على من
يسره الله عليه) بالتوفيق على اتيان الاوامر وانتهاء المناهي واكده بان لما فيه
من شائبة الانكار لتهاونه في السوال (تعبد الله) حذف المسند اليه
اي هو ان تعبد الله وحده تعويلا على اقوى الدليلين وعدل عن صيغة
الامر تنبيها على ان المامور كانه متسارع الى الامتثال وهو يخبر عنه اظهارا
للرغبة في وقوعه وفصله عن الجملة الاولى لكونه بيانا او استينافا وفيه
براعة الاستهلال لدلالته على مضمون الكلام اجمالا كما ان قوله كف
عليك يدل على حسن المقطع والعبادة اقصى غاية الخضوع والمراد به
التوحيد لقوله (لا تشرك به شيئا) او الاعم منه ليعم امتثال كل مامور
واجتناب كل منهي والضمير في به اما ان يعود الى الله او الى العبادة
والثاني اولى لانه اذا لم يشرك في العبادة فلان لا يشرك بالله اولى والتنوين
في شيئا للافراد شخصا كما انه في قوله عظيم للتعظيم وفي يسير للتقليل
والعبادة فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر على نية يراد بها
التقرب الى الله تعالى طاعة للشريعة قاله الراغب وهي الغاية القصوى من
ابداع الخلق وارسال الرسل وكل ما ازداد العبد معرفة ازداد عبودية ولذا
خص الانبياء واولوا العلم بخصائص ولا ينفك العبد عنها ما دام حيا بل في
البرزخ عليه عبودية اخرى لما يساله الملكان عن ربه ونبيه وفي القيامة
يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود واذا دخل الجنة كانت
عبادته سبحانك اللهم مقرونا بانفاسه وفي كلام الصوفية ان العبادة حفظ
الحدود والوفاء بالعهود وقطع العلائق والشركاء عن شرك والغنى عن مشاهدتك

في

في مشاهدة الحق ولها ثلاث مراتب لانه اما ان يعبده رهبة من العقاب ورغبة في الثواب وهو المسمى بالعبادة وهذا لمن له علم اليقين او يعبده تشرفا بعبادته وقبول تكاليفه وتسمى بالعبودية وهذا لمن له عين اليقين او يعبده لكونه الاها وكونه عبدا والالهية توجب العبودية والهيبة وتسمى بالعبودية وهذا لمن له حق اليقين والشرك روية ضر او نفع عمن سواه واثبات وجود غير الله ذاتا او صفة او فعلا (وتقيم الصلاة) من باب عطف الخاص على العام تنبيها على اناطته ان عمم العبادة (وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت) فعلم ان دخول الجنة يتوقف على تلك الاعمال وهذا الحكم ليس مخصوصا بمعاذ بل يعم كل مومن اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فان قلت اذا بلغ الرجل عارفا بالله وقبل ان تجب عليه الاعمال مات فهو من اهل الجنة وفاقا مع خلوه من الاعمال فكيف يتوقف دخول الجنة عليها قلت الحديث دل على ان كل من صام وصلى فله الجنة فلا يلزم العكس الكلي اذ الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها مع انه علم من دليل آخر (ثم قال) لما فرغ من جوابه وكان كلاما في شان الدين استطرد امر النوافل تكميلا للفرائض (الا ادلك) وهي مركبة من همزة دخلت على منفي ليفيد التحقيق اي لا ينبغي لي ان لا ادل مع اني المرشد المكمل ادلك ذكر الدلالة ليلائم الباب كما ان الاخبار موافق للمغيبات (على ابواب الخير) اي الطريق الموصلة به شبه الخير بدار له فيها كل ما تتمناه النفس وهو استعارة مكنية واثبت له الباب تخييلا واللام فيه للجنس لان الصوم والصدقة والتهجد شديد على النفس فمن اعتادها يسهل عليه كل خير لان المشقة في دخول الدار يكون بفتحها او للعهد بقرينة السياق اي ابواب الفرائض وانما سميت النوافل ابوابا لها لانها مقدمات ومكملات لها فمن فاتته حرم الفرائض ومن ترك الادب عوقب بحرمان النوافل ومن عوقب به عوقب بحرمان السنن ومن عوقب به عوقب بحرمان الفرائض ومن عوقب به يوشك ان يعاقب بحرمان المعرفة وانما لم يتوقف

Digitized by Google

صلى الله عليه وسلم حتى يقول معاذ بلى كما في السوالين بل سرد الكلام
تنبيها على انه لا ينبغي ان ينتظر تصديقه اهتماما واعتناء بمضمونه
الصوم اي صوم النفل فاللام بدل عن المضاف اليه كذا قيل وفيه بحث
ولعل قائله كوفي قال في الكشاف في قوله تعالى فان الجحيم هي الماوى
اي ماواه ان اللام ليس بدلا عن الاضافة بل للتعريف العهدي لانه لما
علم ان الطاغي صاحب الماوى تركت الاضافة فكذا هاهنا لانه لما ذكر
الفرائض اولا علم ان المذكور بعدها هو النوافل فاللام للعهد الخارجي ولا
يجب فيه تقدم المعهود كما ظن بل قد يستغنى عنه لعلم المخاطب بالقرائن
كقولك لمن دخل البيت اغلق الباب وكم مثلها (جنة) اي وقاية من
سورة الشهوة في الدنيا والنار في العقبى كالجنة ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس
عند المحققين واختار بعض الافاضل ان مثله استعارة فمن كان الصوم
جنته يسد طرق الشياطين في قلبه فيكشف بعد ازالة ظلمتهم ويرى
بنور الغيب خزائن لطائف حكم الصفات فيستتر بانوارها عن جميع
المخافات والافات (والصدقة تطفئ الخطيئة) اي تمحوها وتذهب
اثارها اذا كانت متعلقة بحق الله تعالى وان كانت من حقوق العباد
فيدفع تلك الحسنة الى خصمه عوضا عن مظلمته فقوله تطفئ استعارة تبعية
شبه اذهاب الصدقة بالاطفاء واستعير له ثم اشتق منه الفعل او يقال
شبه الخطيئة بالنار واثبت له ما يلازمها من الاطفاء تخييلا واورد المسند
في الاولى اسما ليدل على الدوام وفي الثانية مستقبلا ليفيد مع الاستمرار
التقوي (كما يطفئ الماء النار) لتنافي آثارهما بايجاد الله اذ الاشياء لا تعمل
بطبعها فلا الماء يروي ولا الخبز يشبع ولا النار تحرق (وصلاة الرجل في
جوف الليل) اي وسطه او آخره كذلك اي تطفئ الخطيئة او هي من
من ابواب الخير والاول اظهر قاله القاضي والاظهر ان يقدر الخير شعار
الصالحين كما في جامع الاصول و يفيد فائدة زائدة على القرينتين وهي
انهما كما افادتا المباعدة عن النار تفيد هذه الادخال في الجنة ويتم

الاستشهاد

Digitized by Google

الاستشهاد بالاية لان قرة العين هو الفوز والسرور ولا يحصل هذا الا بدخول الجنة والخروج عن النار ذكره الطيبي ولك ان تقول قدم الصلاة على الزكاة والصوم وعكس ثانيا لان الاول مسوق لبيان امر الدين فقدم الاهم فالاهم والثاني لتكميله فالترقي فيه اولى ولذا شبه الصوم بالجنة التي هي دون الماء لانها تدفع العدو والماء يقمعه ويطفئه اذا تقرر هذا فالاولى ان يقال حذف الخبر منه اشعارا بانه لا يكتنه كنهه ولا يمكن التعبير عنه. اي صلاة الرجل في جوف الليل لا تعلم نفس ما اخفي لها ولهذا استشهد بالاية وذكر الرجل للتغليب واثبات الجوف له مجاز ولفظة من ابتدائية اي ابتداء قيامه من جوف الليل ليكون من القائمين لان من قام فيه قام في سائر الاوقات (ثم تلا تتجافى) تتنحى (جنوبهم حتى بلغ يعملون) يعني قوله من المضاجع اي مواضع النوم وهو كناية عن التهجد يدعون يعبدون ربهم خوفا من سخطه وطمعا في رحمته ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس لا ملك ولا نبي ما اخفي لهم من قرة اعين مما تقربه عيونهم سرورا من الثواب وانما جعل هذه الاشياء ابواب الخير لان من اعتادها لشدتها على النفس يسهل عليه كل خير ولان الاعمال اما بدنية او مالية فالصدقة مالية والصوم وصلاة الليل بدني نهاري وليلي (ثم قال الا اخبرك براس الامر) اي باصل الدين (وعموده وذروة) بكسر الذال وضمها اعلى الشيء الجمع الذرى (سنامه) بفتح السين ما ارتفع من ظهر الجمل (قلت بلى يا رسول الله قال راس الامر الاسلام) وهي الشهادتان لانه المفتاح ولا بقاء للاعمال دونه وهو من باب التشبيه المقلوب اذ المقصود تشبيه الاسلام براس الامر ليشعر بانه من سائر الاعمال بمنزلة الراس من الجسد في احتياجه اليه وعدم بقائه دونه (وعموده) اي ما يقوم به الدين ويرتفع به اساسه كعمود الخيمة (الصلاة) لانها الفارقة بين الكافر والمومن (وذروة سنامه الجهاد) لانه الذب عن الدين ودفع غوائل المشركين ويرفع ويخفض فيكون من اعلى شعبه وهذه استعارات متعاقبة

Digitized by Google

مبحث الجهاد

شبه الدين بالبازل واستوفى له معظم اركانه من الراس والظهر وذروة سنامه . او يقال شبه الاسلام بالراس للاحتياج اليه وعدم البقاء دونه والصلاة بعمود الخيمة ليعلم ان بها قوامه . والجهاد بالذروة ليعلم ان رفعته به والجهاد من الجهد بالفتح وهو المشقة او بالضم وهو الطاقة لانه يبذل الطاقة في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك ويضم جهده الى جهد اخيه في نصرة دين الله كالمساعدة وهي ضم ساعده الى ساعد اخيه لتحصيل القوة وله انواع من جهاد الاعداء ليكون الدين كله لله وجهاد النفس بحملها على اتباع الاحكام وترك الحظوظ واداء الحقوق وتكليف الخصلة المذمومة المفرطة خلاف مقتضاها والعمل بنقيض موجبها حتى اعتدلت وتناسقت قوة العلم والغضب والشهوة والعدل وهو اشد من الاول ولذا قال صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر لان النفس كالملك في داخل الانسان وعسكره الروح الحيوانية والطبيعة والهوى والشهوة وهي في نفسها عمياء لا تبصر المهالك ولا تميز الخير من الشر الى ان ينور الله بلطف حكمته بصيرتها فتبصر الاعداء والمعارف وتجد البنيان الانساني مملوءا من خنازير الحرص واكالب الكلب ونمر الغضب وحرارة الفيح والشهوة الحمارية وحية الشيطان ونيران الحسد فكنيستها من الرذائل وزينتها بشعب الايمان وسائر الفضائل واما جهاد القلب فبتصفيته وقطع تعلقه عن الاغيار وجهاد الروح بافناء الوجود في وجود الواحد القهار ولما اتم جوامع الارشاد ومهد قواعد الاعتقاد جاء بفذلكة في ضمن كلام جامع له (ثم قال الا اخبرك بملاك) بكسر الميم هو ما به احكام الشيء وقوامه الذي يملك به (ذلك) المذكور واكد بقوله (كله) لئلا يظن خلاف الشمول اي بما تقوم به تلك العبادات (قلت بلى يا رسول الله فاخذ) النبي صلى الله عليه وسلم (بلسانه) لصعوبة امره وكثرة مفاسده والباء لتضمين معنى التعليق (وقال كف عليك هذا) اي احبس عليك لسانك فيما عليك اولى لك فان آفته عظيمة ولا نجاة منها الا بالصمت وصيغة

الامر

Digitized by Google

الامر للتحريم او للتنزيه وتقديم المجرور على المنصوب للاهتمام به وتعديته بعلى للتضمين او بمعنى عن وايراد اسم الاشارة لمزيد التعيين او للتحقير (قلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك) ظاهره الدعاء بالموت عليه وليس هو بمراد بل هذا مما جرت به عادة العرب للتحريض على التيقظ او لاستعظام شيء بحسب مقتضى المقام (وهل يكب الناس) اي يلقيهم (في النار) وهو عطف على مقدر اي هل تظن غير ما قلت وهل يكب الناس في النار (على وجوههم او قال على مناخرهم) جمع المنخر ثقبة الانف والمراد الانف ولفظة او ترديد من الراوي (الّا حصائد) جمع حصيدة وهي ما يحصد من الزرع (السنتهم) شبه ما يتلفظ به الانسان بالزرع المحصود بالمنجل وكما انه يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس والجيد والردي فكذلك لسان بعض الناس فيكون استعارة مصرحة والجامع خلط النفيس مع الردي من غير تمييز والاستثناء مفرغ لان في الاستفهام معنى النفي اي ما يكب الناس في النار شيء من الاشياء الّا ما تتلفظ به السنتهم اي من الكلام القبيح شرعا فهو عام مخصوص والتركيب من باب قصر المفعول على الفاعل افرادا والقصر ادعاءي للمبالغة اذ العمل القبيح كذلك فالمراد اكثر ما يكب الناس واسناد الكب الى الحصائد وهو لله مجاز عقلي او استعارة مكنية ولعمرك ان هذه الخاتمة فاتحة للسعادة الكبرى فائحة منها نسائم الكرامة العظمى لانه اذا نظر الى الشريعة فكف اللسان نعم العون على حفظها وفي الحديث المرفوع ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لهـا بالا يرفع الله بها درجاته وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب متفق عليه وفي شعب الايمان مرفوعا مقام الرجل بالصمت افضل من عبادة ستين سنة واذا نظر الى الطريقة فهو الركن المشار اليه والقطب المدار عليه لانه اذا سكت اللسان نطق القلب ويحصل له المسامرة مع الرب ويمطر عليه سحائب

اعرف حصائد اللسان

Digitized by Google

الرحمة بقطرات النور ويمتلي من الحبور والحبور واذا نظر الى الحقيقة فهو انتهاء مراتب السالكين وقصارى مقامات العارفين ولذا قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من عرف الله كل لسانه اي عن ذكر غير الله وهو في مقام المراقبة وكل لسانه عن الدعوى وهو في مقام الهيبة وكل لسانه عن نشر حاله وبيان مقامه وهو في مقام صولة المحبة وعن وصف الله وثنائه وهو مقام الحيرة في المعرفة كما قال صلى الله عليه وسلم في اقصى الدنو لما راى الحق بالحق وفنى عن الصفات في الذات ووجد معنى من معاني البقاء لا احصي ثناء عليك لان ثناءه يصدر عن الحدوثية وثناء الخليقة لا يليق الا بهم ثم قطع لسان الثناء بمقراض التنزيه عجزا في جلال الابد واضاف ثناءه تعالى عليه لانه لا يعرف الله الا هو فقال انت كما اثنيت على نفسك وفي معنى الحديث انشد الشافعي رضي الله عنه

احفظ لسانك ايها الانسان ... لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

(رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)

﴿ * الحديث الثلاثون * ﴾

(عن ابي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه) خشن بطن من قضاعة كان ممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة مات سنة خمس وسبعين ومرويانه اربعون حديثا (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض) اي اوجب احكاما مقدرة مقطوعة كالايمان والاسلام والصلاة والزكاة (فلا تضيعوها) بتركها وعدم المحافظة على شروطها واداتها والفرائض جمع الفريضة بمعنى المفروضة والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية والفرض بمعنى القطع والتقدير يقال فرضت له من المال شيئا اذا قطعت له ولا نصباء المواريث فرائض لانها مقدرة لاصحابها وبمعنى العطاء يقال ما طلبت منه قرضا ولا فرضا والقسمة يقال فرض لفلان في

مبحث الفرائض

Digitized by Google

الديوان اثبت رزقه فيه قاله في الاساس وقال في الصحاح الفرض ما اوجبه الله سمي بذلك لان له معالم وحدودا واصطلاحا هو ما يمدح فاعله شرعا ويذم تاركه قصدا مطلقا ويرادفه الواجب هذا عند الشافعي وعند ابي حنيفة ما ثبت بدليل قطعي والواجب بدليل ظني وعند العارفين هي المعرفة الالهية التي هي مقصود الخلق كما اشار اليه الحق بقوله وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون اي ليعرفون ولا تحصل المعرفة غالبا إلّا بالمجاهدة وهي تزكية النفس عن ظلمة اخلاقها وتخليتها عن اوصاف الرذائل وتحليتها بانوار الفضائل كالتوبة والتقوى والزهد والاستقامة وسائر الاخلاق الحميدة والارتقاء من حال الى حال والتصاعد من مقام الى آخر حتى تتجلي شمس صفات الجلال وتظهر طوالع انوار الجمال ويستوي سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة ويطوي بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقي الارض ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء وتلاشا العبد في كعبة العندية ونودي بفناء الفناء من معالم البقاء رفعت القبلة وما بقي إلّا الله فاينما تولوا فثم وجه الله وهذا حال السالك المجذوب او المجذوب السالك ومعنى الجذبة انه يناجي المجذوب من امر الملكوت ما يدهش عقله ويأخذه عن نفسه (وحد) اي فصل وبين (حدودا) الحد لغة المنع والتبيين والحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط احدهما بالاخر ومنه حد الماهية لما يبين المحدود ويمنع دخول غيره فيه وحد الزنا لكونه مانعا لمتعاطيه عن معاودة مثله ولغيره ان يسلك مسلكه وحد الدار لما يتميز به عن غيره وحد الشي منتهاه هذا خلاصة ما في الصحاح والنهاية قال في الكشاف حدود الله احكامه او اوامره ونواهيه وقال في النهاية هي محارمه التي قرنها بالذنوب لانها تفصل بين الحلال والحرام فمنه ما لا يقرب منه كالفواحش قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها ومنه ما لا يتعدى كالمواريث المعينة وتزويج الاربع قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها والتلخيص ان حدود الله ما منع من مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة ومنه

مبحث الحدود

تعيين الركعات والاوقات وما وجب اخراجها في الزكاة واثباتها في الحج وحدود العقوبات وغير ذلك ولما كان العامل بها متصرفا في حيز الحق فاذا تعداه وقع في حيز الباطل فالمنهي هو التعدي ولذا قال (فلا تعتدوها) اي فلا تتجاوزوا عنها بتركها الّا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يقع فيه وسياق الحديث يقتضي تخصيصها بحد الزنا والشرب والسرقة وغير ذلك فينبغي ان لا تهمل لئلا تضيع حقوق الشرع قال في النهاية العداء بالفتح والمد الظلم ومجاوزة الحد ومنه المتعدي هذا وفي كلام بعض الصوفية ان العبد ينقلب في جميع الاوقات على الحدود لكل عمل حد ولكل وقت حد ولكل حال ومقام حد فمن تخطاها فقد ضل سواء السبيل (وحرم اشياء) كالميتة والدم (فلا تنتهكوها) اي لا تتناولوها ولا تقربوا منها قال في الصحاح انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل وهي عند الطائفة متابعة الشيطان والهوى والاقبال على الدنيا والاعراض عن العقبى اذ يجب ان ينقطع المحب عن كل مطلوب وينقطع عما سوى المحبوب ولذا قال من بالحق محجوب *

بحق الهوى يا اهل ودي تفقهوا   لسان وجودي في الوجود عجيب
حرام على قلب تعرض للهوى   يكون لغير الله فيه نصيب

(وسكت عن اشياء) اي لم يحكم فيها بوجوب او حل او حرمة (رحمة لكم) مفعول له (غير نسيان) هو ترك الفعل بلا قصد بعد حصول العلم بخلاف السهو (فلا تبحثوا عنها) ولا تسالوا عن حالها لان السوال عما سكت الله عنه يفضي الى التكاليف الشاقة بل يحكم بالبراءة الاصلية والحل في المنافع والحرمة في المضار والبحث لغة التفتيش واعلم ان الله تعالى تجلى لعامة عباده بافعاله وآياته المنبثة في ارضه وسمائه . ولخواص اصفيائه بصفاته العظمى . ولاعظم انبيائه بذاته وحقائق صفاته وخصه بذلك دون غيره من عرفائه رحمة لهم غير نسيان اذ ما قام عظيم عند عظمته الّا كل وذل ولا استقام كبير دون كبريائه الّا هام وخام كما قال جل جلاله

لا

لا يراني حي إلّا مات ولا يابس إلّا تدهده ولا رطب إلّا تفرق وانما يراني اهل الجنة في الجنة الذين لا تموت اعينهم ولا تبلى اجسادهم فلذا قال فلا تبحثوا عنها اي لا تتفكروا فيها فان الباب الى وصول معرفة كنه الذات مردود والطريق الى تقدير كمية الصفات مسدود تفكروا في آيات الله ولا تتفكروا في ذات الله ولذا قال بعضهم العجز عن درك الادراك ادراك والبحث عن سر ذات الرب اشراك (حديث حسن رواه الدارقطني وغيره)

(* الحادي والثلاثون *)

(عن ابي العباس سهل بن سعد الساعدي) الانصاري كان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا وهو آخر صحابي مات بالمدينة سنة احدى وتسعين وهو ابن مائة سنة (رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته احبني الله) بارادة الرحمة والثواب (واحبني الناس) بارادة النفع والجملة الشرطية صفة عمل (فقال ازهد في الدنيا) اعرض عنها ولا تبال باقبالها وادبارها ولا تتصرف فيها إلّا بما يعينك على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وقد ارشد الامام الشافعي رحمه الله تعالى حيث قال

مبحث الزهد في الدنيا

ايا نفس يكفيك طول الحياة ... اذا ما قنعت ورب الفلق
رغيف بفوذنج يابس ... وماء زوي ولبس خلق
وحفش يكنك جدرانه ... فما ذا العناء وما ذا القلق

والدنيا عبارة عن اعيان موجودة وهي الارض وما عليها لان المواليد الثلاثة للانسان فيها حظ ولذة مالية اوجاهية وله في صلاحها شغل لحظه او لحظ غيره فتندرج فيه الصناعات والزهد عبارة عن غروب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الاخرة خوفا من النار او طمعا في الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك إلّا بعد انشراح الصدر بنور اليقين ولا يتصور ذلك ممن ليس له مال ولاجاه وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد الطريق وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن

Digitized by Google

يصونه عن الحر والبرد واثاث يحتاج اليه ذكره حجة الاسلام وفي المنازل ما حاصله ان الزهد اسقاط الرغبة في الشيء عنه بالكلية وهو على ثلاث مراتب الزهد في الشبهة بالحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد على البلاغ من القوت باغتنام التفرغ الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد في الزهد باستحقار ما زهدت فيه بالنسبة الى عظمة الرب واستواء الزهد وعدمه عنده والذهاب عن اكتساب اجر بتركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق فيشاهد تصرف الله في العطاء والمنع والاخذ والترك (يحبك الله) مجزوم على انه جواب الامر او مرفوع على الاستئناف وفيه اشارة الى انه من المقامات العلية لانه جعل سببا لمحبته تعالى وان محبة الدنيا سبب لبغضه والورع اعلى منه لانه يطهر القلب عن دنس التعلق بالحرام في الشريعة او الطريقة او الحقيقة (وازهد فيما في ايدى الناس) من الجاه والمال (يحبك الناس) لارتفاع مواد الشحناء وفي هذا المعنى انشد بعض الاتقياء

وما الزهد إلّا في انقطاع العلائق وما الحق إلّا في وجود الحقائق
وما الحب إلّا حب من كان قلبه عن الخلق مشغولا برب الخلائق

(حديث حسن رواه ابن ماجة) ابو عبد الله محمد بن يزيد وماجة اسم امه كان من كبار مشاهير ايمة الحديث مات يوم الاثنين لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين (وغيره باسانيد حسنة)

(* الثاني والثلاثون *)

(عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار) بالبناء على الفتح فيهما رواية والدراية تقتضي خمسة اوجه كما في لا حول ولا قوة إلّا بالله قال في النهاية الضرر ضد النفع يقال ضره يضره ضرا وضرارا اي لا يضر الرجل اخاه فينقص شيئا من حقه والضرار فعال منه اي لا يجازيه على اضراره بادخال الضرر عليه والضرر فعل الواحد والضرار فعل الاثنين

Digitized by Google

والضرر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما تضر به صاحبك وتنتفع به والضرار ان تضره من غير ان تنتفع به وقيل هما بمعنى والتكرير للتاكيد تم كلامه فان قلت ظاهر الحديث يقتضي ان ولي الدم مندوب الى ترك القصاص كما صرح به العلماء امتثالا لقوله تعالى والعافين عن الناس وهو ينافي قوله كتب عليكم القصاص اذ معناه فرض واوجب ولفظة على تدل عليه ايضا قلت انما يلزم ذلك ان لو كان الخطاب لولي الدم لكن قد نص بعض المحققين ان ذلك اما للامام لانه متى حصلت شرائط وجوب القود فلا يحل له تركه فالمعنى يايها الايمة كتب عليكم استيفاء القصاص . او للقاتل لانه وجب عليه تسليم النفس عند المطالبة على ان في شرعية القصاص نفعا عظيما للقاتل بالارتداع وللمقتول فينبغي للمومن ان يعاشر الخلائق باجمل الخلائق ويسلك في مصاحبتهم احسن الطرائق واذا اعتدى عليه احد لا يكافيه وان اساء مسيء فلا يقابله ولا يساويه بل يتشبث باذيال الكظم والاغماض ويعتصم بحبل الله في العفو والاعراض حتى يستعبد القلوب باحسانه ويستميل النفوس الى امتنانه ويكتسب المحبة في الله المحمودة في الشرائع التي هي من افضل القرب والذرائع الباعثة للاجتماع في الجوامع لاستنزال الرحمة الالهية والبركات الشوائع ولذا نقل في العوارف ان ارتفاع الاصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات تحل ما عقدته الافلاك الدائرات وانشد بعض ذوي المعارف فقال

ان كنت تطمع رتبة الاشراف فعليك بالاحسان والانصاف
واذا اعتدى خل عليك فخله والدهر فهو له مكاف كاف

(حديث حسن رواه ابن ماجة والدارقطني وغيرهما مسندا) هو ما اتصل اسناده سواء كان مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم او موقوفا عليه (ورواه مالك) بن انس الاصبحي استاذ الايمة ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به في البطن ثلاث سنين ومات بالمدينة سنة تسع وسبعين

ومائة وله اربع وثمانون او تسعون سنة (في الموطا عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا) وهو ان يقول عدل غير صحابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا او فعل كذا واختلف فيه فقيل يحتج به مطلقا ورد مطلقا وقال الشافعي يقبل ان اسنده غيره او يرسله آخر وعلم ان شيوخهما مختلفة او ان يعضده قول صحابي او ان يعلم انه لا يرسل الّا بروايته عن عدل وقيل ان كان الراوي من ايمة نقل الحديث قبل والّا فلا وهذا هو المختار كذا في شرح المختصر (فاسقط) اي مالك (ابا سعيد وله طرق يقوي بعضها بعضا)

(الثالث والثلاثون)

(عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس) اموال الناس ودماءهم والمفعول الثاني محذوف (بدعواهم) اي بمجرد الادعاء من غير تصديق المدعى عليه او بينة المدعي (لادعى رجال اموال قوم ودماءهم) فيفضي الى الهرج والمرج فلفظة لو للدلالة على ان انتفاء الثاني في الخارج بسبب انتفاء الاول وقد يستعمل للدلالة على ان انتفاء الجزاء لازم الوجود في جميع الازمنة اذا كان الشرط مما يستبعد استلزامه للجزاء ويكون نقيضه انسب بالاستلزام نحو نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه هذا عند اهل العربية وقد تستعمل في الميزان للدلالة على ان العلم بانتفاء الثاني علة العلم بانتفاء الاول من غير التفات الى ان علة انتفائه في الخارج ما هي نحو لو كان فيهما آلهة الّا الله لفسدتا والقوم الرجال خاصة لانهم القوام بامر النساء كقوله « اقوم آل حصن ام نساء » وهو في الاصل جمع قائم كزور او تسميته بالمصدر كذا في الكشاف وانما اورد صيغة الجمع اعلاما باقوام غير واحد من رجالهم على التداعي ونكرها لقصد الاشاعة (ولكن البينة) فعيلة من البينونة او البيان وهي ما ثبت به الدعوى باعتبار افادته للبيان و باعتبار انه يغلب به على الخصم سمي حجة (على المدعي) وهو المكلف الملتزم للاحكام

Digitized by Google

الذي يذكر امرا خفيا يخالف قوله الظاهر ولذا جعل البينة عليه لانها
اقوى من اليمين التي جعلت على المنكر لينجبر ضعف جهته فان كان ما
يدعي عقوبة سواء كان حق الله او حق الادمي فلا بد من رجلين او اربعة
رجال في الزنى وان كان من غيرها فما ليس بمال ولا يقصد به ذلك فان
كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والاسلام والردة لا يثبت الّا
برجلين وان كان مما يختص بمعرفة النساء غالبا كالولادة والبكارة والرضاع
فيثبت باربع نسوة وبرجلين او رجل وامراتين واما ما هو مال او يقصد
به كالعقود المالية من البيع والاجارة والحوالة تثبت برجلين ورجل
وامراتين وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين وانكره ابو حنيفة هذا
وقد كتب الله مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به واستشهد الملائكة الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين

اعرف ما تثبت به الحقوق

(واليمين على من انكر) وهو المدعى عليه يعني من يوافق قوله الظاهر
بان يذكر امرا جليا الّا في القسامة فانه يحلف المدعي خمسين يمينا
ويذكر فيها المدعى عليه وهي عبارة عن الايمان التي يقع الابتداء فيها بالمدعي
اذا قتل معصوم في محل اللوث وهو قرينة يغلب على الظن صدق المدعي
قال في شرح مسلم هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين ودلالة على
مذهب الشافعي حيث قال اليمين متوجهة على المدعى عليه سواء كان
بينه وبين المدعي معرفة ومداينة ام لا خلافا لمالك واصحابه والفقهاء
السبعة وفيه اشارة الى ان كل دعوى لا بد ان يكون لها معنى وكل حال
او مقام لا يقبل الّا باتباع الشرع الاعلى فمن اراد ان يسلك بقدم العقل
القاصر والفهم الفاتر بساط سرادقات العرفان او يرتقي من حضيض النقصان
الى ذروة الايقان بدون اتباع حضرة الرسول فهو شيطان مردود مخذول

اعرف يمين القسامة

لقد طفت في تلك المعالم كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم ار الّا واضعا كف حائر على ذقن او قارعا سن نادم

(حديث حسن رواه البيهقي) ابو بكر احمد بن الحسين الامام الناقد الكامل ولد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعمائة (وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين) هكذا لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه

الرابع والثلاثون

(عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا) اي ما انكره الشرع ولا يرتضيه (فليغيره بيده) اي بان يمنعه بالفعل بان يكسر الالات ويريق المسكر ويرد المغصوب الى مالكه (فان لم يستطع) التغيير باليد (فبلسانه) اي فليغيره بلسانه بان يمنعه بالقول وتلاوة ما انزل الله من الوعيد (فان لم يستطع) التغيير باللسان (فبقلبه) بان لا يرضى به وينكر على متعاطيه (وذلك) اي الانكار بالقلب (اضعف) خصال (الايمان) اي اقلها ثمرة فمن غير المراتب مع القدرة كان عاصيا ومن تركها بلا قدرة او يرى المفسدة اكثر ويكون منكرا بقلبه فهو من المومنين ولا يثير فتنة نائمة قال في شرح مسلم الامر هاهنا للوجوب اراد به انه اذا كان المنكر حراما وجب الزجر عنه اذ لو كان مكروها لم يجب بل يندب ثم الوجوب على الكفاية اذا لم يتعين شخص فاذا قام واحد سقط عن الاخرين لحصول الفرض به واذا ظن طائفة انه لم يقم به الاخر اثم الكل والامر بالمعروف ايضا تبع لما يومر به فان وجب فواجب وان ندب فمندوب ولم يتعرض له في الحديث لان النهي عن المنكر شامل له اذ النهي عن الشيء امر بضده وضد المنهي اما واجب او مندوب او مباح والكل معروف وشرطهما ان لا يودي الى الفتنة كما علم من الحديث وان يظن قبوله فان ظن انه لا يقبل فيستحسن اظهارا لشعار الاسلام ولفظة من لعمومه يشمل كل احد رجلا او امراة عبدا او فاسقا او صبيا مميزا اذا كان عالما بما يومر وينهى عنه ولا يكون مما اختلف فيه ولا يختص ذلك بارباب الولايات كذا في الروضة ولا يسقط ذلك عن

مطلب مراتب تغيير المنكر

الفاسق

الفاسق اذ الواجب عليه امران فبترك احدهما لا يسقط عنه الاخر لكنه قبيح جدا كما قال بعض المحققين في المعنى

وغير تقي يامر النـاس بالتقى   طبيب يداوي الناس وهو مريض

اعلم ان المنكر اما ان يتعلق بحقوق الله ويومر به الجميع بالجمع كاقامة الجمعة او الافراد او بحقوق الناس عاما كالامر باعادة شرب البلد المنقطع ماوه او خاصا كمنع الموسر المطل او بالحقوق المشتركة كمنع المفتي والمدرس اذا لم يصلح له وفي الاحياء ما حاصله انه لا بد للمحتسب ان يكون مسلما مكلفا قادرا عالما بما يباشره وآدابه العلم والورع وحسن الخلق والمداراة ولما فيه الحسبة ان يكون منكرا مقطوعا به ظاهرا بلا تجسس وموجودا في الحال والمحتسب عليه ان يكون مكلفا اولا وللحسبة مراتب من الابتداء بالتعريف على وجه لا يودي الى النسبة الى التجهيل ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف على قدر الحاجة ثم التغيير باليد ثم التهديد ثم الضرب بقدر الحاجة وان احتاج الى شهر السلاح فله ثم الاستمداد بالغير (رواه مسلم)

﴿ الخامس والثلاثون ﴾

(عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا) اصله لا تتحاسدوا فحذف احدى التاءين والحسد انبعاث قوة الشهوة الى محبة زوال نعمة الغير وان لم تحصل له . والغبطة والمنافسة طلب حصول الخير له مع عدم الزوال عن الغير وهي قد تكون واجبة اذا كانت دينية كالايمان ومندوبة كتشهي العلم ومباحة والحسد مذموم شرعا وعقلا . الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وله مراتب الاولى ان يحب زوال النعمة وان لم تحصل له او زوالها عنه اليه او لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عنه احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما او لا يحب وهذا هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية

مطلب الحسد والغبطة

Digitized by Google

اخف والاولى اخبث ومنشوه العداوة فان من اذاه انسان غضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي للانتقام فان عجز عنه احب ان يتشفى منه الزمان والتعزز وحب الرئاسة وفوت المقاصد والشح بالخير على عباد الله وعلاجه ان يعلم ان الكل بتقدير الله وان يتذكر مضاره من سخط الله والهم اللازم وانه لا يضر المحسود بل ينفعه ويضرك وياتي بالاحوال المضادة لمقتضيات الحسد بان يمدحه ويتواضع له ويقطع اسباب العداوة حتى يصير المحسود محبوبا محبا له فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وانشد بعض الفضلاء في ذلك فقال

اذا ما شئت ان تحيى حياة حلوة المحيا
فلا تحسد ولا تبخل ولا تحرص على الدنيا

اعرف النهي عن التباغض

(ولا تناجشوا) من النجش وهو اثارة الصيد والمراد اثارة بعضهم بعضا بالفتنة او رفع ثمن العروض على البيع وهو غير راغب فيه ليخدع غيره (ولا تباغضوا) اي لا تشتغلوا باسباب العداوة اذ العداوة والبغضاء مما لا اختيار فيه وقيل لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين فيكون نهيا عن النميمة لما فيه من تاسيس الفساد وهذا اذا لم يكن فيه مصلحة فاذا دعت كما اذا اخبر ان انسانا يريد الفتك به او باهله وماله فلا منع بل قد يكون واجبا ولا يكون التباغض لله وفي الله والّا فهو من افضل الاعمال والبغض من نفار النفس عما ترغب عنه واوله الكراهة واوسطه النفرة وآخره العداوة كما ان الحب من انجذاب النفس الى ما ترغب فيه ومبداه الميل ثم الارادة ثم المودة

اعرف النهي عن التقاطع

وهما من غرائز الطبع (ولا تدابروا) اي لا تقاطعوا لانه اذا فعلوا ذلك اعرض كل عن صاحبه وولى دبره قال في الصحاح تدابر القوم تقاطعوا قال الخطابي هذا اذا كان بعتاب او جفاء وما اشبه ذلك من باب الاخلاق واما اذا كان لمعصية فيجوز . او لا تولوا ادباركم استثقالا بل ابسطوا وجوهكم والتباغض لا يستلزم التدابر لان المتعاديين قد لا يفترقان ويترافقان والتدابر لا يستلزم التباغض لان المتدابرين لمصلحة قد يتحابان (ولا يبع بعضكم

على

على بيع بعض) بان يدعو المشتري قبل لزوم البيع الى الفسخ و يبيع
منه مثله (وكونوا عباد الله اخوانا) خبر كان وعباد الله منصوب على الاختصاص
او خبر بعد خبر يعني انتم مستوون في كونكم عبيد الله وملتكم واحدة فالتحاسد
والتباغض والتقاطع منافية لحالكم فالواجب ان تعاملوا معاملة الاخوة والمعاشرة
في المودة والتعاطف والتلطف والمعاونة على البر والنصيحة بكل حال والاخ
النسبي يجمع على الاخوة قال الله تعالى فان كان له اخوة والمجازي على
الاخوان قال الله تعالى اخوانا على سرر متقابلين واما قوله تعالى انما المؤمنون
اخوة فللمبالغة (المسلم اخو المسلم) استيناف (لا يظلمه) استيناف اخر
بيان للموجب او لوجه الشبه فان الظالم اولا ينحط عن رتبة النبوة لا
ينال عهدي الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين
وثالثا عن مزية مرتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا
عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من
اساء اليها وخامسا عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون قال

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا　فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه　يدعو عليك وعين الله لم تنم

(ولا يخذله) اي لا يترك اعانته اذا ظلمه احد كما ورد مرفوعا انصر اخاك
ظالما او مظلوما الظالم يدفعه عن الظلم والمظلوم يدفعه عنه (ولا يحقره)
بذكر المعايب وتنابز الالقاب والسخرية والاستهزاء اذا رآه رث الحال او
ذا عاهة في بدنه او غير لبق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى
قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى قال
ابن مسعود البلاء موكل بالنطق لو سخرت من كلب خشيت ان اجعل
كلبا (التقوى هاهنا) اي محل التقوى هو القلب فمن كان في قلبه التقوى
فلا يوجد منه الظلم والتحقير (ويشير) اي النبي صلى الله عليه وسلم
(الى صدره ثلاث مرات) للاهتمام بشانه وليعلم ان مستقره القلب والعدول
الى المضارع لاستحضار تلك الحالة في مشاهدة السامع قال بعض العارفين

Digitized by Google

معناه ان حقيقة التقوى في صدري وفروعها في قلوب جميع الخلق لانه محل عين الجمع ومرآة كشوف الغيب كما قال انا اعلمكم بالله واخوفكم منه يريد ان من زادت معرفته زادت خشيته وتقواه وليس في الكونين اعرف منه وقد ورد انه قال لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العارفين لان العارف غائب في عظمة الله تعالى شائق الى لقائه هائم في محبته تجري عيون التقوى من بحار معرفته من روحه الى قلبه ومن قلبه الى صورته وسره معدن التوحيد لان الحق تجلى فيه بنعت القدم وروحه معدن المعرفة لان الحق يجلى بوصف البقاء فيها وقلبه معدن الخشية لانه تجلى فيه بوصف الكبرياء والعظمة فالتوحيد من عين القدم والمعرفة من عين البقاء والتقوى من عين الكبرياء (بحسب امرئ من الشر) اي كافيه من خلال الشر ورذائل الاخلاق وهو مبتدا خبره (ان يحقر اخاه المسلم) ويستوي فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمونث لانه مصدر قال النحاة اذا كان ما بعده معرفة فرفعه على الخبرية والاضافة لفظية او على الابتداء وان كان نكرة فرفعه على الابتداء فقط والاضافة معنوية البتة ولما كان هذا منشا سوال وهو ان يقال حكم التحقير ما ذا احرام ام لا فقال (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وهذا المقصد الاعلى من الحديث وما سبق كالتمهيد له فيجب على كل مسلم ان لا يقع في عرض اخيه بالغيبة والطعن والقذف والشتم والغمز واللمز والتجسس عن عوراته وافشاء اسراره فان من اتبع عورة اخيه يتبع الله عورته فيفضحه ولو في جوف بيته ولا يماريه ويرى الفضل لكل احد على نفسه اما الصغير فلانه لم يعص الله وهو قد عصى والكبير فلانه اكثر عبادة والعالم لعلمه والجاهل لانه عصى الله بجهله فحجة الله عليه اوكد والكافر فلان حسن العاقبة غير معلومة والمراد بالعرض ما يجب او يستحب حمايته لا العصبية والحمية الجاهلية التي اعتادها كثير من الناس فيصرفون الاموال لطلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق اذ هو من

اعرف محل التقوى

اعرف حرمة عرض المسلم كدمه

الهوى

Digitized by Google

الهوى المتبع المهلك لكثير من الناس فما اهلك الناس إلّا الناس ولو انصفوا لعلموا ان اكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن العادات ما يحملهم عليها إلّا مراعاة الناس قال يحيى بن معاذ الرئاسة ميادين ابليس ينزل فيها هو وجنوده (رواه مسلم)

﴿ السادس والثلاثون ﴾

(عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مومن) اي فرج عنه من التنفيس التفريج ماخوذ من قولهم انت في نفس اي سعة كان من كان في كربة سد عنه مداخل الانفاس فاذا فرج عنه فتحت (كربة) فعلة من الكرب وهي الخصلة التي يحزن بها والتنوين للافراد والتحقير اي هما واحدا من همومه اي هم كان صغيره وكبيره عرضه وعرضه عدده وعدده (من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) التي لا تحصى لان الخلق كلهم عيال الله وتنفيس الكرب احسان لهم وهل جزاء الاحسان إلّا الاحسان وليس هذا منافيا لما ثبت من ان جزاء الحسنة بعشر امثالها لما ورد من انها تجازى بمثلها وضعفها الى عشرة الى مائة الى سبعمائة الى غير حساب على ان كربة من كرب يوم القيامة تساوي عشرا واكثر من كرب الدنيا ويدل عليه تنوين التعظيم وتخصيص يوم القيامة دون يوم آخر (ومن يسر على معسر) وهو من كربه الدين ويعسر عليه قضاوه اما بالانظار او بالابراء كلا او بعضا (يسر الله عليه في الدنيا والاخرة) فيه فضيلة التيسير وانه يجازى بجنسه ولا يخفى ان المعسر صاحب الكربة هو المريد المحتاج الى قطع العقبات والمنازل الظلمانية والنورانية كما اشتهر عن الكناني ان بين العبد والحق الف مقام من نور وظلمة ويتلقاه الوساوس والهواجس فعلى شيخه ان ينفس كربة الوساوس عنه بامره بترك المبالاة بها والتامل في الحجج العقلية ان استاهله واستدامة الذكر والابتهال ويسهل عليه سواء الطريق ويذيقه حلاوة التحقيق حتى يسطع في قلبه انوار حلاوة القبول ويطلع

اعرف ان المعسر هو المريد

Digitized by Google

في سره شموس الوصول (ومن ستر مسلما) اي ستر بدنه بالالباس او عيوبه بعدم الغيبة له والذب عن معايبه وهذا على من ليس معروفا بالفساد واما المعروف به فيستحب ان يرفع قضيته الى الوالي ولو رآه في معصية فينكرها بحسب القدرة وان عجز يرفعها الى الحاكم اذا لم يترتب عليه مفسدة كما في شرح مسلم (ستره الله) تعالى (في الدنيا والاخرة) وفيه اشارة لمن وقف على شيء من مقامات اهل العرفان وكرامات ذوي الايقان ان يحفظ سره ويكتم عن غيره امره فان كشف الاسرار على الاغيار يسد ابواب العناية ويوجب الحرمان والغواية ولذا قال

من اطلعوه على سر فباح به   لم يامنوه على الاسرار ما عاشا

(والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه) اشارة الى فضيلة عون الاخ على اموره والمكافاة عليها بجنسها من العناية الالهية سواء كان بقلبه او بدنه او بهما لدفع المضار او جذب المنافع اذ الكل عون • ولما فرغ من الحث على الشفقة على خلق الله اتبعه بما ينبئ عن التعظيم لامر الله لان العلم وسيلة الى العمل فقال (ومن سلك طريقا) التنوين فيه للشيوع اذ النكرة في الاثبات قد تفيد العموم اي تعلق بسبب اي سبب كان من التعليم والتعلم والتصنيف ومفارقة الوطن والانفاق فيه (يلتمس فيه علما) شرعيا ايا ما كان بنية القربة والنفع والانتفاع (سهل الله له به) اي بسبب ذلك السلوك او الالتماس او العلم (طريقا الى الجنة) مع قطع العقبات الشاقة دونها يوم القيامة والعلم نور في قلب المومن مقتبس من مصباح الكلمات المحمدية والافعال والاحوال الاحمدية يهتدى به الى الله وصفاته وافعاله واحكامه فان حصل بواسطة بشر فهو الكسبي والا فهو العلم اللدني المنقسم الى الوحي والالهام والفراسة فالوحي لغة اشارة بسرعة واصطلاحا كلام الهي يصل الى القلب النبوي فما انزل صورته ومعناه معا ولا يكون الا بواسطة جبريل فهو الكلام الالهي وما انزل معناه على الشارع فعبر عنه بكلامه فهو الحديث النبوي وهذا قد يكون بغير واسطة في محل الشهود

اعرف نورانية العلم

كما

كما قال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وقد يكون بواسطة نزول الملك اي تنزله من الصورة الملكية الى الهيئة البشرية وتحقيقه ان المتكلم الحقيقي هو الحق فكلم اولا محمدا بواسطة جبريل وثانيا اصحابه بواسطة محمد عليه الصلاة والسلام وثالثا التابعين بواسطة الصحابة وهلم جرا وقد يكون بنفثه في قلبه بان يلقي معناه من غير ان يتمثل بصورة . ان روح القدس نفث في روعي . والالهام لغة الابلاغ وهو علم حق يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده قل ان ربي يقذف بالحق . والفراسة علم ينكشف من الغيب بسبب تفرس آثار الصور والالهام كشفها اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله فالفرق بين الالهام والفراسة انها كشف الامور الغيبية بواسطة تفرس آثار الصور والالهام كشفها بلا واسطة والفرق بين الالهام والوحي انه تابع للوحي من غير عكس ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال . وعين اليقين ما كان بطريق الكشوف والنوال . وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال لورود رائد الوصال

اعرف روح القدس والالهام والفراسة

(وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى) مسجدا او مدرسة او رباطا ولهذا لم يقل من المساجد (يتلون كتاب الله تعالى) جملة حالية وليس المراد بالتلاوة اجراء الالفاظ على اللسان فقط بل لا بد ان يقدر العبد انه يقرا على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه بل يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بل يستغرق بمشاهدة المتكلم غير ملتفت الى غيره سامعا منه كما قال الامام الصادق كرم الله وجهه وقد سئل عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قال ما زلت اردد الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ثم يتفكر فيما يتعلق بذات الله وصفاته وافعاله ويقتبس معرفة الجلال والعظمة وفيما يتعلق باهلاك الاعداء ويقتبس معرفة العز والاستغناء والقهر وفيما يتعلق باحوال الانبياء ويقتبس معرفة اللطف والفضل وفي الايات الدالة على التكاليف والارشاد ويقتبس معرفة العطف والحلم ويعمل بمقتضاها

اعرف سر التلاوة

Digitized by Google

(ويتدارسونه بينهم) شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم والتعلم (إلّا نزلت عليهم السكينة) اي ما يسكن اليه القلب من الطمانينة والوقار وصفاء القلب ونزول الانوار وذهاب الظلمة النفسانية وقيل ريح هفافة لها راس كراس الهرة او جمع من الملائكة (وغشيتهم الرحمة) غطتهم وعلتهم (وحفتهم الملائكة) احدقتهم وطافت بهم الى سماء الدنيا ليسمعوا القرآن ويحفظوهم من الآفات ويصافحوهم ويومنوا على دعائهم (وذكرهم الله فيمن عنده) من الملا الاعلى والطبقة الاولى من الكروبيين والروحانيين مباهاة بهم والمراد عندية الشرف لا المكان شبههم في كرامتهم عليه بالمقربين عند الملوك وبلسان الاشارة بيوت الله عبارة عما يذكر فيه الحق من النفس والقلب والروح والسر والخفا فذكر بيت النفس الطاعات وذكر بيت القلب التوحيد والمعرفة وذكر بيت الروح الشوق والمحبة وذكر بيت السر المراقبة والشهود وذكر بيت الخفا بذل الجود وترك الموجود وقوله إلّا نزلت الخ اشارة الى ثمرات التلاوة وهي الانس والحضور مع الله وتمثيل الانبياء والملائكة والارواح القدسية في صورة لطيفة والصعود من حضيض بعد البشرية الى ذروة ملكوت الاعلى بل الفرح بالبقاء والدخول تحت الفناء والقرب من اللاهوت والتبري من الناسوت وهذا مقام يضيق عن اعلائه نطاق النطق ولا يسع اظهاره في ظروف الحروف

اعرف بيوت الله المعنوية

وان قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا من معانيه قاصر

قال الشيخ ابو سعيد الخراز اذا اراد الله ان يوالي عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس ثم اجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وادخله دار الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فحينئذ يصير العبد زمنا فانيا فوقع في حفظه وبرئ من دعاوي نفسه (ومن بطا به عمله) الابطاء والتبطئة نقيض السرعة اي من جعله بطيا واخره عمله السيئ عن بلوغ درجة السعادة فالباء

Digitized by Google

للتعدية كما في قوله (لم يسرع به نسبه) اي لم يقدمه نسبه اليها لان الاسراع الى السعادة انما هو بالتقوى والعمل الصالح لا بالنسب اذ مثال ذلك انما يعتبر في الدنيا لا في الاخرة اذ الكل عبيد الله واكرمهم اتقاهم ويؤيده ما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة رسول الله يا فاطمة بنت محمد ايتوني يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا وما نقل عن ابي يزيد قدس الله روحه ان مريدا له يتبع خطاه من خلفه فاقبل عليه قائلا والله لو سلخت جلد ابي يزيد ولبسته لم تنل مثقال ذرة من مقاماته ما لم تعمل عمله وانشد فقال

اعرف ان السعادة بالتقوى لا بالنسب

ما بال نفسك ترضى ان تدنسها ... وثوب جسمك مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... ان السفينة لا تجري على اليبس

والنسب ما ينسب اليه الانسان من مفاخر آبائه او فضيلة نفسانية او بدنية والحسب يطلق على ما يعد من مفاخر نفسه وعلى الكفاية من المال وما يجري مجراه والسرعة والبطو من الامور الاضافية التي لا تعقل إلا بالقياس الى شيء آخر واما ان البطو قطع المسافة في زمان اكثر والسرعة قطع مثلها او اكثر في زمان اقل فذلك من تدقيقات الفلاسفة

(رواه مسلم بهذا اللفظ) والاسلوب

﴿ السابع والثلاثون ﴾

(عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله كتب) اي قدر واثبت في سابق علمه فيكون مجازا مرسلا او امر الحفظة بكتبها في اللوح فيكون مجازا عقليا والكتابة تنقيش ما في الذهن من العلوم بالخط بواسطة تركيب الحروف ويستعار للاثبات والتقدير والايجاب والقضاء (الحسنات) اي ما يتعلق به الثواب والقربة (والسيئات) اي ما يستحق فاعله العقاب (ثم بين ذلك) اي بين مقدارهما وعين مبلغهما للسفرة الكرام بان بعضها يجازى

Digitized by Google

بعشر او سبعين او سبعمائة الى غير ذلك او بينه في التنزيل او فصل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاجمال بما بعده فيكون من كلام الراوي وذكر اسم الاشارة باعتبار المذكور (فمن هم) الفاء تفصيلية لان ما ذكره مجمل لا يفهم منه كيفية الكتابة اي فمن قصد (بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة) لان الهم بالحسنة قصد الخير فيكون خيرا واما ارادة الشر وان كان بنية سيئة لكنه يدفع بكف النفس عنها وهو حسنة وقوله حسنة مفعول ثان باعتبار تضمين معنى التصيير او حال موطئة (وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات) متصاعدة (الى سبعمائة ضعف) اي مثل (الى اضعاف كثيرة) تفضلا منه واحسانا وهذه المراتب بحسب التفاوت في العمل اخلاصا ومراعاة لشرائطه وآدابه والضعف المثل والاضعاف والتضعيف والمضاعفة الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر قال السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه الله تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود (وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة) لانه انما تركها بعد ان هم بها مراقبة لله وحذرا منه مع القدرة عليها لا ان هم فلم يعمل للعجز قال العلماء يحمل هذا على من لم يوطن نفسه عليها وانما ذلك تفكر بلا استقرار ويسمى هذا هما وفرق بين الهم والعزم واما من عزم بقلبه على السيئة ووطن نفسه عليها اثم في اعتقاده وعزمه فان نفس العزم والاصرار معصية فتكتب معصية فاذا عملها كتبت معصية ثانية وان تركها خشية كتبت حسنة (وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) اخذا بالتفضل في جانبي الخير والشر قال بعض الصوفية انما كان العشرة اقل درجات الثواب لان الحسنة تصدر بظهور القلب والسيئة بظهور النفس فاقل درجات ثوابها انه يصل بها صاحبها الى مقام القلب الذي يتلو مقام النفس في الارتقاء تلو مراتب العشرات للاحاد في الاعداد ومن عمل سيئة فلا تكتب الا واحدة لانه لا مقام ادون من مقام النفس فتنحط اليه فبالضرورة

اعرف سر كون الحسنة بعشر امثالها

جزاه

جزاه في مقام النفس بالمثل وهو حصول هيئتها فيها ومن هنا يعلم ان الثواب
من باب الفضل فانه يتنور استعداده ويزداد قبوله لفيض الحق فيتقوى
على اضعاف ما فعل ويكتسب بها اجورا متضاعفة الى غير النهاية بازدياده
عند فعل كل حسنة وزيادة الفيض عند زيادة القبول وزيادة القدرة عليها
عند زيادة الفيض الى ما لا يعلمه إلّا الله كما قال والله يضاعف لمن يشاء
وان العقاب من باب العدل المقتضي للمساواة ومن فعل بالنفس اذا لم
يعف عنه يجازى بالنفس والسيئة والحسنة المذكورتان هنا من قبيل
الاعمال والاقرب سيئة من شخص تعادل حسنة من غيره كما قال حسنات
الابرار سيئات المقربين اذ سيئاتهم بوجود القلب ورب سيئة توجب حجاب
الابد كاعتقاد الشرك (رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف
فانظر) اراد به الاعتبار العقلي والنظر بالبصيرة (يا اخي وفقني الله واياك
الى عظم لطف الله) هو اجراء القضاء على وفق الارادة وقيل ايصال نفع
فيه دقة قاله في الكشاف وقال الغزالي اللطيف من يعلم دقائق المصالح
وغوامضها وما لطف منها ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح على سبيل
الرفق فمن اجتمع فيه الرفق في العقل واللطف في الادراك تم فيه معنى
اللطيف (وتامل هذه الالفاظ وقوله عنده اشارة الى الاعتناء بها) اذ اجراؤها
حقيقة محال لتقدسه عن المكان فالمراد عندية الرتبة كما سبق (وقوله
كاملة للتوكيد) اي صفة موكدة (وشدة الاعتناء وقال في السيئة التي هم بها
ثم تركها كتبها الله عنده حسنة كاملة فاكدها بكاملة وان عملها كتبها سيئة
واحدة فاكد تقليلها بواحدة) لان مفهوم الوحدة مشعر بالقلة فالحاصل
ان لفظ الحديث طابق معناه في افادة فضل الله وتطوله وتضعيف الحسنات
وتكميلها والاعتناء بها وافراد السيئات وتقليلها بمسامحته تعالى عباده في
المعاملة تضعيفا في الخير وتخفيفا في الشر لطفا بهم ورحمة وتفضلا ولله
در من قال

يا خالق الخلق يا من لا شريك له   طوبى لمن عاش بين الناس يهواكا

Digitized by Google

اني لاعجب ممن قد راى طرفا   من فرط لطفك ربي كيف ينساكا
وكيف يانس روح العارفين وان   دام السرور لهم الّا بلقياكا
والله ما فرحت روحي ولا انست   في الدهر ما بقيت الّا بذكراكا

(فلله الحمد) هو تعريف المحمود بنعوت الكمال وذكره بما هو عليه من الفضائل ومحاسن الخصال والحامد اما الحق واما الخلق وكذلك المحمود ولذا قدم الظرف لافادة اختصاص جيع المحامد بالله تعالى (والمنة) هي النعمة الثقيلة وتطلق على معنيين الاول ان يكون بالفعل نحو من عليه اثقله بالنعمة ومنه لقد من الله على المومنين الثاني ان يكون بالقول وهو عد الاحسان وهو مستقبح ولهذا قيل المنة تهدم الصنيعة الّا عند الكفران (سبحانه) مفعول مطلق اي انزهه عن النقائص وهو علم التسبيح لا يستعمل غالبا الّا مضافا وفيه معنى التعجب الاصل فيه ان يسبح الله في روية العجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه (لا نحصي ثناء عليه) اي لا نطيق القيام بحق ثنائه او لا نعلم ولا نعقل لذاته كما ينبغي من الحصاة وهو العقل او لا نحصر ثناءه اذ الحول البشري قاصر عنه (انت كما اثنيت على نفسك) وهو الذكر الجميل وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي متقدم على الاثبات فبالاول تزول العقائد الفاسدة وبالثاني ترسم النقوش الحسنة وهو اعم من التقديس لانه التنزيه عن الشرك والعجز والنقص والتقديس هو التنزيه عما ذكر وعن التعلق بالجسم وقبول الانفعال وشوائب الامكان وامكان التعدد في ذاته وصفاته وكون شيء من كمالاته بالقوة وختم بقوله (وبالله التوفيق) لعرض فقره واحتياجه الى الاسعاد الرباني والامداد السبحاني في كل الاحوال

(الثامن والثلاثون)

(عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى) اي آذى واغضب بالفعل او بالقول (لي وليا) اي واحدا من اوليائي (فقد آذنته) اي اعلمته (بالحرب)

اي

اي بمحاربته وبمعاداته معي . او باني ساحاربه واقهره وانتصر منه وانتقم له وفي رواية واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الجرد وفي اخرى انه ينتقم بعدوه لان ابعد الخلق واغلظ القلب لا يرحم في تعذيب اسيره كما انتقم ليحيى بعدوه بخت نصر والولي فعيل بمعنى المفعول وهو من يتولى الله حفظه وحراسته على التوالي . او بمعنى الفاعل اي يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليها من غير تخلل معصية وكلا الوصفين شرط في الولاية ذكره القشيري قال الغزالي الولي من كوشف ببعض المغيبات ولم يومر باصلاح الناس وقال المتكلمون الولي من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على دليل بالاعمال الشرعية والتركيب يدل على القرب فكانه قريب منه لاستغراقه في نور معرفته وجمال جلاله وتحقيقه ان يقال هو من يتولى الله بذاته امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف فهو الفاني في يد المفني يفعل به ما يشاء حتى يمحو اسمه ورسمه ويمحق عينه واثره ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه وقوله لي حال من قوله وليا قدم عليه لتنكيره وجعله ظرفا لغوا وايراد صيغة المفاعلة للمبالغة واللام في قوله بالحرب للجنس فينصرف الى الكامل فالحديث تحذير عن ايذاء الاولياء وترك حرمتهم وتنبيه على عظيم شانهم وحفظ قلوبهم ودفع كربتهم شعر

ولي الله اشرف في البرايا   له قدر عظيم بالكرامة
فمن والاهم حقا وصدقا   فجاءته الشفاعة في القيامة

(وما تقرب الي عبدي بشيء) التقرب طلب القرب من غير تخلل معصية واخذ الثواب والباء في بشيء للسببية وقوله (احب الي) صفته وهو بمعنى المفعول وما في قوله (مما افترضت عليه) موصولة او موصوفة والعائد محذوف والمعنى ما يطلب عبدي القربة من رحمتي وثوابي بوسيلة عمل احب الي من الذي فرضته عليه اي وسائل القرب كثيرة واحبها الي اداء الفرائض والتكاليف اذ هي الامانة المعروضة على السموات

والارض والجبال (ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل) الزائدة على الفرائض ويرتقي من مقام الى آخر (حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) السمع قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين يدرك بها صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج تلك الحركة تلك العصبة فتسمع . والبصر قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين يتلاقيان فيفترقان الى العينين يدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام المتلونة المتادية في الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصقيلة كذا في كلام ابن سيناء هذا في الشاهد فقط واختلفوا ايهما افضل فقيل الاول لتقديمه في اللفظ ولانه شرط النبوة ولانه سبب وصول المعارف الى السمع وقيل الثاني لان متعلق الابصار النور ومتعلق السمع الريح وهو يرى من بعيد وقد اسمع كلامه موسى ونوقش في الروية (ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) اي كنت حافظا هواسه وجوارحه حتى ينقطع عن الشهوات ويستغرق في الطاعات فلا يسمع ولا يبصر الّا ما اتى به الشرع وقريب منه قول الخطابي معناه توفيقه في الاعمال التي يباشرها بهذة الاعضاء يعني ييسر عليه فيها سبيل ما يحبه ويعصمه عن مواقعة ما يكره من اصغاء الى اللهو بسمعه ونظر الى ما نهي عنه ببصره وبطش ما لا يحل بيده وسعي في الباطل برجله قال التوربشتي اجعل سلطان حبي غالبا عليه حتى يسلب عنه الاهتمام بشيء غير ما يقربه الي فيصير متخليا عن اللذات متخلعا عن الشهوات حيثما توجه لقي الله بمراى منه ومسمع وياخذ حب الله مجامع قلبه فلا يسمع ولا يرى ولا يفعل الّا بحبه ويكون له في ذلك عونا ويدا وكفيلا ووكيلا يحمي جوارحه وحواسه وفي كلام القاضي انه يتقرب ويرتقي من مقام الى آخر حتى

مطلب حاسة السمع

اعرف تعلق العبد بمحبة الله

يحبه

Digitized by Google

يحبه الله فيجعله مستغرقا بملاحظة جناب قدسه بحيث ما لاحظ شيئا
الّا راى الله تعالى فيه وما التفت التفات حاس ومحسوس الّا لاحظ ربه
وهو آخر درجات السالكين واول مراتب الواصلين هذا وان اردت تحقيق
الكلام وتبيين المرام في هذا المقام الذي زلت فيه الاقدام وكلت دون
الوصول الى الحق الافهام فاسمع لما يتلى عليك من التدقيقات المخفقة
لاعلام الواصلين الى اعلى مدارج الانس السائرين في ارقى معارج القدس
التائهين في بيداء عظمة الملك والملكوت المتلاشين في دوام ديمومية
العز والجبروت الذين ورد في شانهم الحديث ونطق بعزتهم كل قديم
وحديث فنقول المحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا وهي اما محبة اللذة
كمحبة الطعام او محبة النفع كمحبة ما ينتفع به او المركب منهما او محبة
الفضل كمحبة العلماء قاله الراغب ولا يخفى انه ابلغ من الارادة لانها
اذا تاكدت في القلب وانعقدت فيه فتلك المحبة المنقسمة الى الطبيعية
وهي ميل النفس الى منافعها ولذاتها . والشرعية الماخوذة من الكتاب والسنة
والروحانية وهي ميل القلب الى مطالعة الملكوتية العلوية فاذا استولت
عليه وغلبت تصير عشقا فهو المحبة المفرطة ولا يجوز اطلاقه على الله
عند الفقهاء ووافقهم الشيخ الكبير قدس الله سره وقال في شرح مسلم معنى
محبة الله رحمته عليهم وارادته للجميل لهم ومدحه وانعامه عليهم ومحبة
العبد بمعنى طاعته له وموافقته لامره وتعظيمه وهيبته له قال في الكشاف
محبة العباد لله عبارة عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره
ورغبتهم فيها وذلك لان المتكلمين اطبقوا على انها نوع من الارادة فيجب
تعلقها بالحوادث فلذا جعله الزمخشري استعارة مصرحة شبهت ارادة
نفوسهم اختصاصه بالعبادة بميل قلب المحب الى المحبوب ميلا لا يلتفت
الى الغير وحمله المصنف على الاضمار اي محبة طاعته وموافقته لكن
الامام استضعف قولهم واثبت المحبة الذاتية لان كل شيء لو كان محبوبا
لاخر لتسلسل قال صاحب الكشاف وهو غير ناهض لانهم عللوا ان الارادة

مطلب المحبة الروحانية

Digitized by Google

لا تتعلق بالقديم لذاته ولا يمنعون تعلقها بحادث لذاته والذي رايته للمتكلمين انها تستدعي الجنسية بين المحب والمحبوب والمنع على الاول اي على دليلهم الاول وهو انه نوع من الارادة ان المحبة ليست نوعا من الارادة لتعلقها بالاعيان وتعلق الارادة بالافعال بل لو عكس بان يجعل الارادة نوعا من المحبة لكان صوابا وعلى الثاني ان المحبة قد تتعلق بالاعراض ولا جنسية بين الجوهر والعرض . والتحقيق انها من الوجدانيات التي لا تحتاج الى تعريف حقيقي بل الى شرح اسم ليمتاز عن اخواتها بان يقال هي ادراك الكمال من حيث انه موثر وكلما كان الادراك اتم والمدرك اشد كمالية موثرة كانت المحبة اكمل وقالت الصوفية المحبة الميل الدائم بالقلب القائم وايثار المحبوب على جميع المصحوب او محو المحب بصفاته وايثار المحبوب بذاته او معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وفي المنازل ما معناه انها تعلق القلب بالمحبوب تعلقا مقترنا بهمة المحب بطلب الحق والانس به في بذل الروح ومنع القلب من التعلق بالغير على الافراد وهو فناوه عن افعاله وصفاته وذاته غير ملاحظ للثنوية قال الجنيد هي دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب كما في الحديث قال العارف السهروردي في العوارف وذلك لان المحبة اذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها الى محبوبها فاذا انتهت الى غاية جهدها وقفت والرابطة متاصلة متاكدة وكمال وصف المحبة ازالة الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع فادحة في صدق المحبة ونظرا في قصوره بعد استيفاء جهده فيعود المحب بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك

اعرف كون المحبة من الوجدانيات

انا من اهوى ومن اهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا

فاذا ابصرتني ابصرته ... واذا ابصرته ابصرتنا

وفي تاويلات العلامة الكاشي انها ظل نوري للوحدة في الارواح توجب

الانس

Digitized by Google

الانس والالفة في القلوب والعدالة في النفوس وتقتضي طلب الاتصال بالاصل والكمال الذي تمكن له منه فلذا يحكم على صاحبه بموافقة المحبوب وانشد في المعنى

حقيقة الحب لا تجلى لفاقدها والواجد استشبع التعريف بالقيل

لا يعرف الشمس الا من يشاهدها للكمه تعريفها في عين تضليل

اعرف مراتب المحبة

وذكر الشيخ الرازي في حقائق التفسير ان لمحبة المحب ثلاث مراتب محبة العوام التابعين للاعمال المحمدية وهي مطالعة المنة في روية احسان المحسن . ومحبة الخواص التابعين لاخلاقه يحبونه اجلالا واعظاما ولكونه اهلا له . ومحبة اخص الخواص التابعين لاحواله وهي الناشئة من الجذبة الالهية في مكامن كنت كنزا مخفيا وحقيقتها ان يفنى المحب بسطوتها ويبقى فيه بلا هو لانها نار لا تبقي ولا تذر ولمحبة المحبوب ثلاث درجات ايضا محبة العوام باختصاصهم بالرحمة والغفران والتجلي عليهم بالافعال والايات . ومحبة الخواص باختصاصهم بتجلي صفات الجمال والغفران وستر ظلمة صفاتهم بانوار صفاته . ومحبة اخص الخواص باختصاصهم بالجذبات وستر ظلمة وجودهم بانوار الوجود الحقيقي فيتجلى اولا بنار الجلال فتحرق عن قلوبهم جميع ما كان فيه ثم يتجلى بنور الجمال ويمحوهم عنهم ويثبتهم به ويسلب عنهم السمع والبصر والنطق ويبدله بسمع وبصر يليق به فهم بين روضة المحو وغدير الاثبات احياء فيراموات وفي هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحد كما ان الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي والروية واحدا . اه كلامه . فيكون فحوى الحديث والله اعلم ان من استعلت به الدرجة المحبوبية ومكنته الرتبة المطلوبية كنت مستويا بنور وجهي على عرش قلبه مفيضا بنوري على فرش صدره فيكون سمعه من نوري يسمع به وبصره من نوري يبصر به ويده من نوري يبطش بها ورجله من نوري يمشي بها فيكون قائما بنوري

Digitized by Google

حيا به لان مصدر اعماله وهو القلب صار عرشا لنور الله ولا يصدر من النور الّا النور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وكما كان قبل استيلاء النور عليه مستويا بنفسه على قلبه موثرا بظلمتها على صدره فكان سمعه وبصره من ظلمتها يسمع ويبصر بها فهذا العبد هو الذي قام بنور الحق ذاتا وصفات فني بشهوده وبقي بوجوده لاستعداده لكمال المعرفة بسبق العناية وفي المعنى قال

غذينا بالمحبة يوم قالت لـه الدنيا اتينا طائعينا

رزقني الله واياكم الجذبات السبحانية والنفحات الصمدانية وصفانا من الكدرات الناسوتية ورقانا الى المشاهدات اللاهوتية (وان سالني) حذف المعمول للتعميم (اعطيته) مسئوله بل لو اقسم على الله لابره (ولئن استعاذ بي) بالباء التي للالصاق والنون للوقاية فالياء منصوب بنزع الخافض واورد اللام الموطئة للتوكيد وحذف المستعاذ منه ليعم والعوذ الالتجاء والالتصاق يقال اطيب اللحم عوذه وهو ما التصق منه بالعظم اي ان التجا برحمتي والتصق بفضلي واعانتي (لاعيذنه) واعلم ان الاستعاذة انما هي لدفع جميع المضار ومعظمها بالنسبة الى السالك الخواطر ولا بد من معرفتها والخاطر ما يرد على القلب في صورة خطاب او تعريف او طلب وانواعه اربعة خاطر الحق المسمى بالخاطر الاول وهو علم يقذفه الحق من بطنان الغيب على قلب اهل القرب ويبقى مطمئنا لا ينفيه بشي ولا يقتضي المهلة ويعبر عنه بالالهام . وخاطر الملك وهو ما يرغب على الطاعات ويحذر عن المعاصي ويلوم عليها وقد لا يطمئن ويقتضي المهلة . وخاطر الشيطان وهو ما يدعو الى المعاصي والمكاره فيدفع بالاستعاذة والانتهاء . وخاطر النفس وهو حركة في الباطن تنبعث الى تحصيل ملاذها ومرامها من اشياء منكرة يتحقق ان الله منزه عنها وغيرها فيقابل بترك المبالاة واستدامة الذكر ويفرق بينهما بان الشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن بخلاف النفس فانها لا تزال تلح حتى تظفر

اعرف انواع الخواطر

بمرادها

Digitized by Google

بمرادها إلّا ان يعيذه الله وهو اشد الخواطر على المريدين وحقيقة الوسوسة ان الانسان بينما هو ذاهل عن الشيء ذكره النفس والشيطان فيحدث له ميل يترتب عليه فعل هذا هو المشهور بين الجمهور وقد ذكر نجم الكبراء خاطر القلب وهو ما يسلم من منازعة النفس وينطلق من قيد الشك وغيره وخاطر العقل وهو ما يكون مع النفس والعدو لاثبات الحجة على العبد ليستحق العقاب ومع الملك والروح يستوجب به الثواب . وخاطر الروح وهو ما ينبعث من همته التي هم بها الى الحضرة الالهية يستنزل بها الالهامات . وخاطر السر ينشا من ميلانه الى معرفة الصفات يستنزل المعارف من بحار الاسماء . وخاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم وخاطر الشيخ للمريد يرد عليه على قدر وثوق العلقة المعنوية . وخاطر النبي للتابع على قدر الاتباع . والخاطر من الموتى على قدر صفاء الباطن وتالف الروحين . والخاطر من قلوب الاخوان على قدر خلوص الصحبة ولا يخفى اندراجها تحت الخواطر الاربعة بل رجوع تلك الخواطر الى الكلمتين المذكورتين في الحديث كما حققه في العوارف بل لا يبعد ان يقال الاصل في الخواطر برمتها الخاطر الحقاني والالهام الرباني لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها ولما كان هذا التحقيق من غوامض العلوم وادراك عوائد فرائده من دقائق الفهوم اوردناه هنالك والله الهادي الى سواء المسالك

(رواه البخاري)

﴿ التاسع والثلاثون ﴾

(عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز) اي عفا وتفاعل بمعنى فعل ولعل معنى المجاوزة ان الله يطالب المذنب بالذنب والمذنب يطالبه بالعفو الى ان يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته فاذا غفر الرب فقد تجاوز عن المطالبة (لي) اي لتعظيم امري واعلاء قدري وحصول مرام قلبي (عن امتي) اي امة الاجابة (الخطا) اي اثم الخطا فلو اتى بشيء من المعاصي او اخل ببعض

الفرائض لا يتعلق به ذم ولا مواخذة ولهذا لو قتل انسانا خطا بان لا يقصد الفعل بان خر على صبي فمات او قصد الفعل دون الشخص كما اذا رمى الى صيد فاصاب انسانا لم يقتص منه واما الزام الدية فيكون جابرا لورثة المجني عليه وهكذا الحال في ضمان المتلفات قال في النهاية الخطا ضد العمد وهو ان يفعل شيئا من غير قصده وقيل انه العدول عن الصواب بان يريد غير ما تحسن ارادته فيفعله وهو الماخوذ به او يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد ومنه من اجتهد فاخطا فله اجر او لا يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهو مخطئ ارادة مصيب فعلا فهو مذموم بقصده غير محمود بفعله (والنسيان) اي اثم ما صدر عنهم من اقتراف ذنب او ترك طاعة نسيانا ولهذا لو اكل الصائم او شرب او جامع ناسيا فلا افطار ولا كفارة ولو علق طلاقا او عتقا على فعل من افعاله ففعله ناسيا او صلى الظهر خمسا فلا باس واما الزام الدية فلتكون جابرا للمجني عليه وورثته وكذلك في ضمان المتلفات والنسيان ترك الفعل لتاويل فاسد او ضد الذكر فان قلت فاذا كان الخطا والنسيان متجاوزا عن هذه الامة المرحومة فما الحكمة في الامر بالدعاء في قوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا فالجواب ان يقال النسيان منه ما يعذر صاحبه ومنه ما لا يعذر وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر كمن راى نجاسة في ثوبه واخر الازالة وصلى عد مقصرا ويجب القضاء وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى نسي فذكر النسيان والخطا واراد ما هو المسبب عنهما فيكون مجازا مرسلا او استعير للتفريط والاغفال للمشابهة فانهما سببان للوقوع في المخالفة كالخطا والنسيان فتكون استعارة مصرحة تبعية هذا تحقيق اشكل وجوه الكشاف (وما استكرهوا عليه) اي تجاوز عن امتي اثم ذنب صدر عنهم بالاكراه والاجبار فلا يكفر من اكره على الردة فتلفظ بها مطمئنا قلبه ولا يفطر من اوجر الخمر ولا يصح اعتاقه ولا طلاقه ولا شيء من تصرفاته وهو مذهب مالك والشافعي واحمد خلافا لابي

اعرف اشكال طلب عدم المواخذة عن النسيان مع وجود العفو عنه

حنيفة

حنيفة في الطلاق والحديث مخصوص بما اذا لم يكن بمحرم فان اكره على القتل يجب القصاص على المكره والمكره او بالزنى او غير ذلك فتجب العقوبة وفروع هذا الاصل وشروطه مذكورة في كتب المذهب ولا يخفى انه من كنوز الحكم وجوامع الكلم فعليك باستخراجها ولعل معناه بلسان العارفين هو ان الله لا يعاقب امتي ان اخطات طريق طلب الله او في العمل لما سواه والقرار على فراقه او نسيت عهد الله الذي عاهدهم ان يحبوه ولا يحبوا غيره لانهم غرباء بعد اطالة العهد بهم مسافرين عنه محتجبين بانواع البلاء لكن سيعودون الى الفطرة الاصلية والمحبة الازلية لانه حين لم يكن شيئا مذكورا بل لم يكن في الكتاب مسطورا قد نطق الحق بمحبتهم اولا ورقم بها في اللوح ثانيا وانزل عليهم قوله يحبهم ويحبونه ثالثا ولله در القائل حيث انشد في المعنى وقال

نقل فوادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلّا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى ... وحنينه ابدا لاول منزل

(حديث حسن رواه ابن ماجة والبيهقي وغيرهما)

(الاربعون)

(عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي) ليتوجه توجها بليغا ويتمكن في ذهنه ما يلقى اليه (فقال كن في الدنيا كانك غريب) اي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق منها إلّا بما يتعلق الغريب في غير وطنه قاله المصنف وذلك لان الدنيا دار مرور وجسر عبور فينبغي للمومن ان ينتظر المسافرة عنها ساعة فساعة متهيئا لاسباب الارتحال برد المظالم والاستحلال مشتاقا الى الوطن الحقيقي قانعا في سفره ببلغة وسترة معولا على ما اعد له من النزول في وطنه مستقبلا للبليات الكثيرة في سفره غير مشتغل بما لا يعنيه من الامل الطويل والحرص الكثير ثم ترقى عن ذلك بلفظة او التي بمعنى بل كقول الشاعر

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى ... وصورتها او انت في العين املح

Digitized by Google

اي بل انت كذا في الصحاح (او عابر سبيل) وهو المار على الطريق القاطع لها بالسير لانه قد يسكن الغريب في غير وطنه ويقيم في الغربة فلله در طائفة رفضوا الدنيا وانعزلوا عن الناس وتجردوا عما عليهم من الاثقال واللباس بل صاروا حفاة عراة حاسري الراس فهم العقلاء الاكياس الخارج فضلهم عن حد العد ومقياس القياس

ان لله عبادا فطنـــا   طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عــرفوا   انها ليست لحي وطـنا
جعلوها لجة واتخــذوا   صالح الاعمال فيها سفنا

(وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المساء) هذا مقتبس من الحديث لان الغريب اذا امسى واصبح لا يتوقع إلّا سيره الى وطنه ويتبادر اليه كل وقت وكل ساعة فالمعنى سر دائما ولا تفتر عن الطاعة ساعة حتى لا تهلك في اودية الضلالة وتنقطع عن المقصود (وخذ من صحتك لمرضك) اي بادر ايام الصحة واغتنم فان المرض المانع من العمل قد يطرا والصحة حالة تصدر بسببها الافعال الحيوانية عن موضعها وهو الاعضاء السليمة والمرض عبارة عن عدم تلك الحالة فبينهما تقابل العدم والملكة (و) خذ (من حياتك لموتك) اي ما تلقى نفعه بعد موتك واياك والتسويف فان الوقت سيف وفي التاخير آفات والموت ياتي بغتة وما روي من انه صلى الله عليه وسلم قال العجلة من الشيطان فمخصوص على انه لا يفيد كلية الحكم اذ هي قضية مهملة والامور متفاوتة منها ما يحمد فيه التاخير لكونه مما يحصل على مهل وتدريج فلو طلب منه خلاف وضعه فات الغرض او لكونه محمود العاقبة فيفتقر الى مزيد تامل ومنها ما يحمد فيه التعجيل لضد ما قلنا فينتهز ويغتنم فان الفرصة تمر مر السحاب وفي هذا المعنى انشد لعلي كرم الله وجهه

اذا هبت رياحك فاغتنمها   فان لكل خافقة سكون

Digitized by Google

ولا تغفل عن الاحسان فيها فما تدري السكون متى يكون
اذا طالت يداك فلا تقصر فان الدهر عادته يخون

والحياة قوة تتبع الاعتدال النوعي ويفيض منها سائر القوى الحيوانية والموت عبارة عن فساد بنية الحيوان او عرض مفارق للحياة لا يصح معه اختيار فبينهما تقابل التضاد ذكره الاطباء والتحقيق ان الموت زمانة مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها فالموت يسلب منك قواك وحواسك وحقيقتك التي بها انت باق كزمانة اليد فانها تخرج عن طاعتك لبطلان القوة التي تستعمل مع وجوده شخصها والدليل عليه ان الانسان ليس عبارة عن هذه البنية لان اجزاءها تذوب وتنحل ونفرض السمن والهزال المشار اليه بانه شيء واحد من اول عمره الخ والباقي غير المتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه والمعلوم مغاير لغيره وايضا احوال النفس مضادة لاحوال البدن لانا نجد قوة احدهما مقتضية لضعف الاخر لانه يضعف وقت النوم وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونفوس عالم الارواح واذا اعرضت عن ملاذها واقبلت على مطالعة العالم العلوي انطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية ولان جميع ارباب الملل والنحل يتصدقون على موتاهم ويزورونهم ولان الميت يرى في المنام فيخبر عن امور غائبة ويكون كما اخبر ولانا نعلم ضرورة ان العالم الفاهم للخطاب انما هو في ناحية القلب ليس جملة البدن ولا شيئا من الاعضاء وكم مثل هذا اذا تقرر هذا فنقول ذلك الشيء المغاير سواء كان جوهرا مجردا كما ذكره الغزالي والراغب او جسما قدسيا ملكوتيا خلق من حياة ابدية رباه الله في ظل كامل جلاله وضياء صفاته ونور بهائه كما ذكره العارف الشطاح البتلي قدس سره لا يدخل تحت سكرات الموت بل ينفصل بعده وتنقطع علاقته اولا ثم يتعلق حين دفن بالاجزاء الفاهمة اللطيفة من قلبه ودماغه ويتوجه عليه سوال الملكين ويرد عليه ثواب القبر وعذابه ثم يرتقي الى الدرجات العليا ويصل الى

Digitized by Google

السعادة الكبرى ويبقى له العلاقة بالبدن بالتلذذ والتالم لا بالتحريك واكتساب الاعمال فالموت احد الاسباب الموصلة الى النعيم المقيم كما ورد انكم خلقتم للابد ولكن تنقلون من دار الى دار فهو وان كان في الظاهر فناء واضمحلالا لكنه في الحقيقة بقاء وولادة ثانية على وجه اشرف كالنوى المزروع لا تصير نخلا مثمرا الّا بعد فساد جثتها وكالبذر الملقى في الارض ولذا من الله علينا بالموت فقال الذي خلق الموت والحياة وقدمه لكونه ذريعة الى الحياة الابدية الحقيقية وعده علينا من نعمه فقال كيف تكفرون بالله الاية واما التي تذوق الموت فهي النفس الحيوانية المركبة من الطبائع يتهدم البدن اذا خرج منه الروح بخطاب ارجعي فيهدم اركانها ويرجع كل شيء الى اصله لكن العارفون الذين صفت اجسادهم بسبب سبحات الوجه الكريم وتجانست ارواحهم وابدانهم لا يتطرق اليها البلى بل تجذبها الى حضرة اللاهوت وتطير معها في عالم الملكوت ابد الابدين كما قال في معراج سيد المرسلين سبحان الذي اسرى بعبده وفي شان عيسى بل رفعه الله اليه وفي قصة ادريس ورفعناه مكانا عليا فافهم هذه الاسرار التي نطقت بها الاخبار وشاهدها بالبصائر الثاقبة الاخيار

(الحادي والاربعون)

(عن ابي محمد عبد الله بن عمرو بن العاصي) السهمي القرشي اسلم قبل اخيه وكان اكبر منه باحدى او ثنتي او ثلاث عشرة سنة كان عالما عابدا اكثر الناس اخذا للحديث قال ابو هريرة ما كان احد اكثر حديثا مني الّا عبد الله بن عمرو فانه يكتب ولا اكتب سكن مكة ثم رحل الى الشام وعاد اليها وتوفي بها سنة خمس وستين وهو ابن اثنين وسبعين سنة مروياته سبعمائة حديث (رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم) قيل اراد نفي الكمال اي لا يكمل ايمان احدكم وقيل نفي اصل الايمان عنه (حتى يكون هواه) ليس الذي هو من اصل صفاته النفسانية بل المعبود الباطل المطاع والمحبوب المتحتم الاتباع

Digitized by Google

(تبعا لما جئت به) من السنة الزهراء والملة النقية البيضاء حتى تصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقة التي تنبعث من هوى النفس وميل الطبع هما واحدا يتعلق بامر ربه واتباع شرعه تعظيما له وشفقة على خلقه كما قال الشاعر

كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت مذراتك العين اهوائي
وصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي
تركت للخلق دنياهم ودينهم شغلا بحبك يا ديني ودنيائي

فلا يميل إلّا بحكم الدين ولا يهوى إلّا بامر الشرع فهو المومن الكامل التوحيد الذي يقبل منه التوحيد ومن اعرض عنه متبعا لهواه مبتغيا لرضاه فهو الكافر الخاسر في دنياه وعقباه ومن اتبع اصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو المنافق

لك الف معبود مطاع امره دون الاله وتدعي التوحيدا

والهوى مصدر هويه احبه وشرعا ميل النفس الى خلاف ما يقتضيه الشرع لانه يهوي بصاحبه الى الداهية في الدنيا والهاوية في العقبى فكانه من هوي يهوي هويا اي سقط فان قلت ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم نور وضياء والهوى ظلمة في النفس انبعثت من الطبيعة الترابية فكيف يصير الهوى الظلماني تبعا للدين النوراني قلت الجواب ان النفس لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح بالبدن واتصالهما والروح لطيف روحاني والجسد كثيف ظلماني والنفس متوسطة بينهما تقبل اللطافة الروحانية والكثافة الجثمانية وهذا هو التسوية التي قال الله تعالى ونفس وما سواها فاستقامة الروح الروحاني في الروح الحيواني بمثابة النور في الحدقة فصارت النفس بها قابلة للخير والشر والفجور والتقوى فاذا غلب الامر بالتقوى صارت مزكاة عن الكدرات متوجهة الى الدين قابلة لليقين واذا غلب الامر بالفجور صارت تابعة للهوى سالكة مسالك الردى

نون الهوان من الهوى مسروقة فصريع كل هوى صريع هوان

Digitized by Google

قال الراغب مثل النفس في البدن كمجاهد بعث الى ثغر يراعي احواله وعقله خليفة مولاه ضم اليه ليرشده ويشهد له وعليه اذا اعاده . وبدنه بمنزلة مركوبه . وهواه وشهوته سائس خبيث ضم اليه ليتفقد مركوبه . والقرآن بمنزلة كتاب اتاه من مولاه تبيانا لكل شيء ورحمة . والنبي رسول اتاه بالكتاب ليبين للناس ما نزل اليهم فان جاهد اعداءه وقهرهم واستعان بالعقل في اتباع الكتاب وسلطه على الهوى حمد اثره اذا عاد الى حضرته وهو من المفلحين ومن ضيع ثغره واهمل رعيته وصرف همه الى تفقد مركوبه واقام سائس المركوب مقام خليفة ربه فهو في الاخرة من الخاسرين (حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة) في اتباع المحجة للحافظ ابي القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصفهاني (باسناد صحيح) ورواه محيي السنة في المصابيح وشرح السنة

(الثاني والاربعون)

(عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم) في هذا النداء نكتة وهي ان اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يتالف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب فقيل لهم قد يتالف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة رب الارباب حال التضرع والنداء ادعوني استجب لكم وآدم اعجمي لا اشتقاق له ووزنه فاعل كآزر لا افعل وقيل من الادمة وقال ابن عباس سمي آدم لانه خلق من اديم الارض احمرها واسودها وطيبها وخبيثها (انك ما دعوتني) اي ما دمت تعبدني او تسالني فان الدعاء قد فسر في القرآن بهما وما زمانية ظرف غفرت (ورجوتني) اي رجوت مغفرتي ولا تقنط من رحمتي . او تخاف من عقابي اذ الرجاء جاء بمعنى الخوف قال الله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله حلما كذا في الكشاف اذ التدرج في

Digitized by Google

العبادات انما يتاتى بهما كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا هذا اذا لم يقرب الموت فان قرب الاجل وانقطع الامل فالرجاء ليس إلّا لوروده الى ملك كريم ووفوده الى رب رءوف رحيم (غفرت لك على ما كان منك) من الذنوب الكثيرة الصغيرة والكبيرة والغفر الباس الشي ما يصونه عن الدنس (ولا ابالي) اي لا يعظم علي كثرتها فان جرائم العباد وآثام اهل العناد في جنب رحمة الرب كذرة حقيرة بل اقل منها قال في الصحاح قولهم لا اباليه اي لا اكترث به ولم ابل محذوفة الالف لكثرة الاستعمال كما قالوا لا ادر محذوفة الياء والاصل باليه مثل عافيه وقيل كان ابالي من البال اي لا شغل لي بهذا الامر فالحديث تحريض على الدعاء وتحسين الرجاء . اما الدعاء فحقيقته استدعاء العبد ربه الاستمداد والمعونة وله شرائط واداب تقدم اشارة اليها فان قلت ثبت انه جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد شيئا ولا ينقص شيئا وايضا المطلوب ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن منها لم يجز طلبه ولان الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم والاشتغال بالدعاء ينافيه فجوابه ان يقال الدعاء من شعار المرسلين وآداب العرفاء الصديقين والقرآن والحديث ناطقان بصحته والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الخوف والرجاء اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره في الكل وقوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له في جواب يعم العمل مع انه قد كتب مقعد كل احد من الجنة والنار يدل عليه فانه رهنهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ليعلم ان الوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملتها في قضاء الاوطار الدعاء كما في الشاهد فلعله قد جعل الدعاء سببا لبعض مناجحه . واما الرجاء فهو ان تاتي بحسنة ترجو ثوابها او بسيئة ثم تبت عنها فترجو

حقيقة الدعاء

تعريف الرجاء

Digitized by Google

مغفرتها واما الرجل الفاسق المتمادي المتواني القائل ارجو المغفرة فهذا من اكاذيب الاماني قال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء روية الجلال بعين الجمال او قرب القلب من لطف الرب او سرور الفواد بعيد المعاد وانشد بعض الراجين

اذا كثرت منك الذنوب فداوها   برفع يد في الليل والليل مظلم
ولا تقنطن من رحمة الله انما   قنوطك منها من خطاياك اعظم
فرحمته للمحسنين كرامة   ورحمته للمسرفين تكرم

تعريف الخوف

واما الخوف فهو عبارة عن الم القلب بسبب توقع مكروه وسببه التفكر في تفاصيل انواع العذاب المتوعد به على المعاصي وهو نصيب اهل الظاهر . او معرفة الجلال والكبرياء وهو وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اكثر فامنه في العقبى اكثر وبالعكس يروى انه ينادى يوم القيامة وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين فمن امنني في الدنيا خوفته يوم القيامة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيامة (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء) قال التوربشتي العنان السحاب فاضافته الى السماء غير فصيح وارى الصواب اعنان السماء وهي صفائحها وما عرض من اقطارها كانها جمع عنن فلعل الهمزة سقطت من بعض الرواة وفيه بحث وهو ان الفائدة فيه الاشعار بان السحاب منطبق آخذ بافاق السماء لا في افق واحد لانهم يطلقون على كل افق سماء كما يطلقون على كل طبقة سماء قال الشاعر « من بعد ارض بيننا وسماء » فيفيد المبالغة في كثرة الذنوب حتى ملات جميع اقطار السماء وهذا الذي ذكرنا ماخوذ من كلام الكشاف في قوله تعالى او كصيب من السماء وهو ماء المطر فحم حوله وقال المصنف العنان ما عن لك اي ظهر من السماء اذا رفعت راسك وهو كناية عن كثرة الذنوب بحيث لو كانت اجساما لملات ما بينهما (ثم استغفرتني غفرت لك)

مطلب الاستغفار

والاستغفار طلب المغفرة وهو انما يكون بالتوبة وهي عبارة عن الندم على ما

سلف

Digitized by Google

سلف من المعصية وكف النفس عن مباشرتها من حيث هي معصية مع العزم ان لا يعود اليها اذا قدر عليها قوله من حيث هي معصية فان ندم على شرب الخمر لما فيه من الصداع لم يكن تائبا وقوله اذا قدر لانه من سلب عنه القدرة على الزنى وانقطع طمعه عن عود القدرة فعزم على تركه لم يكن توبة منه ذكره حجة الاسلام وفي كلام بعض العرفاء ان التوبة هي الرجوع عن مخالفة حكم الحق الى موافقته فلا بد من معرفة الذنب حتى يرجع منه بالندم بالقلب وكثرة الاستغفار وكف الجوارح وان توبة العوام لاستكثار الطاعة لان سيئاتهم تصير بالتوبة حسنات كما اشار اليه التنزيل ۰ وتوبة الاوساط من استقلال قدر المعصية في جنب سعة رحمته وهو عين الجراة على الله فلا بد من تعظيمها واعتقاد ان توبته موقوفة وانه اسوا الناس حالا ۰ وتوبة الخاصة من تضييع الوقت في غير المراقبة برؤية الغير والاحتجاب بصفات النفس فيحرم صاحبه من نور المراقبة الموجب لحفظ الوقت بظلمة الحجاب ويلزم من ذلك كدورة الصحبة مع الله في مقام المشاهدة ومن رام حقائق التوبة فعليه بكتاب المنازل (يا ابن آدم لو اتيتني بقراب الارض) اي بملئها (خطايا) تمييز من الذات المقدرة في الاضافة نحو ملاء عسلا او مفعول به والباء للتعدية وخطايا حال (ثم لقيتني) لفظة ثم للتراخي في الاخبار وان عدم الشرك منه مطلوب اولي ولذا اعاد لقيتني وعلقه به والا ليكفي ان يقال لو لقيتني (لا تشرك بي) اي بذاتي وصفاتي وافعالي ۰ او بعبادتي (شيئا) من النفس والشيطان والخلق اذ الشرك قسمان جلي وخفي والاول غير مغفور والثاني يحبط العمل ويعاقب عليه (لاتيتك بقرابها مغفرة) وهي ازالة العقاب وايصال الثواب ونكرها ليفيد المغفرة العظيمة المتناهية واسندها الى ذاته لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالته عنه لكن صدور الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب المغفرة ارجح ولله در من قال

مهمى تذكرت ما زلت به قدمي   ارجو الذي عفوه للذنب محـاء
وكيف ارجع صفر الكف عن صمد   كلتا يديه يمين وهي سخـاء

والحديث دليل على ان الشرك قد تناهى في القبح والفساد الى حد يمتنع في حكمة الرب ان يغفر لصاحبه لانه اظلم الظلم ومصدره الاستخفاف بحق الربوبية والتسوية بين خالقه ورازقه ويحييه و يميته وغيره في التعبد وهذه فرية ما فيها مرية اذ كيف يستوي رب العالمين بشيء من مخلوقاته الذي ليس له ذرة من ملكه وملكوته واشارة الى ان التوحيد يغفر به الذنوب ويكشف به الكروب اذ الفطرة المنورة بنور التوحيد تغلب الهيئة المظلمة النفسانية لبقاء النورية الاصلية واتصال العبد بالحق واعلم ان عباد الله الذاهبين اليه قسمان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف في عالم الصورة ولم يفتح له باب في عالم المعنى كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس في سجن البدن وعليه موكلان يكتبان عليه من اعماله الظاهرة ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فاذا لقي الله بريا من الشرك الجلي يغفر الله مساويه و يشكر له مساعيه واما السائر فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصور الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة وخطاياه ما يحجبه عن الله من مراتب الدنيا والاخرة ورويته غيره والتعلق بما سواه فان اكبر الكبائر اثبات وجود غير الله ذاتا وصفة وفعلا حتى وجوده كما قيل « وجودك ذنب لا يقاس به ذنب » وهو الشرك عندهم فاذا تخلص من ذلك تلقاه الله بالغفران بان يستر بشواهد هويته ذنوب وجود الاغيار وبجذبات العناية يرحمه برفع البينونة والاستار . والطيار عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر يطير بجناح العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي رجله جلجلة الشريعة وهو المتعين لاعباء الامانة

التي

التي لم يوجد في السماء والارض ولا في الدنيا ولا في الاخرة موتمن امين لتحملها فلما عرضت عليه نظر اليها وعشقها وصار فراش تلك الشمعة وحملها فنسب في البداية الى الافساد وسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلوم والجهول فان قلت من ابى ولم يطع في حمل الامانة نسب الى المكانة والطاعة والامانة بقوله مطاع ثم امين ومن اطاعه وحمل نسب الى الظلم والجهل والخيانة فما الحكمة في ذلك قلت ان الذل والمسكنة وقعت في جانب العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت في طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا تظهر الا في مرآة ذلة العاشق وايضا كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة الموتمن في اصلاح كتمان امر الامانة وقد يخص غيره بحسن الثناء عليه لتكون عزته في الظاهر وذلته في الحقيقة يدلك على حقيقة هذا السر خطاب اسجدوا لآدم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون

(رواه الترمذي رحمه الله وقال حديث حسن) ولما كان هذان الحديثان مما عليهما مدار الاسلام ويتضمنان ما لا يحصى من الحكم والاحكام لان اولهما في الترهيب من اتباع الهوى والترغيب في سلوك مسالك الهدى والثاني في التحريض على الرجاء والدعاء الذي هو مخ العبادة والاطماع بالاستغفار في سعة رحمة الله عباده اوردهما في الكتاب نصيحة لكل تواب اواه اواب وختم بهذا الحديث اشعارا بانه يجب على العبد ان يعتقد في مولاه الفضل والاحسان والمغفرة والرافة والامتنان وان يحسن ظنه آخر عهده بالدنيا واول عهده بالعقبى فانه بتحقيق رجاء الراجين حقيق وولي الاسعاد والامداد والتوفيق فهذا آخر ما قصدته من بيان الاحاديث التي جمعت قواعد الاسلام وتضمنت ما لا يحصى من انواع العلوم في الاصول والفروع والاداب وسائر وجوه الاحكام اعلم ان المذكور في هذا المختصر مما يتعلق بظاهر معاني الاحاديث منقول غالبا من اعلام الحديث للامام الخطابي وشرح صحيح مسلم للمصنف وشرح المصابيح للقاضي البيضاوي وشرح المشكاة للعلامة الطيبي والنهاية للامام الجزري والكشاف وما يكشف

السحاب عن وجوه حقائقها ودقائقها فماخوذ من نفائس كلام الشيخ الكبير
ابي عبد الله محمد الخفيف وحجة الاسلام الغزالي والاستاذ ابي القاسم القشيري
والعارف العاشق روزبهان البقلي والعارف صاحب العوارف السهروردي
وسلطان الشريعة عبد الله الانصاري وبرهان الطريقة نجم الملة الرازي
وغيرهم من عظماء الاسلام والعلماء الاعلام وما يوضح احوال الرجال فمكتوب
من الاستيعاب والمنتظم وشرح اسماء رجال المصابيح وقد اشتمل بحمد الله
كل حديث على فرائد شريفه . وفوائد نفيسه . جمعتها واستنبطتها مع
ضيق البال . وبوادر العلل وضعف الحال . من كثرة الوساوس في فقد
الحيل والاعراض عن المطالعة والمذاكرة ومخالطة الناس . وتجرع الباساء
والضراء كاسا بعد كاس . فلوا في وقلبي من حديد . لذاب على صلابته
الحديد . وقد لازم جفني الارق . وصاحب قلبي الجوى والقلق . ولابس
روعي لوعة تتلظى في الجوانح نارها . ويظهر على صفحات الوجنات
آثارها . وفي المعنى لي قلب محترق . والدمع مستبق . والكرب مجتمع
والصبر مفترق . كيف القرار على من لا قرار له . مما جناه الهوى والشوق
والقلق . يا رب ان كان شيء فيه لي فرج . فامنن علي به ما دام لي
رمق . فيا من عرف مكائد الدهر فزهد فيه . وشغله هم الموت فلا يضحك
بملء فيه . اعتصم بحبل لا انصرام له . واستمسك بالعروة الوثقى لا
انفصام له . واقبل على القرآن والحديث فما دونهما جفا . وننزل من
القرآن ما هو شفا . والمامول من افضال الافاضل . ولطائف الطاف الاماثل .
ان ينظروا في كتابي بعين الرضا . ويصلحوا ما فيه من الزلل والخطا .
فانني قليل البضاعه . قصير الباع في الصناعه . لكن رب حامل فقه الى
من افقه منه . وقد تسجع الورقاء وهي حمامه . وقد تنطق الاوتار
وهي جماد وان يلتمسوا لي من الله تعالى النجاة بجاه رسوله محمد صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الاولى والاخرى والفوز بالدرجات
العلى . تم هذا الكتاب في شرح الاحاديث النبوي . الاربعين للنووي .

رضوان

Digitized by Google

رضوان الله تعالى على مولفه ورحمته وغفرانه
على شارحه وتجاوز الله عن خطيات كاتبه
قال المولف رحمه الله تعالى ورضي عنه
آمين وقد نجز الفراغ منه ليلة
الاربعاء وقت الافطار لست
خلت من رمضان المعظم
سنة اثنتي عشرة
وثمانمائة احسن
الله ختامها
وما بعدها
آمين

نحمدك يا من ارسلت خواصك للعباد * رحمة من عندك وهدى للرشاد * والصلاة والسلام * على افصح من نطق بالضاد سيدنا محمد وعلى آله ومن والاه * ونصره واتبع هداه * وبعد فيقول افقر العبيد الى مولاه صالح قايجي مصحح دار الطباعه * جمّل الله طباعه * ان الاربعين النوويه * عليها تعاليق جمة وشروحات بهيه * غير ان الذي يشار اليه من بينها بالبنان * ويعد من بدائع الزمان * هو شرح العلامة سعد الدين التفتازاني فانه شرح لطيف المبنى * جزيل الفوائد والمعنى * وكفى بفضل الشارح وشهرته دليلا على ما لهذا الشرح من التقدم على غيره من الشروح فعلى المطالع مراجعة ترجمة الشارح المذكور باول صحيفة من هذا الشرح فان بها ما يكفي عن الاطناب * وتتبع الفضائل والاسهاب * وقد فاح منه عبير مسك الختام * ولاح عليه بدر التمام * بمطبعة الدولة التونسيه * بحاضرتها المحمية * في شهر جمادى الاولى من عام تسعة وتسعين ومائتين والف من هجرة من يرى من امامه كما يرى من خلف صلى الله عليه وعلى آله وكل ناسج على منواله والحمد لله اولا وآخرا *

Digitized by Google

1075

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google




Digitized by Google

